



خَيْرُ سِرِّ زِيَادَةٍ

مِنْ كِتَابِ الْمَصَابِيحِ

تَأَمَّلَاتُ فِكْرِيَّةٍ

الأديب علي الخباز

الخباز، علي حسين، ١٩٥٤ - مؤلف .
خمسون اضاءة من كتاب المصابيح : تأملات فكرية / الاديب علي الخباز. - الطبعة الاولى. -
كربلاء، العراق : العتبة العباسية المقدسة، قسم الشؤون الفكرية والثقافية، مركز الفكر والابداع،
١٤٤٦ هـ. = ٢٠٢٤ .

- ٣٣٠ صفحة؛ ٢٤ سم
١ . الصافي، احمد، ١٣٨٣ هجري - المصابيح : شرح ادعية مختارة من الصحيفة السجادية.
٢ . علي زين العابدين، علي بن الحسين بن علي (عليه السلام)، الامام، ٣٨ - ٩٥ هجري.
الصحيفة السجادية. ٣. الادب العربي. ٤. الادعية والاوراد (شيعة). أ. العنوان .

LCC : BP194.3.S233 S345 2024

مركز الفهرسة ونظم المعلومات التابع لمكتبة ودار مخطوطات العتبة العباسية المقدسة
الفهرسة اثناء النشر

الطبعة الأولى

١٤٤٦ هـ



العَتَبَةُ الْعِلْمِيَّةُ الْمُقَدِّسَةُ
فِيهِ الشُّعُورُ وَالنُّكْرُ وَالشَّقَافِيَّةُ
مَرْكَزُ الْفِكْرِ وَالْإِدْرَاقِ

تأليف: الأديب علي الخباز
المراجعة اللغوية: الاستاذ هاشم الصفار
التصميم و الإخراج: مصطفى محمد صالح
عدد النسخ: ٢٥٠



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ
الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ
جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ

سورة غافر الآية: ٦٠

المقدمة

البحث في جماليات الرؤية بأي منجز يمنحنا تجليات التميز، وما تكسبه من دلالات فكرية قادرة على بلورة المعنى. وكتاب المصباح لسماحة السيد أحمد الصافي «دام عزه» والمخصص لشرح أدعية مختارة من الصحيفة السجادية، منحنا القدرة على الولوج الفكري لروائع الصحيفة المباركة، مسلطاً الضوء على أهم التفاعلات الجمالية؛ كونها رائعة من روائع الأدب الانساني المؤمن، وتجربة وجدانية مهمة.

جاء في مقدمة الكتاب تعريف بالصحيفة؛ باعتبارها تراثاً هائلاً من المعارف صيغت على شكل أدعية تربوية غنية بقضايا متعددة.

أسعى في هذه القراءة الانطباعية الى أن أقف عند بعض المضامين الفكرية الجمالية والبنى المعرفية التي قدمها لنا الكتاب عن الصحيفة، وما تحمل من قيم ودلالات فكرية ووجدانية تحفل بثناء المضمون، مما جعلها من روائع الأدب والثقافة العربية والاسلامية، بما تمتلك من مساحات شعورية قادرة على بعث الجمال الروحي عند الانسان.

وقد ركز سماحة السيد أحمد الصافي على بعض النقاط الجوهرية التي تمكننا من فهم الرسالة السجادية بداية، ومفهوم التصوير الفني للصحيفة، وتشخيصات مهمة للجواذب الروحية المؤثرة وجدانياً،

والصياغات المولدة للمعاني، وتوظيفها لترسيخ المفهوم الإيماني. سيرة قراءة حملتها لنا مقدمة الكتاب «قرأت بعض الكتب التي تناولت موضوع الدعاء عند أهل البيت (عليه السلام) ومدى تأثيره وابعاده الفردية والاجتماعية»، تدلنا العبارة على بعض المفاهيم المهمة؛ كون العمل الابداعي يقوم على الطاقة الكاشفة عن جوهر الانتماء إثر الوصف والتشخيص بصياغة رؤية المبدع.

ركّز الكتاب في جميع محاوره على الصحيفة السجادية، وما تحمل من فكر يمثل انتقالاً الى عالم روحاني مقدّس، فيه قدرات قصوى، وإمكانات لا متناهية، وهو يعدّ مدرسة أهل البيت (عليه السلام) بكل أبعادها وامتداداتها هي امتداد لوحي السماء النازل على قلب المصطفى، وأن الأئمة (عليه السلام) هم السلسلة الذهبية المباركة، وحديث أحدهم هو حديث ابيه، وهكذا الى ان يصل الى جبرئيل (عليه السلام)، الى الله تعالى.

عالم الدعاء عالم متخيل نستوعبه ونعيش فيه بمقدار فهمنا للنص والتأثر به، فكان معنى التركيز هو استشعار أهمية الدعاء وقيّمته الفكرية والروحية والنفسية التي تأخذ طريقها في حياة الانسان؛ لتنصب سلوكاً ومواقف انسانية في محيط الفرد والجماعة البشرية. وبالتأمل في الأدعية، ندرك ان هذه المدرسة الاسلامية اتخذت

طابعا خاصا في الدعاء والمناجاة، فصارت منهجا للأخلاق والعقيدة والمفاهيم والسلوك.

وانطلق البحث بمحاور عدة:

المحور الأول: «الامام السجاد (عليه السلام)»؛ باعتباره من الأئمة الذين اقترن اسمهم بواقعة الطف، وكان لهم دور مهم جدا في الواقعة، لكن الوضع التاريخي لم ينقل لنا كل ما حدث، وقرن الامام السجاد بالصحيفة السجادية بشكل اوسع، فكان نهج الامام السجاد وافرأ في تربية أتباعه ومريديه وشيعته.

وقد احتوت الصحيفة كثيراً من صنوف التربية والإرشاد والتوجيه وامتازت هذه الصحيفة المباركة بدقة التعبير وبراعة التشخيص وسلامة العلاج للمشاكل الروحية التي يعاني منها المجتمع.

المحور الثاني: هو تعريف الصحيفة السجادية بأنها من الآثار الدعائية المهمة التي يعجز البيان عن اطرائها، وتعدّ موسوعة علمية ثمينة، ليست على الصعيد الروحي الذي بلغت به القمة من حيث براعة التعبير والمضمون الذي له صلة وثيقة بالقرآن الكريم، وتمثل تجليات من تجلياته ومن تجليات نهج البلاغة، سواء على مستوى



الألفاظ والأساليب أو على مستوى الافكار والمضامين، عليها مسحة من العلم الالهي ومنها الكلام النبوي تشتمل على حقائق المعرفة الالهية واسرار حكمة الله تعالى وبلاغة وفصاحة تستمد من الكتب السماوية؛ لما تمتاز به من ابعاد معرفية وخصائص اسلوبية، كانت اللغة فيها وسيلة بيان تلك المعاني.





الإضاءة الأولى

«دعاء مكارم الأخلاق»

إن موضوع الدعاء عند أهل البيت عليهم السلام يمثل الهوية الانسانية بما تمتلك من مؤثرات العصمة، وترسخ بتعدد الدلالات وعمق الوجدان.

وركز الكتاب على مديات التأثير في البعدين الفردي والاجتماعي، وعملية الشد الشعوري التي اثارها كانت بتأثير حيوية الدعاء المبارك:

«وركعت لك حتى ينخلع صلبي، وسجدت لك حتى تتفقأ حدقتاي، وأكلت تراب الأرض طول عمري، وشربت ماء الرماد الى آخر دهري، وذاكرتك في خلال ذلك حتى يكلم لساني، ثم لم أرفع طرفي الى افاق السماء استحياء منك، ما استوجب بذلك محو سيئة واحدة من سيئاتي».

يقول سماحة السيد الصافي: «نقلني الدعاء الى عالم آخر فما هذه العبودية؟ وما هذا التصوير الرائع؟ وما هذه الكلمات التي تهز كيان الانسان؟ بل ما هذا الرابط الذي يأخذ بمجامع القلوب بين الأرض والسماء؟».

هذه الأسئلة تعني حث المتلقي على التبصر في المستوى الدلالي، والتصوير الفني، وما يثيره من ايجاء وتخيل وصياغة وانزياح وكسر

طوق الدلالات لتخرق ما تواضع عليه الناس في اللغة.

لتأمل ثانية في المقطع، نجد ان الأفعال الماضية كسرت جمودها
وتحركت بأفعال مضارعة للاستمرار الفعل:

ركعت × ينخلع صلبي

سجدت × تتفقاً حدقتاي

أكلت × طوال عمري

شربت × آخر دهري

أو لتأمل «وشربت ماء الرماد آخر دهري» قوة الانزياح وما لها
من قيمة حضورية في المعنى تبيّن عمق الدلالة. الأسئلة تجعلنا نتأمل
في قيمة الخطاب؛ باعتباره خطاباً ارشادياً وتربوياً ووعظياً، واستثمر
الإمام التصوير الفني؛ لأنه أوغل في التفصيل والتأمل والتمهل،
وهذا يدلّ على معطيات الشعور بالمسؤولية من قبل الامام (عليه السلام)
بالآخر، لأجل هدايته وزيادة قدرته على الفهم من خلال الترابط
والوحدة الموضوعية في الأدعية. وكان الامام (عليه السلام) على قصدية تامة
من تنوع الدلالات ليطلق للمتلقي عنان خياله.

ومن المقاصد الجميلة التي اثارها كتاب المصاييح، الاسلوب
التربوي الروحي العميق لتلك الادعية التي تجلت فيها فلسفته



حَسَنُ إِضَاءَةِ كِتَابِ الْمَصَائِحِ

العميقة وتوجيهاته وساعدت على تكوين الشخصية الربانية، وتطوير العلاقة بين العبد وربّه، وبين الانسان ونفسه، وبين الانسان والمجتمع.

ومن أهم ما ورد في مقدمة كتاب المصايح المطالبة باعتماد الصحيفة السجادية ضمن المناهج الدراسية والمراحل كافة «المتوسطة - الاعدادية - المعاهد والكليات»؛ لما تحويه من الأدعية التربوية، ومن حلقات المساجد والمراكز ومؤسسات الثقافة الاسرية واستثمار المناسبات لقراءة الادعية ودراستها.

ويرى سماحة السيد الصافي ان بعض الادعية يمكن ان تكون مناهج لتطوير الذات وتحسين اللياقات الانسانية العامة، فهي لا تقرأ فحسب بل تقرأ كمنهج علمي وفكري يتصدى للقيام بنهضة شاملة على جميع المستويات الفردية والاجتماعية.

واستشهد بدعاء مكارم الأخلاق الذي له القابلية على تحقيق النهضة الشاملة، ويرى امكانية أن نطرح عليه تماشياً مع بعض المصطلحات المتعارفة «علم نفس الصحيفة السجادية» و «التنمية البشرية وفق الصحيفة السجادية» تقريباً للأذهان المأنوسة بهذه المصطلحات، وبهذا اللون من



الخطاب، الارتكاز على مصطلح علم النفس وإطلاقه على أدعية الصحيفة، يجعلنا أمام حقيقة أن البحث في النفس أعمق وأكثر غورا مما وصلت له العلوم، اكتشافاتها وتطورها وللتكوين الفكري أثر في بناء الانسان والمجتمع.

الامام السجاد عليه السلام كان على علم واسع في تشخيص المجتمعات ومعرفتها وسرّ القوة القادرة على تحقيق النهوض المعنوي للبناء في مجتمع قاده الخلل النفسي الى قتل سيد الشهداء الحسين عليه السلام، ابن باني مجدهم عليه السلام.

ومن التشخيصات المهمة التي عرضها سماحة السيد الصافي: أولاً المنهجية الرائعة التي صاغها الامام السجاد عليه السلام في دعاء مكارم الاخلاق وغيره، تمكنا من وضع قواعد ثابتة وأطر لنظرية اخلاقية مهمة، واستعراض هذه المدرسة - مدرسة الصحيفة - ووضعها أمام كل المعنيين بالدراسة التربوية والاخلاقية والثقافية والفكرية بكل عمقها ودقتها وتحليلها؛ فهي مدرسة متكاملة تبدأ من تشخيص المشكلة وتحليلها ثم إيجاد العلاج لها، فضلا عن ترسيخ كل المتبنيات العقدية والفكرية والعقلية التي تؤمن بها فهي مهمة عظيمة جدا. أشار الكتاب الى القيمة المعنوية والمعرفية التي يشكلها

ائمة أهل البيت عليهم السلام للمجتمع البشري وتراثهم الشمولي لا ينحصر في القضايا الدينية التي تهتم المجتمعات الاسلامية خاصة بل لهم عطاء عملي يثري معالم البشرية في مختلف المجالات، ويقدم أفضل دعم للقيم الانسانية النبيلة.

واستشهد بمثال نظرية الحاكم، حكومة دينية تعتمد على الرؤية الالهية الشمولية لأبعاد الكون والانسان والحياة، وتمكين الخبرة البشرية في بعض المجالات الإدارية والعسكرية، واستثمارها للصالح العام، ووثيقة الامام علي عليه السلام الى مالك الأشر «رضوان الله عليه» والى مصر، تعد من أهم الافكار والمفاهيم السياسية والاقتصادية في شؤون الحكم والادارة، ومن أهم الركائز العسكرية والسياسية والادارية التي بعث بها رئيس دولة الى أحد ولاته.

وتضمن هذا العهد رسم الخطوط العريضة للسياسة العامة التي يجب ان يتهجها الحكام في كل عصر على اساس المنطلقات الانسانية الاسلامية التي تهدف الى تنظيم الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية تنظيمًا دقيقًا، وبناء العلاقات الداخلية في المجتمع الاسلامي على اساس العدل والحرية والمساواة.

سماحة السيد الصافي يحثنا على إجراء مقارنة بين نظرية الحاكم للإمام علي عليه السلام ونظرية ميكافيلي في كتابه الأمير، والذي هو عبارة عن دراسة في الفقه السياسي أعدّها سنة «١٥١٣م»، والذي يرى ان المحرك للتأريخ هو «المصلحة والسلطة» يختزل حركة الشعوب والامم بزواية ضيقة، ومن مبادئ القيم الميكافيلية: «انظر مصلحتك أين إذا أردت أن تنجح» وطالب بتسخير الدين لتمكين السيطرة وليس الفضيلة، ويرى «لا يجدي للمرء ان يكون شريفا دائما» اي بمعنى لا بد للحاكم ان ينتهج القوة والانتهازية والمكر والخديعة؛ لينجح بقيادته، بينما منهج الامام علي عليه السلام لا يقبل المساومة بالحق.

ذكر الشيخ الطوسي رحمته الله «قدس سرّه» عن أمير المؤمنين عليه السلام، أن بعض المستشارين اشاروا اليه بصرف اموال لاستمالة بعض كبار القوم ليلتفوا حوله أجابهم عليه السلام: «أطلبون أن أطلب النصر بالجور بظلم الناس».

ما كان عليه السلام يؤمن بالاصطفافات السياسية والتوظيف السياسي بالمال العام، كان يخطب بالناس: «إن أنا خرجت من بلادكم بغير ما دخلت فاني من الخائنين». وأحكم العبر ما تأخذ من السير الذاتية وليس من التنظير، فكانت حكومته عليه السلام حكومة خدمة وطنية.

يبحث سماحة السيد عن الصور الجلية التي تكون الصورة الأقرب للمقارنة مع النظريات والمدارس المعاصرة أو السابقة في علم النفس وغيره من العلوم، ومع ما عندنا من مخزون فكري رصين، ومن هذا المخزون دعاء مكارم الاخلاق، نجد القدرة العجيبة في التعاطي مع الامور بطريقة سلسلة جذابة تجمع بين الحاجة الى الله دائما وبين القوة المستمدة وبين الضغوط النفسية التي تصل من خلال فهم الواقع، بين الانكسار أمام العدو وبين الغلبة، مكونات العلاقة التي صاغها الامام عليه السلام في هذا الدعاء مع بقية الأدعية الأخرى.



الإضاءة الثانية

«العصمة»

إن الصحيفة السجادية تحتوي على « ٥٤ » دعاء، وتسمى «أخت القرآن» وزبور آل محمد ﷺ، وتعدّ من أهم المعادن الالهية؛ فهي تشتمل على مضامين فاخرة في شتى المواضيع المختلفة. الظرف الذي عاش فيه الإمام (عليه السلام)، أي في عصر الظلم والقتل والتشريد من قبل السلطة الجائرة من بني أمية، فأصبحت الصحيفة سببا للهداية والارشاد ووسيلة للاتصال بين العبد وربّه، فكان الامام السجاد (عليه السلام) يقول: «آيات القرآن خزائن من العلم، فكلما فتحت خزانة ينبغي لك أن تنظر فيها».

ونتأمل في هذا المحور المهم لمحات جميلة جاءت في كتاب المصابيح، حيث ركز فيها سماحة السيد الصافي «دام عزه» على بعض الأمور المهمة: اللمحة الأولى: القرآن الكريم هو الكتاب العظيم المنزل من الله سبحانه تعالى على النبي الأعظم ﷺ، وقد احتوى على المعارف الهائلة الكثيرة وهو مشعل وضياء وضياء نافع لمن أراد الهداية.

اللمحة الثانية: تعرضت المدارس الفكرية والقرآنية والتفسيرية لمكونات القرآن الكريم فأخذت الشيء الكثير منه، وما زالت هناك كنوز لم تكشف لعظم القرآن الكريم وجسامته المطالب المبتوثة فيه. اللمحة الثالثة: كلام أهل البيت (عليهم السلام) قد احتوى على معارف عظيمة،

فلا بد أن نستنتجها، وجاءت هذه المعارف والتعاليم مكملة وشارحة ومبينة لما أجمله القرآن الكريم وهي مبثوثة في المجاميع الحديثة.

اللمحة الرابعة: قسم من هذه المعارف جاء على شكل دعاء لكن في واقعه يشتمل على معارف وتعاليم جمّة، ولهذا نجد ان الصحيفة السجادية تحاكي الاستعمال القرآني في رقة الاسلوب ودقة اختيار الالفاظ والاساليب؛ مما يجعلها مؤهلة وصالحة للاستدلال بها والاحتجاج بها ورد فيها من ألفاظ وأساليب، فأهل البيت عليهم السلام هم تلاميذ القرآن الكريم.

اللمحة الخامسة: كلّ مدرسة من المدارس الفكرية والروحية والتربوية تدّعي انها استطاعت أن تضع علاجاً لمشكلة ما، لكننا لا نجزم انها وفقت في ذلك؛ لوجود ثغرات علمية دقيقة في كثير مما ذكرته.

ونجد ان هذا التشخيص دقيق جداً وأقرّت به الاكاديميات نفسها. السيد الصافي يؤكد على انها جهود انسانية مشكورة خدمت الانسانية، لكنها لم تعالج مساحات كثيرة من النفس الانسانية، واستمّيع الباحث عذراً؛ لكوني أريد أن أقف عند هذه اللمحة المثابرة، دراسات علم النفس تركت لنا نظريات فضفاضة رخوة



تتطاحن من أجل تأكيد مفاهيم لا تستطيع ان تثبتها للوقائع، لهذا يرى السيد الصافي ان البحث عن منهج فكري يطمئن في كثير من المسالك والمناهج الفكرية امر صعب.

واما إذا تأملنا في فكر الامام السجاد (عليه السلام) في أدعيته وأقواله فأنا نشعر بالاطمئنان الى سلامة المنهج، وبراعة المعلم في تشخيص الأدواء، وتشعر بأن هذا المسير يسعى الى نقلنا الى واقع أهم ويفتح الأعين والاذهان الى مطالب تكون خافية عندنا، وهذا يقرن لنا تأثير الصحيفة بالقرآن الكريم واستيعابه لمفاهيمه واساليبه.

الأسلوب التوجيهي، أسلوب تربوي ينسب كل تقصيرات الانسان الى النفس لهذا نجد الامام (عليه السلام) يوجه الناس بترك المعاصي ونبذ المنكرات والترفع عن الظلم بأسلوب دعائي، وتعليم الانسان كيف يعمل لرضا الله بشكل تفسيري؛ سعيا للوصول الى المتلقي الشمولي.

من أهم مهام الخطاب اختيار طرق نقل الأفكار الى الآخرين فيختار كل باحث وكاتب وخطيب اسلوبا خاصا به؛ سعيا لكسب قوة تأثير، وهذا البحث اشتغل على اسلوب تبسيط المعلومة وتوجيهها بأسلوب توضيحي، وتأمل في ثنايا الادعية، وعدّ هذا



التأمل تذكرة وتقوى وخضوعاً وانقياداً مؤمناً.

أدرك الباحث الولوج الى العمق المعنوي عبر قراءات عدة:

القراءة الأولى: جنح بعض الكتاب الى الطعن في قضية العصمة وتساءلوا عن معنى الذنوب الواردة في كتب الأدعية على لسان المعصوم، فكيف نوفق بين القول بعصمتهم وما يقولونه من التوبة والغفران في هذا الدعاء؟

أولاً- بعضهم يحملها على التعليم، أي: تعليم الإمام اتباعه كيف يتوبون الى الله ويعترفون بذنوبهم ويطلبون رحمته، مثلاً زيارة الإمام الصادق عليه السلام لشهداء واقعة الطف يمكن أن تعدّ من باب التعليم، لأصحابه فهو يقول: «بأبي أنتم وأمي طبتم وطابت الأرض التي فيها دفنتم»، وهو أجل وأعلى منزلة، هو الأفضل في حال المقارنة، لكن جاء هذا القول ليعلم محمد بن مسلم الزيارة.

ثانياً- هناك أدعية مناجاة أثناء الليل حيث لا أحد معه، كمناجاة الامام الكاظم عليه السلام في السجن الانفرادي، الامام مصلح يعمل لإرساء تلك المناجاة كسلوك تعبدي وتوظيفها توظيفا انسانيا.

ثالثاً- علينا أن لا ندرس الذنب ومعناه بمعرفتنا نحن، بل علينا أن ننظر الى الذنب من وجهه نظر المعصوم عليه السلام الأئمة عليهم السلام يعرفون

الذنب ممكن أن يكون عبارة عن خاطرة تشغل تفكيره حتى لو برمشة عين تبعده عن ذكر الله هو ذنب، فكلما يخرج خارج الذوبان الالهي يعدّه غفلة وابتعادا عن ذكر الله تعالى، اللذة كلّ اللذة هو في الذوبان بمحبة الله تعالى.

القراءة الثانية:

البحث في العمق النصّي يمنحنا الوعي الايمان المعرفي، بقضية الشاء على الله تعالى:

أولاً- تبدأ دائماً المقدمة بذكر النبي ﷺ والتحميد والتهليل لتطمئن القلوب، ومن آداب طلب الحاجة هو التقديم الذي يؤمن قبول الدعاء.

ثانياً- الاقرار بالذنب عن طريق الدعاء: «اللهم يا من برحمته يستغيث المذنبون».

ثالثاً- المناجاة، بذكر الصفات الالهية لطلب العفو والمغفرة.

رابعاً- استبطان طلب التجاوز عن الذنب أي بمعنى الدلالة «يا سريع الرضا» لطلب التوبة والغفران.



الإضاءة الثالثة
«الاستغاثة برحمة الله»

ما زالت الصحيفة السجادية تغري القراءات الجادة؛ كونها تتوغل في المدهش، وتسلك سبيل المعرفة واللغة والمضمون، وامتلاك سعة الادراك والرؤية، والأسلوب السهل المؤثر في النفس والقريب من الوجدان الانساني.

تستثمر الطاقة الروحية والعقلية وسعة الذوق، وهي تنقلنا من سطحية الوصف الى عمق الفحوى. ركزنا في الإضاءة الثانية على بعض المواضيع المهمة، ليس مهمتي أن أعيد ما كتبه الباحث في كتابه المصباح، لكنني اتابع الفاعلية في عرض القيم المعرفية، أي الفكر الذي يوظف لخدمة المضمون، وبمعنى متابعة الرؤى الفكرية المعبرة عن القيم السامية والسعي المتابع لاستشعار القيمة المتعلقة في الصحيفة السجادية وفي هذه الإضاءة نبحت في العمق الروحي والفكري الذي توزع على خمسة محاور، وقف عندها سماحة السيد الصافي:

المحور الأول: الاستغاثة برحمة الله تعالى.

القراءة المضمونية تمد جسور التواصل مع المنشأ الفكري للبحث في الرؤية وليس البحث في مكونات اللغة وحدها، بل البحث ما وراء لغة الدعاء لتحقيق الفهم المضموني، الموجود في ابعاد خارج

اللفظ، معرفة الفكرة ودواخلها ندرك قيمة الاستشهاد، يقول الإمام (عليه السلام): «يامن برحمته يستغيث المذنبون» يأخذنا سماحة السيد الصافي عبر المساحة الدلالية الى ثلاث ومضات:

الومضة الأولى:

أن لا يستغيث المذنب بعذل الله تعالى؛ لأنه اذا استغاث بالعدل هلك، الحركة تكون هنا نحو التأثير الفكري المعرفي بمفردة العدل، لا يمتلك البشر مهما أوتي من سعة فكرية ثقافية إيمانية على التماثل مع العدل الالهي بكل سمات الانسان الاجتماعية والتواصلية والفكرية، لذلك يستغيث برحمة الله تعالى والاستغاثة برحمة الله نجاة.

الومضة الثانية:

تقول بعض الأدعية: «يامن سبقت رحمته غضبه» التأمل في معنى الدعاء يأخذنا الى جوهر المكون الفكري، يؤكد الباحث أن ليس المعنى هو تسابق الرحمة والغضب، لكن البحث في مورد الغضب ونشأته بالمقابل منشأ الرحمة، نجد أن الغضب ناشئ من فعل العبد والرحمة ناشئة من صفات الله تعالى، وربما تمر هذه الجملة على مسامع بعضهم دون التركيز على أهمية مثل هذا التحليل الذي يدلنا على سعة التواصل مع فكر الدعاء بمعنى «أنا في عصياني وتمردني وأنت انت

في رحمتك وسعة غفرانك وودك ورحمتك».

سألوا يوماً الإمام الصادق (عليه السلام): هل لله سبحانه تعالى رضا وغضب؟ قال: نعم. يعني الرضا والغضب من الأمور المجازية، لكن الرحمة هي من صفات الله سبحانه.

الومضة الثالثة:

التوجيه الفكري يشكل قضية فكرية مهمة قد يغفل عنها الانسان ولفت الانتباه الى قضية المحاور الذهنية للدعاء تجعلنا أمام كينونة الدعاء، ودقة معناه، الكثير من الناس يدركون أن الاستغاثة معدة للذنوب الكبيرة والواقع أن أي ذنب يصدر منا هو تعدد على الله سبحانه تعالى صغر أم كبر؛ لأن بقاء ذهنية التلقي في محور صغر وكبر الذنب اشتغال فيه حقيقة لا بد أن تستخلص وهي: «لا تنظر الى صغر الخطيئة ولكن انظر الى من عصيت» سماحة السيد الصافي يبيّن أن الاستغاثة تأتي في مورد لا معين فيه، ولا بد من الاستغاثة.

الومضة الرابعة:

يستغيث المستغيث بصفات تناسب المقام الذي وضع العبد فيه نفسه الى اختيار انسب الدلالات بين الصفات والحاجة، فمن يريد الرزق لا يدعو «القابض»، وهذا يدل على ان خصوصيات الوجود

ترتبط الى ذاته المتعالية من طريق صفاته الكريمة بمعنى أن الصفات وسائط بين الذات وبين موضوعاته، نطلب الرحمة والاحسان فالعدل والحكمة لا تناسبان الاستغائة.

المحور الثاني: التوسل والفرع الى الله تعالى.

المكون الإيماني والذي يشمل الجوهر المؤمن لهوية التوسل ومفهوم الفرع الذي يتنامى مع الفكر الانساني والثقافة المؤمنة ترسخ لنا بعض المفاهيم التي ينظر اليها خارج موضوع الايمان بتفسيرات أخرى بعيدة عن روح المؤمن مثلاً يعيبون الخضوع والخشوع والتذلل والبكاء للرجل، والتوسل هو أن يتقرب العبد الى الله تعالى بشيء يكون وسيلة لاستجابة الدعاء ونوال المطلوب وجعل هذا الشيء له قدر عن طريق الدعاء.

والتوسل أن يقدم العبد الى ربه شيئاً ليكون وسيلة الى الله حين يقبل الدعاء ويحييه الى ما دعا وينال مطلوبه، وفي كتاب المصباح سلطنا الضوء على ثلاث ومضات مهمة:

الومضة الأولى: التناص القرآني.

يقول الإمام السجاد (عليه السلام): «ويا من الى ذكر احسانه يفرع المفرعون» والمضطر هو الذي لا حيلة له، فماذا يفعل في مورد الاضطرار، وهذا

تناص مع الآية الشريفة: «أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ» [سورة النمل: ٦٢]، والكثير من تلك التناصت القرآنية نجدها على شكل دعاء.

الومضة الثانية: التملق.

والمتملق هو العبد الفطن الذي يعرف كيف ينال رحمت ربه وعطفه ويعرف كيف يجلب المغفرة والعفو الإلهي؛ ليصد بها هجمات ونكبات ويتجنب سخط الله واعراضه عنه، والتلطف في بث الشكويين والتودد بطلب الحاجة التملق في مفهوم السيد الصافي كلمة مذمومة عندما تكون للناس، ولكن التملق في طلب العلم و التملق الى الله تعالى كلاهما ممدوح فادعوه تارة بذكر احسانه، وتارة برحمته وتارة لعطفه.

الومضة الثالثة: التوسل بالأئمة المعصومين.

ومن الوسائل المقربة لله تعالى هم أئمة اهل البيت عليهم السلام والمراد من الوسيلة في قوله تعالى: ﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ [سورة المائدة: ٣٥] هم أهل البيت عليهم السلام، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «الأئمة من ولد الحسين عليه السلام من اطاعهم فقد اطاع الله ومن عصاهم فقد عصى الله، هم العروة الوثقى وهم الوسيلة الى الله تعالى».

وقال أمير المؤمنين عليه السلام في قوله تعالى: «وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ، أنا وسيلته». يرى سماحة السيد الصافي التوسل اليه بالأئمة المعصومين محاولة للطرق على الابواب للولوج الى ساحة الله تعالى؛ لأنه إذا أغلقت هذه الأبواب فلن يفتح أي باب، فلا بد من التملق الى الله تعالى.

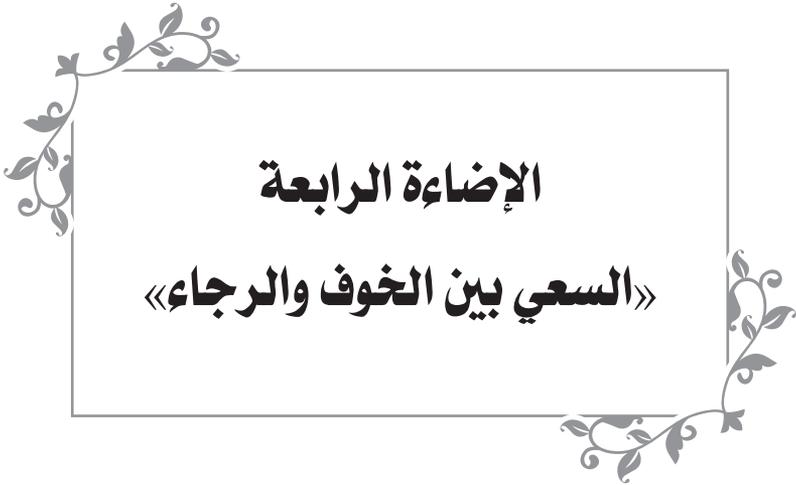
المحور الثالث: السعي بين الخوف والرجاء.

البحث عن القيم في المفهوم الأخلاقي أثناء قراءة معنى الخوف، السلوك الواعي الذي يدرك معناه، فترى فيه آمالا كبيرة للتقى، وهذا التقى هو السبيل المؤدي الى النجاة، عبر معرفة سبل الرجاء، اتقان مهارات التواصل مع الله سبحانه تعالى، حبّ الله يتنامى عبر التربية الصادقة والثقافة الأخلاقية التي يكسبها الانسان من البيت المدرسة، المجتمع، ليعرف حينها أن حبّ الله مقرون بالإجلال والتعظيم، لذلك فإن المحيين الصادقين مقامهم بين الرجاء والخوف وجمع الله تعالى في هذا المقام في وصفه للملائكة المقربين والأنبياء والمرسلين والصالحين، ويبقى المسلم مطمئنا ومتيقظا يحدوه الأمل والرجاء في رحمة الله ومغفرته ويخاف من الله سبحانه، وهذا هو المنهج الوسط العدل، يقول الإمام السجاد عليه السلام: «ويامن لخيفته ينتحب الخاطئون».



الرجاء منزلة عظيمة من منازل العبودية، وعبادة قلبية تتضمن ذلا وخضوعا، أصلها المعرفة والخوف منزلة عظيمة من منازل العبودية، وعبادة قلبية تتضمن ذلا وخضوعا، أصلها المعرفة والخوف منزلة عظيمة وهي من عبادات القلوب التي لا تكون إلا لله سبحانه، إضاءة السيد الصافي في موضوع السعي بين الخوف والرجاء انفتح على عدد من الومضات الفاعلة التي سنتطرق لها في الإضاءة الرابعة.





الإضاءة الرابعة

«السعي بين الخوف والرجاء»

قرأنا في الإضاءة الثالثة العمق الروحي والفكري للكتاب وتوزعت القراءة على خمسة محاور، المحور الأول: الاستغاثة، وفي هذا المحور أربع ومضات عن فكرة الاستغاثة بالرحمة وليس بالعدل وعن غضب الله سبحانه وتعالى والنظر في موارد الاستغاثة والصفات التي تناسب المقام، وفي المحور الثاني تأملنا في التوسل والفرع الى الله سبحانه تعالى، وقراءة ثلاث ومضات، التناص القرآني والتملق والتوسل بالأئمة المعصومين (عليهم السلام)، والمحور الثالث السعي بين الخوف والرجاء وينفتح هذا المحور على أربع ومضات:

الومضة الاولى:

العقل.. العاقل يخاف الله أما غير العاقل هو لا يخشى الله ويركس نفسه في المعاصي الى آخر حياته، وكأنه تمرد على الله سبحانه تعالى وسؤاله عن المعصية، اهون من جحيم جهنم عند العاقل.

الومضة الثانية:

التوفيق.. قال الامام محمد بن علي الجواد (عليه السلام) المؤمن يحتاج الى توفيق من الله وواعظ من نفسه، وقبول من يبصمه فلا غنى للمؤمن عن التوفيق. والتوفيق الالهي يعني التسديد والتيسير، والموفق معناه الى الله، يسر الوصول الى ما يقصد واعانه على بلوغ ما يرغب والكثير

من الناس، سلب منهم التوفيق الى اواخر حياتهم.

الومضة الثالثة:

ينتحب.. قال رسول الله ﷺ في خطبة الوداع «البكاء لله يبني لك في كل دمعة بيت في الجنة، وقال الامام علي عليه السلام البكاء من خشية الله مفتاح الرحمة، والامام السجاد عليه السلام يذكر «ينتحب» فالخاطيء الذي أذنب وسجل عليه الذنب عليه ان ينتحب خوفاً من الله تعالى والنحيب حالة من حالات الحزن والاغراق في البكاء، نصل الى؟ أن يفقأ العيون من الله خوفاً من الله تعالى وحسرة على التفريط من طاعة الله.

الومضة الرابعة:

الرجاء.. قال رسول الله ﷺ لو يعلمون قدر رحمة الله لأتكلتم عليها وما عملتم الا قليلاً ولو تعلمون قدر الله لظنتم بأن لا تنجوا، ويرى الامام علي عليه السلام، خير الاعمال اعتدال الرجاء والخوف، ويقول الامام الصادق عليه السلام، ارج الله رجاء لا يحزنك على معاصيه وخف الله خوفاً لا يؤيسك من رحمته.

سماحة السيد الصافي «دام عزه» يسلط الضوء الفكري على وضع الناس بين حالتي الخوف والرجاء، أي لابد للانسان ان

يكون رجاؤه أكثر، يقول الامام السجاد عليه السلام «كن لما لا ترجو أرجى منك لما ترجو، فان موسى عليه السلام ذهب ليقتبس لأهله ناراً فأصرف إليهم وهو نبي مرسل».

المحور الرابع: الأنس بالطاعة والرضا بالبلاء

يقول الامام السجاد عليه السلام: «يا أنس كل مستوحش غريب ويا فرج كل مكروب كئيب».

الومضة الاولى:

الاستيحاش.. يرى سماحة السيد الصافي ان الاستيحاش مصير انساني سرعان ما يفارق ناسه، لهذا نحن دائماً في حالة استيحاش والدنيا محطة الاستيحاش، وقوة الومض هنا هو ما قاله الامام علي عليه السلام «الجاهل يستوحش مما يأنس به الحكيم» ويرى ان ثمرة الانس بالله الاستيحاش من الناس، وقال الامام الحسن العسكري عليه السلام: «من أنس بالله استوحش من الخلق».

الومضة الثانية:

صور لنا الدنيا بالسجن.. وتشخيص الدنيا بالسجن جاء عبر الكثير من الروايات والوصايا تعبر عن الدنيا بأنها سجن، فالمؤمن لو جاءته الدنيا بزيتها وكل ما تحمل وهو مؤمن لشعر ان دنياه

سجن ايضا؛ لأن الله أعد له أفضل وأحسن وأجمل، فهو يخرج الى حالة أحسن، وليس المقصود المعنى الضيق للسجن المقصود حالة الانحصار في الدنيا.

أولا: يذهب المعنى باتجاه اللا استقرار الحياتي كون الحياة مهما كانت منعمة فهي مهددة بالزوال.

ثانيا: حلم الانسان الرقي والارتقاء والخروج دائما الى حالة أحسن، وهذا اساس الوعي الانساني.

ثالثا: الشعور بالغربة فهو يتعايش مع الحياة بإحساس الغربة من الناس والاطباع.

رابعا: الشعور بأن الحياة تكليف وابتلاء فيتلذذ ويأنس بهذا الكلام ليكون مع الله في قضية استشعار المعنويات.

نص الخطاب تمحور بعدة اتجاهات منها الوعظية المدركة، أي انها بعيدة عن الخطابية المباشرة الصارمة بأفعال الأمر وانما تذهب باتجاه الرؤى الفكرية المؤثرة، وهذا انتج الهدوء النصي فهو لا يحتاج الى صراخ وهيجان صوت بل يقدم بهدوء، وطرح الموروث بفكر معاصر يناقش الواقع الفكري الانساني، عبر انتقادات مدروسة من التراث المعصوم، لتأكد تأثيرها بالناس، لهذا لاحظنا الاهتمام العام

والتزايد في قضية معالجة الدافع الاجتماعي والسياسي حتى صار الناس يؤمنون بأن هذه النصوص الخطابية تمثل انتماؤهم الانسانية والدينية والوطنية، هناك تصورات وهذه التصورات تصاغ بتوجه معرفي، نقدي يعمل على ايقاظ فكر الانسان ومشاعره، أي بمعنى ان النص امتلك العديد من المزايا.

اولا: تبسيط قراءة المنهج المعصوم وتقديم تصورات قريبة عن الناس توائم لغة العصر.

ثانيا: الارتقاء الى مستوى المعالجة الجادة في النهوض لمعالجة مواطن الضعف عند الانسان لغرض تجاوزها.

ثالثا: السعي لخلق انسجام فكري عام مع منهجية فكر ائمة أهل البيت (عليهم السلام).

رابعا: استثمار فرصة الخطاب لتعريف الناس بالمنهجية الرسالية الحقيقية.

خامسا: ضبط الميول لحركة الوجود الاجتماعي، لخلق يقظة انسانية قادرة على مواجهة المستوردات التي تعمل لصناعة استعمار فكري يبعد المجتمعات عن الاسلام ويقدم الدين حسب رؤية سياسية.

سادسا: الارتكاز على المفاهيم النفسية من أجل استمرارية المعلق

بالذاكرة، أي ترسيخ التأثير في الذات الانسانية وعدم حصره في زمن الخطاب المباشر.

المحور الخامس: استشعار الفرج الالهي

لكل محور من هذه المحاور قيم فكرية تناقش مسألتين مهمتين، الاولى: مفهوم النهضة الانسانية لكل ذات فكريا ونفسيا وروحيا، أي بمعنى الايمان بحتمية النهوض.

والثانية: هي الصراع، صراع الايمان مع النزعة الانسانية وخصائصها، لتبرز قيمة الاصلاح في فكرة ائمة أهل البيت عليهم السلام يقول الامام عليه السلام: «ويا فرج كل مكروب كئيب» الشعور بوجود الكرب هو ذاته نعمة من نعم الانتماء، الكرب والهمل لكون الدنيا التي لم تصف لآل البيت «سلام الله عليهم» من الطبيعي ان لا تصفو لنا.

الومضة الاولى: لا بد لهذا الكرب والهمل الانساني ان يعوضه الله لنا في الدنيا والآخرة، فيكون التعويض لحالة عدم الصفاء يتمثل باستغفار الله.

الومضة الثانية: هذا الاستشعار هو فرج، وهذه الومضة أسهمت في تعريف معنى الفرج، كما هو متعارف عند الناس أي انقضاء الأزمة وهي المرحلة الاخيرة من مراحل الانتظار، هنا الفرج له معنى الصبر

والتصابر، يستشهد سماحة السيد الصافي بقول الامام الحجة «عجل الله فرجه الشريف» لمعنى الفرج: «انتظار الفرج من الفرج»
الالتفاتة الاولى: انتظار الفرج يعني العزيمة والتهيؤ الانساني الى الامام الى طاعته وتقواه.

الالتفاتة الثانية: يستطيع المؤمن من خلال هذا التهيؤ ان يؤمن الانسان وسائط الاتصال بالله تعالى الذي هو فرج كل مكروب كئيب.

الالتفاتة الثالثة: مفهوم التقابل لكل صفة موجودة، هناك صفات الهية توازيها، مثل المذنب، الخاطيء، المفرع، نضع امامها، الصفات الالهية نهرع اليها لننجو مما نحن فيه.

وهذا يدل على ان نصوص الصحيفة السجادية، هي نصوص فكرية قادرة على استنهاض الدور الانساني لنصرة القيم الخيرة البناءة التي جاء بها الاسلام العظيم.



الإضاءة الخامسة

«النهضة وتصحيح المسار»

كتاب المصايح لسماحة السيد أحمد الصافي (دام عزه) المخصص لشرح أدعية مختارة من الصحيفة السجادية المباركة، يبحث في الأسس الفكرية التي تشكل مجموع القيم المعرفية الساعية لبناء المجتمع، إثر موائمة الواقع الذي افرزته واقعة الطف، والوضع الخاص الذي عاشه الأئمة (عليهم السلام)، نظر السيد الصافي الى مرحلتين، الاولى ما قبل الواقعة والمرحلة الثانية ما بعد الواقعة، وهذا الفصل بين الزمنين هو الخطوة الاولى، لفهم المعرفة الإنسانية وتحليل المجتمعات، مجتمع ما قبل واقعة الطف.

يشهد التاريخ ان هناك انحرافا كبيرا قد حصل وتراكم في جميع مجالات المجتمع الاسلامي وانحراف الكثير من القيم والافكار وظهور قيم جديدة انعكست على الدين نفسه، رغم ان زمن الارتقاء والايان الذي ترسخت فيه المبادئ الخلاقة التي اسسها النبي الكريم (صلى الله عليه وآله) ما زالت أزمنة ندية لا يفصلها عن هذا الانحراف إلا زمن قريب، حتى ان بعض من عاصروا الامام الحسين (عليه السلام) كانوا قد أدركوا النبي (صلى الله عليه وآله) وهذا يوضح ما تعرض له الفكر الديني من تحريف وهذا الانحراف ابعث المسلمين عن الحق، وهذه التشوهات الفكرية التي تسللت الى بنية الانتماء، استطاعت ان تخلق انحرافا حقيقيا، وبما اننا

قسمنا التاريخ الى مرحلتين قبل وبعد الواقعة سنصل الى مفهوم قيادة كل مرحلة للتعرف على بنية المجتمع وحجم الانحراف، والابعاد السياسية والاجتماعية التي تشكل في تربية مجتمع ما قبل الواقعة.

الانحراف شكل بعدا في مفاهيم المجتمع وتغيير مضامين الدين، حتى ان اهل البيت عليهم السلام الذين هم اساس الانتماء الفكري لمنهج النبي صلى الله عليه وآله، جعلوهم في عزلة اجتماعية وهذا يعني ان البدائل التي وضعها الفكر القيادي القبلي اعاد المجتمع الى مرحلة ما قبل الدين ليستبدل الهوية الدينية بهوية سياسية قبلية تتظم على شكل دولة، وحكومة وسلطة، بمعنى اقرب إن هذا الفكر القبلي ضيع الايمان والفكر المؤمن وفقد الفطرة الانسانية وأبعد المسلمين عن الحق، سواء كان هذا الاقصاء هو عن جهل أو بمنشأ قصدي، والمعروف علميا ان اجتماع الناس على قضية ما ليس دليلا على صحتها، هذا التحريف المموه باسم الدين استطاع ان يسيطر على عقل المجتمع، فيكون الانحراف قادراً على انهاء الدين والاخلاق، وهذا مما دعا الامام الحسين عليه السلام للنهوض الى قيادة الامة في حركة تصحيحية تبعد ما تعرض له، فكان قائد هذه المرحلة هو الامام الحسين عليه السلام.

نصل الى المرحلة الثانية وهي مرحلة ما بعد واقعة الطف،

لقد تم تقويض المرتكز الاسلامي واصبح المجتمع يحارب الدين باسم الدين ويقتل اماما معصوما باسم الدين، ويشنت أهل بيت النبي «عليهم الصلاة والسلام» باسم خلافة النبي، فلا بد لهذه المرحلة من قيادة فكرية قادرة على اعادة بناء الاسلام، فكان رائد هذه المرحلة هو الامام السجاد (عليه السلام) ومهمته هي اعادة المجتمع الى منزلته كما هي في زمن النبي ﷺ، القضية تحتاج الى وقفة تأملية إذ ان اعادة المجتمع الى نهضة هو لا يؤمن بها فهو لا يؤمن بوجود الانحراف اساسا، ولا يدرك ان المنهج الرسالي قد غيروه وبدلوه بمنهج آخر، لا يعرف ان هناك متاهة فكرية وضياع أمة، هناك تأثيرات مصلحية غيرت الفعل الروحي الى فعل مادي.

سماحة السيد الصافي نظر الى واقعية مهام الامام السجاد (عليه السلام)، في أول مهمة لمجابهة هذا المتغير، واجتثاث جذر البغي والانحراف في الأمة، وتقرير السعي الايماني لإعادة قدر الفطرة وتكوين نخبة أو نخب بمستوى الايمان الذي عند اصحاب الحسين (عليه السلام)، ولصناعة مثل هذا المجتمع، يحتاج الى ولاء المجتمع لقيم النهضة الروحية، دون تحريف في منهجية الانتماء، ومثل هذا الموقف يحتاج الى نشر الوعي واستنهاض قيم الروح، لذلك كان التميز الذي شخصه

السيد الصافي بالبركة، وميزة هذه البركة الكثير من الادعية التي هي محط اهتمام المفكرين بهذا الموروث الذي وصل إلينا بأمانة.

الفكر الدعائي قدم لنا ثقافة المناجاة، مناجاة الله سبحانه تعالى وطلب الحوائج الدنيوية والاخروية، ولأن مشروع الامام السجاد عليه السلام هو مشروع الامام علي عليه السلام وهو مشروع مستمد من مشروعية اصلاح الانسان فنجدته ارتبط بمفاهيم وافكار تستنهض الإنسان الى الارتباط بالقيم الإنسانية، الامام السجاد عليه السلام أخرج المجتمع من حالة العجز الفكري الى استنهاض العقل وتأسيس النهضة الفكرية القادرة على تصحيح المسار وتعديل الانحراف السياسي الذي غير معالم الدين، ولتوضيح مهام أدب الدعاء هو أن يجعل الدعاء تسليماً يقينياً يقدم التحميد والتهليل والثناء، وتعقيب الصلاة على النبي وآله، ثم يشرع بالدعاء بالقدرة العقلية لفهم معنى الارتباط بالله سبحانه، بالاقناع العقلي والتسليم لله سبحانه، والدعاء هو قصد وهدف ينشد الدقة، والدقة بمعناها الاسمي تعني قداسة التمثيل بين يدي الله سبحانه وتعالى وبما انه مطلع على كل الامور، لا بد من ترتيب مطلبي دقيق يضمن الاستجابة، اسلوب انتقاء الصفة التي تتوسل بها، ممكن ان نسميها الموازنة بين الصفة والطلب، ويرى سماحة السيد الصافي

ان المواءمة هي مصدر معرفي لا بد ان يرتبط بمفهوم العصمة التي هي اقرب الى فهم العلاقة والصفات ومفاهيم ترتيب الاسماء، ولو ارتكزنا على التجربة الرسالية لأدعية النبي ﷺ لوجدنا ان النبي كان يدعو الله سبحانه بالحرب بشكل يختلف عن الدعاء في السلم، ودعاء نصف الليل غير دعاء الزوال، ودعاء شهر رمضان يختلف عن أدعية الأشهر الأخرى، ودعاء عرفة يختلف عن دعاء عاشوراء، فالأدعية هي منظومة متكاملة، تمثل الفكر وثقافة الانسان، والثقافة تشكل الموقف الفكري الذي يتكفل بفهم المعاني الدقيقة.

إن معرفة كيف ندعو الله وقيمة الرحمة ومفهوم ساحة السيد بالموازنة، مثلاً قول الامام (عليه السلام): «أنت الذي وسعت كل شيء رحمة وعلماً» وسع العلم ووسع الرحمة والرحمة غير العلم، الرحمة شملت كل شيء، والعلم لا تحفى عليه خافية ومع هذا جعل الملائكة شهداء، والاعين والارجل والافواه فهذا من باب الزام الحجة، الله سبحانه مطلع على كل شيء، ونقمة الله تشمل أي مخلوق، ولا احد قادر على ان يمتنع عن ارادة الله سبحانه ولكننا لا نجد في الدعاء الهى وسعت نعمتك كل شيء، إذن تقديم الرحمة والعفو والمغفرة، قدم كتاب المصابيح التحليل والتأمل والفكر، ودروساً تربوية تعلمنا كيف

نتعاش مع الابتلاء مثلا يقول الامام (عليه السلام): «وأنت الذي جعلت لكل مخلوق في نعمك سهما»، وأوضح الابتلاءات هي سوء الظن بالله تعالى في مسألة الرزق.

ويرى سماحة السيد ان مفهوم الرزق في التعامل الروحي أكبر مما هو تعامل مادي، بينما عند الضرر ينقطع الانسان الى ربه يصوم ويصلي ويزور وعند زوال الضرر، ينشغل عن هذا الانقطاع الى الله تعالى، العاقل يتمنى وجود الضيق المادي كي لا ينشغل عن الله تبارك وتعالى، ويوجه سماحة السيد الحديث الى العاقل الذي يحاسب نفسه يوميا، العاقل يتمنى وجود الصفاء الروحي الناتج عن الابتلاء والتضرع لله سبحانه.

سماحة السيد الصافي يشير الى ابرز قضايا المعرفة المؤسسة للوعي الانساني وهي الايمان بأن الرزق عبارة عن مسألة تربوية، يريد الله يربينا بالارزاق، والامام (عليه السلام) يؤسس لنظرية ان رحمة الله وسعت كل شيء، وعلم الله وسع كل شيء، والرحمة تسبق الغضب، وان الله سبحانه تعالى بعد ان يخلق الانسان يتكفل برزقه. لذا فالتأمل بمثل هذه الاشراقات تمنحنا حيوية الايمان وتجعلنا نعيش الامل والسعادة والشعور برحمة الله.





الإضاعة السادسة
«الاطمئنان هوية المؤمن»

الدعاء عبارة عن حالة بقاء وديمومة عن عملية فهم الحياة وبناء مقوماتها، ويؤكد اهل العلم ان مفهوم الدعاء من أهم السنن الباعثة على قوة الأمة وتقدمها، وهو عبارة عن فيض من الحب يتدفق فيما لا يدرك بالمنطق والعلم، ويبقى الانسان بحاجة الى الاشياء التي يحسب بها ان تكامله يساوي تكامل حاجاته، ونقائصه، وهذا ما عبر عنه سماحة السيد الصافي «دام عزه» في تفسيره لدعاء «وأنت الذي لا يرغب في جزاء من اعطاه وانت الذي لا يفرط في عقاب من عصاه»، يقف سماحة السيد الصافي عند الجملة الاسمية التي بدأ بها الدعاء فيجدها تعمل للإخبار على نحو الاقرار كونه حقيقة وصفات ثابتة لله سبحانه، هذه الحقائق نحتاجها لتكون واسطة لنقل الحاجة، يذكر بالمقدمة التحميد ويذكر الانبياء والرسل والنبى محمداً واهل بيته «عليهم سلام الله» قبل ان يطلب حاجته، سر عظيم وراء فلسفة الدعاء يمكن البحث عنه ومعرفة ما نتعلمه من الدعاء كونه عبارة عن معارف عظيمة، وقد شكلت الأدعية أنموذجا في استعمال اللغة استعمالاً متفرداً، يبين قدرة الخالق ومننه المتناهية ويرى سماحة السيد الصافي ان لا مخلوق في أي بقعة يمكن ان يغيب عن الله تبارك وتعالى، عنده الاحاطة التي تسع جميع الخلائق، وهذا ينفعنا

في مسألة المراقبة الالهية لنا من جهتين، الرصد والمراقبة، واستشعار هذه المراقبة في السلوك اليومي لجميع الأفعال، والجهة الثانية المراقبة تمنحنا الاطمئنان والطمأنينة، يقول الامام علي (عليه السلام) فمتى شئت استفتحت بالدعاء ابواب نعمه، وهذا الاطمئنان هو هوية المؤمن يقول الله سبحانه «الابذكر الله تطمئن القلوب» والذكر فيه اللساني عبر اللسان والقلبي عبر القلب وهو الحضور وعدم الغفلة عن ذكر الله، يرى بعض العلماء ان القضية في التفاعل الروحي مع الدعاء، الانسان من خلال الدعاء يتوجه الى الله تعالى بكل وجوده وكيانه وروحه وعقله وقلبه.

الامام السجاد (عليه السلام) يعلمنا البصيرة في الدعاء، والله سبحانه تعالى جعل الدعاء لمصلحة العبد، وقد يؤخر استجابة الدعاء رعاية لمصلحة العبد، ولا عزة للإنسان الا في ظل الدعاء. الدعاء له ابعاده الاجتماعية والاخلاقية وعبادة الله برغبة اي ان يعبد الله ربه بفطرته والتقاء الرغبة بالرهبة من اعلى انواع العبادة، ويرى سماحة السيد بعض الآداب الالهية صعبة على النفس لذلك تحتاج الى مران حتى تحصل الملكة التي تجعل صاحبها يندفع الى فعل الخير، الله يرغب في جزاء العبد، يمتلك الدعاء مهمة تغييرية تبدأ بتغيير الذات،

ومن مهام الدعاء ان يضمن أبعاداً روحية و اخلاقية واجتماعية، فهو سبحانه تعالى يحث الانسان على الشكر «من لم يشكر المخلوق لم يشكر الخالق» سماحة السيد الصافي ينبهنا الى مسألتين مهمتين، الاولى ان هناك أمراً الهياً يتناسب وزيادة العطاء مع الشكر «لئن شكرتم لأزيدنكم» والمسألة الثانية هي ان الشكر يرجع الى منفعة الانسان وليس لمنفعة الله سبحانه تعالى فالله لا تضره معصية من عصاه منهم ولا طاعة من اطاعه، وهذا الامر يقرب لنا مفهومهما، ان الطاعة والعصيان لا تؤثران على الله شيئاً، وهو غير محتاج الى العبد ولا ينتظر جزاء احد منهم فهو سبحانه يقدم العطاء الى الكفرة مثلما يقدمه الى المؤمنين فماذا ينتظر الله من الكفرة، الله غير محتاج، يقبل دعوة المظلوم بهويته الانسانية ان كان مؤمناً او كافراً «اتقوا دعوة المظلوم ولو كافراً» لذلك تجده فتح باب الدعاء للجميع، الدعاء سلاح وضعه الله بين يدي المؤمن ليتغلب على العقبات الدنيوية والمادية ويتنصر عليها، الامام الصادق عليه السلام يرى ان الدعاء من أهم المناهل التي جعلها الله لعباده للورود عليه سبحانه الايمان والشكر والاستغفار والدعاء، قبل الولوج الى المفاهيم الاربعة التي وضعها لنا سماحة السيد الصافي لمفهوم الدعاء نقف قليلاً عند «افزعوا اليه

بالدعاء» الدعاء عمود الدين وهو مخ العبادة، والنبى ﷺ يقول: «ما من شيء أكرم على الله من الدعاء» والمفهوم الثاني هو الاعراض عن الدعاء، الامام الصادق (عليه السلام) يؤكد في أكثر من مكان ان الدعاء هو العبادة، والله سبحانه تعالى يشتاق الى دعاء عبده، ساحة السيد الصافي يفرد لنا عنوان «الحلم الالهي» ليضعنا أمام اربعة مفاهيم.

المفهوم الاول:

ان الانسان أحياناً يتصور حين يعبد الله تعالى وكأنه عمل شيئاً نفع الله به، والله سبحانه لا يتنفع بعبادتنا ولا تنقصه معصية العاصي.

المفهوم الثاني:

يقول الامام السجاد (عليه السلام) «وانت الذي لا يفرط في عقاب من عصاه» مفهوم الافراط، هو عدم تجاوز الحد في مسألة عقوبة العاصي، الله سبحانه يمتنع عن التشفّي والانتقام، لو نظرنا الى واقعة الطف لوجدنا العملية تجاوزت عملية قتل عدو، اسلوب تنفيذ القتل فيه نحو من التشفّي، والانتقام بقتل الحسين (عليه السلام) ثم يداس على جسده الشريف بالخيل، وتسبى العيال ويشتم أمير المؤمنين (عليه السلام)، هذه كلها ليس لها علاقة بمسألة القتل، اليوم نجد ان الدواعش يقتلون ويقطعون رؤوس المقتولين والاعتداء

افراغ الحقد في المقتولين، وبقر البطون وفقاً للعيون، الله سبحانه
يعد نفسه عن روح الانتقام.

المفهوم الثالث:

العاصي الذي يكفر لمدة سنتين كفرضية اي بمعنى يفترض ان
يعاقب لمدة سنتين فلماذا يكون خالداً في النار، القضية لا تقف عند
مدة المعصية بل عند امتداد النوايا التي تبقوهم بالمعصية فنية الكافر
البقاء على معاصيه، وهناك بعض الجرائم لها اثار كبيرة جداً بحيث
تستوجب هذا التلازم.

المفهوم الرابع:

مسألة التمجيد والتعظيم الى الله تعالى بذكر خطاب الله من العدل
والرحمة واللطف والعلم، بالمقابل يذكر صفات العبد من الاساءة
والعصيان والتمرد، وبعد ان افراغ هذه الصفات التقابلية قال «وأنا
يا الهي عبدك الذي أمرته بالدعاء فقال ليك وسعديك».



الإضاءة السابعة
«الرجبة الى الله تعالى»

يرى بعض العلماء ان الدعاء هو الرغبة الى الله تعالى ومعناه استدعاء العبد لربه ليستمد منه المعونة وحقيقة اظهار الافتقار الى الله تعالى والتبرؤ من الحول والقوة، ولا بد من قراءة أدعية الإمام السجاد (عليه السلام) بوعي كونها تعد من أفضل أساليب التربية تأثيراً، وشكلت ثروة روحية وفكرية، علمتنا ضرورة أن نشعر بالتقصير أمام الله سبحانه تعالى، والمسألة الثانية ان للدعاء أحساساً ايمانياً عميقاً تنفتح بأفاق إنسانية خلاقة، مشاعر خلاقة وقيم فيها حياة، يقول الإمام جعفر الصادق (عليه السلام): «ان لله (عز وجل) منزلة لا تنال الا بمسألة».

سماحة السيد الصافي ركز على قضية مهمة هي وسيلة الدعاء، تهذيب وتعزيز الطلب، الذي يبدأ عند الامام السجاد (عليه السلام) بالتمهيد ثم المقدمة وهو بين موارد الشاء وموارد الحمد، وهو أسلوب تربوي التحميد والثناء، ومسألة الاعتراف بما عند العبد وطلب الحاجة، والعنوان الأول الاستقالة من الذنوب وطلب العفو، وهناك موارد ذكر الدعاء وجاء في القرآن الكريم «ادعوني استجب لكم» وكان شيئاً متوقفاً على شيء، ونقرأ «أمن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء»، وهذا مورد الحاجة يقول الامام السجاد (عليه السلام) «وأنا يا الهي عبدك الذي أمرته بالدعاء فقال لبيك وسعديك»

ساحة السيد يرى ان القضية تذهب لعدة محاور:

المحور الأول/ الدعوة:

«ادعوني» الخطاب من عند الله سبحانه تعالى، وأرضية الخطاب البعد الروحي، تتحول العلاقة بين الأنا الإنسانية والأنا الإلهية الى علاقة عشق روحية، لذلك التعبير عن الدعاء بأنه منح العبادة وادعوني تعني الانقياد الى الله تعالى، فقال سبحانه تعالى ادعوني، لا بد ان أدعوه؛ لأن الله سبحانه وتعالى هو الذي طلب مني، بعدما أمرتنا يا الهي بالدعاء قلت لبيك وسعديك، إني ادعو، هيأت نفسي الى أن اقف هذا الموقف.

المحور الثاني: الثقة

لا بد للإنسان أن يعي قضية الكيفية الروحية والنفسية التي يتوجه بها الى الله من صدق التوجه والاخلاص في الدعاء، والثقة بالله واستشعار الحاجة والفقر اليه، الثقة بالله تبارك وتعالى مهمة أن يكون ظن الانسان بالله حسنا دائما، بمعنى لا بد للإنسان ان يتهياً لكل الأشياء التي أراها الله سبحانه وتعالى، الرغبة الانسانية ليست هي التي تقرر سير الحوادث والدعاء لا يخرج عن حدود التقدير والتوجيه الالهي، الانسان يمتلك قصور رؤية وضيق افق، لا بد من



الخضوع لإرادة الله تعالى والتعامل مع الرحمة الربانية.

المحور الثالث: الاعتراف

يعني ان الاعتراف المسبق بالعبودية بعبوديته ووحدانيته والاعتراف بين يديه بالذنوب وإظهار الحاجة والفقر وهذا يحتاج الى الاحساس الصادق بقبول التوبة والاعتراف بالذنب. ويرى سماحة السيد ان مثل هذا الاعتراف لا ينبغي ان يولد عند الانسان الشعور بالفضيحة، ولأن الله تعالى مطلع على جميع الأعمال سواء اعترف الانسان أو لم يعترف، والاعتراف اقرار بالرغبة في ابدال السلوك، يريد الانسان ان يقول إلهي قد أذنبت وجئت تائباً فاقبلنا، الفحوى المضمونية في ذلك الدعاء الشامخ من الاساليب، واستوقفني الكثير من التأملات العميقة في هذا المضمون:

١ « التمثيل:

سماحة السيد الصافي تأمل في مفردة «مطروح» الإمام عليه السلام يقول: «وها أنا يا رب مطروح بين يديك»، أي بمعنى الامتثال أنا أمتثلت لك وطوع أمرك فاصنع بي ما شئت.

٢ « التصوير:

يقول الامام السجاد عليه السلام «أنا الذي أوقرت الخطايا ظهره» صور



الذنب بالشيء الثقيل على الظهر، هذا تطوير الحالة تصور لنا الانسان وهو يحمل الاثقال ويئن بثقلها ويكون محدودب الظهر، ويتوسع السيد الصافي في مفهوم الوقر الثقل، فهو اشتغل على مساحة نفسية إذ نسب الفناء الى الذنب «وأنا الذي أفنت الذنوب عمره» بؤرة مضمونية لابد الانتباه إليها، الامام أراد أن يصور لنا ان الإنسان عبارة عن قطعة من الذنوب التي أودت بظهره وعمره وقد فني كله بالذنوب، اشارة بليغة الى معنى الانغماس في الذنوب، ليصل بنا الى مفهوم أوسع هو سبب هذا الانغماس وهذا العصيان يعود «وانا الذي بجهله عصاك»، هنا يرى سماحة السيد ان مفهوم الجهل ليس معناه عدم العلم، بل يرى ان تلك الجهالة تعني السفاهة أي بمعنى أني لم أتدبر عاقبة أمري فعصيتك.

الاقدام على المعصية هو عين الجهالة، قد يسوف العاصي لنفسه التوبة بعد الذنب، فتنقاد الى المعصية، وهذه مانعة للتوبة مهما بلغ العمر، لا تولد عند النفس اصراراً على التوبة وهذه جهالة، لكونه يعلم بها لا يجهلها، وجاء في كتاب المصاييح كثير من المسائل التي يجب التركيز على مضامينها ومنها قضية الإقبال على الله تعالى، اثار العديد من المرتكزات المهمة في هذه القضية منها:



- الاثر الروحي:

اثار ائمتنا عليهم السلام هذه القضية بأطر متعددة، قال الامام الصادق عليه السلام:
«ان الله عز وجل لا يستجيب دعاء بظهر قلب ساه» وهو مأخوذ من كلام
جده أمير المؤمنين «لا يقبل الله دعاء قلب لاه»، وكل إمام له دعاء
مرتبط بالله تعالى بصورة أو باخرى؛ لأن عملية الدعاء الى الله تعالى
لها اهمية كبيرة.

- الاثر المعنوي:

التركيز على هذه الامور بالدقة من المطالب المهمة جدا، التي تزيدنا
ايمانا وترسخ عقيدتنا وتزيد من معنوياتنا النفسية، فليس الدعاء مجرد
استئناس ذهني او قضاء وقت بل هو مهم في تأثيره الايجابي.

- الانتفاء:

نقطة جوهرية اثارها هذه التحليلات المهمة، فهذا الكم الهائل
من الادعية ورثناه، وهو مسؤولية لابد ان نتحملها كونها تعني
جوهر الانتفاء الى مدرسة اهل البيت عليهم السلام.





الإضاءة الثامنة

«نعمة التقوى»

البحث في جماليات الرؤية والمضامين التي تثير المعرفة، يقرب مدلول الصحيفة السجادية المباركة ومكوناتها المعرفية الى العمق النصي والمضموني، من الموضوع الكلي الى عنوانات فرعية لتبسيط عملية التناول التفسيري على شكل جسور توصيلية تمتد بين عنوان، وعنوان وينفتح على الحوارات الداخلية والخارجية بين الذات الانسانية والذات الالهية، يتدئ هذا الفصل بعنوان «نعمة التقوى» لنظلم منه على البشارة بلغة متقنة بحوارات روحانية، تحفل بالتواصل التعبيري لمفهوم التقوى، كسب الرضا الالهي تجنب المعصية وتدارك التوبة وميزان قبول الاعمال والرزق والتقوى تؤدي الى الصبر وتقي الانسان من الضرر، البشارة بهذا الاحساس تعني المثابرة والعمل والتكامل في العبادة وبث روح الوعي لتخرج الناس الى قيمهم الروحية ينهلون منها تلك البشارة التي تعني قوة ارتباط الانسان بالله سبحانه تعالى، يتحول الألم والأذى الى معنى الرجاء، رجاء الله سبحانه وتعالى، والذي يبعدها عنا الشعور بالتعب والنصب والجهد والادبار، ويرى أهل الفكر ان تراجع مستوى المعيشة قابله تطور ونضوج المستوى الفكري والثقافي، التقوى معنى الاستشعار بالحاجة الى الله، هذا الاستشعار يعطي الانسان اللذة والقوة ولذلك

ورد ان «دعاء المؤمن» عملية الارتباط سكية وطمانينة، فلا بد لنا أن ننظر الى تلك الأدعية وهي بروح التعبد والتوسل مع وجود البعد الجمالي المتأهل في ثراء المضمون، سماحة السيد الصافي «دام عزه» يتحدث عن البكاء، البكاء الكاشف للندم، لتأمل قضية البكاء عند الناس ينهي الكآبة والحزن والآهات، وبعض الناس يراه وسيلة لتحسين النفس، البكاء الى الله، بكاء الخشية بكاء ليس فيه انكسار، انتقال البكاء الى معنى آخر، الانبياء والاولياء عرفوا بكثرة البكاء، البكاء أمام الله شعور لا ذلة فيه ولم يكشف سرا فالله سبحانه يطلع على كل شيء، البكاء الى الله بكاء نافع للنفس، فهذا من عزة النفس لا من الخور، لا يعني ترك العمل والامل بل البكاء هو الدعاء، لإحياء روح الامل في النفس، النصوص السجادية تمتاز بالشمولية والعمق والمرونة لمعرفة القوة الكامنة للمعنى.

البكاء يمنح الانسان الطمانينة لكونه يؤدي الى تفاعل أنشطة الدماغ ويؤدي ايضا الى الانبساط الباطني ويصعد روح الشجاعة، والذي يبكي لله نجده دائما يمتلك شخصية قوية وثقة بالنفس، أي بمعنى وجود قوة قريبة عند الانسان، البكاء في مفهوم علم النفس بكاء فعلي وليس انفعالياً يصدر من الفعل الواعي، بكاء الصحيفة السجادية بكاء فعلي صادر

من العقل الواعي يساعد الانسان ليحذر من الاخطاء والكبوات، اما التذلل الى الله تعالى لها معنى التعلق للوصول الى الله تعالى، وهذا تجلي الحضور الالهي، لتبرز قيمة المعرفة، فالإيمان تطهر والصلاة تنزيه عن الكبر، والتذلل وتمريغ الوجه في التراب تذلل لله، أي اظهار التسلم التام بالتذلل والاذعان، انزال قامته الى الله ليتجاوز الله عن سيئاته ويوضح لنا ساحة السيد أن سؤال الامام السجاد (عليه السلام) «أم أنت مغن من شكا اليك فقره توكلًا»، الغنى هو نسبي والغنى الحقيقي الى الله تعالى فقط القاعدة القرآنية قوله تعالى «الله هو الغني الحميد» كل موجود غير الله هو فقير، الله هو الغني المطلق والتوكل على الله يجعل كل أمور الانسان الى ربه - الارتباط - التوكل صفة من صفات الانبياء والاولياء، لو تأملنا في قضية التوكل سنجد المعنى يتعلق بقوة الايمان، وتعني الاسترسال مع الله تعالى الاعتماد عليه نوع من الافكار صفة لا يبلغها اي أحد.

يسعى ساحة السيد ليوصلنا الى نتيجة، أن الدعاء والتعفير والتوكل عوامل تساعد على تحقيق غاية الدعاء «إلهي لا تخيب من لا يجد معطيا غيرك»، لا يوجد معط غير الله فلا أحد يعطي إلا ما شاء الله، حقيقة العطاء مقتصرة بالله تعالى، الامام (عليه السلام) يقول «إلهي لا تردني خائباً خالي الوفاض»، والله لا يبخل ولا يمنع ولا يضر ولا يترك عبده سبحانه وتعالى.



الإضاءة التاسعة

«مفاهيم الدعاء»

أدب الدعاء عند الإمام علي السجاد عليه السلام ثقافة فكرية رفيعة مشحونة بالحكمة والبلاغة، والتأمل فيها من لغة ودلالة تضع الجميع حسب رأي سماحة السيد أحمد الصافي دام عزه أمام مسؤولية الادراك لأن أدعية السجاد عليه السلام تحتاج إلى وعي روحي يستوعب التفاعل، أي ان يكون الإنسان بسماوات وروحية الإمام المعصوم عليه السلام.

ان نتقمص - حسب تعبير سماحة السيد - شخصية الإمام عليه السلام، ان نعيش فيها لحظات الدعاء أو تعيش فينا، وهذا التقمص سيجعلنا نتفاعل قلبيا وروحيا، ونصل من خلال هذه الروحية إلى الاستجابة. سؤال يطرح بيننا دائما: كيف للإنسان ان يعيش بلا دعاء؟ ليس لكونه خطاب التماس للحوائج توجه من العبد إلى ربه، بل هو ركن اساسي في حياة الانسان.

إن الدعاء هو خروج عن دائرة المقدره وطلب تهيئة الاسباب، فلا بد من وجود كل روحية الانسان وكل وجوده، ولهذا يرى سماحة السيد الصافي دام عزه "إننا نحتاج إلى ان نتفاعل مع قضية الدعاء، ونحتاج ان نستنطق الكلمات التي ذكرها الإمام عليه السلام، أي ان الانسان عندما يخترع صياغة معينة للطلب قد لا يوفق إلى توأمة الكلمة

بالصفة الإلهية والتأثير الحياتي للصلاة على محمد وآل محمد لذلك جاء الموضوع بعدة محاور مهمة للتأمل فيها.

المحور الأول/ الآثار المهمة:

يروى الأئمة عليهم السلام قضية مهمة لا بد ان ترسخ في ذهنية المؤمن، ان الانبياء حين كانوا يتوسلون بالله سبحانه كانوا يتوسلون بمحمد وآل محمد «صلوات الله عليهم أجمعين» من أجل تسهيل الامور، يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «بالصلاة تنالون الرحمة، فأكثرها من الصلاة على نبيكم وآله»، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من قال صلى الله على محمد وآل محمد قال الله «جل جلاله» صلى الله عليك فليكثر من ذلك».

المحور الثاني/ المعرفة:

تعني الاستدلال بما عرف من الاسماء والصفات على ما يفعل، الفعل بمقتضى الاسم والصفة ليصل به إلى اليقين، ويصل بها مرتبة الاحسان والمعرفة التي يقصدها سماحة السيد، هي حقيقة الايمان، هي معرفة كيفية فتح باب الله تعالى، وكيفية الطرق عليه.

المحور الثالث/ ارتباط الدعاء بالصلاة:

تعد من الاسرار العجيبة هي قضية الترابط القوي بين الدعاء وحضور شخصية النبي صلى الله عليه وآله فيه، مجرد ذكرهم يساعد على فتح ابواب

كثيرة من الرحمة، جرى التنبيه على هذه القضية باعتبارها من رحمت الله سبحانه وتعالى، يقع الولاء في امتداد الولاء لله «عز وجل».

المحور الرابع / أهمية الصلاة:

برزت أهمية الصلاة من قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ «الأحزاب/ ٥٦»، ويقول رسول الله ﷺ: «الصلاة عليّ نور على الصراط»، ساحة السيد الصافي ركز على معنى بأن الإمام السجاد (عليه السلام) لا يذكر النبي ﷺ في دعائه لكونه من أجداده، قد يظن البعض أن القضية متعلقة بالنسب، وإنما يذكره؛ لأنه مفتاح مهم واسلوب من اساليب التربية.

المحور الخامس / الدعاء المضمون الاجابة:

ركز كثير من العلماء على وجود علاقة بين الدعاء ومفاتيح الاستجابة، ويرى أولئك العلماء هناك من لا يحسن نشر الدعاء ولا يحسن السؤال وطلب الدعاء من الله سبحانه، ولهذا ساحة السيد الصافي يستشهد في تشخيص الإمام الصادق (عليه السلام) في قوله عن الدعاء: «لا يزال الدعاء محجوبا حتى يصلّي على محمد وآل محمد»، والإمام (عليه السلام) يقول: «من كانت له حاجة فليبدأ بالصلاة على محمد وآل محمد، ثم يسأل حاجته ويختم بالصلاة على محمد وآل محمد»، فعلى الانسان

أن يستفيد من هذه الرحمة في سبيل التقرب إلى الله تعالى، والاعتماد على دراسة مضمونية لنصوص الأدعية والبحث في سمة الانتفاء المضموني إلى مدرسة أهل البيت عليهم السلام، والبناء الفكري الذي جعل الدعاء يصلح لكل زمان ومكان.

المحور السادس / محط الرغبات:

التحليل الفكري للدعاء يجعلنا نتأمل في المضامين، ويقول الإمام السجاد عليه السلام: «ولا تعرض عني وقد اقبلت اليك»، الإعراض هنا في البعد التفسيري، إلى التصوير لحالات الإعراض، اذا اعرض الله عن العبد فان العبد لو أجمع كل قوته فهو لا ينفعه ابدًا، ولهذا سماحة السيد الصافي يتفحص كل مفردة دعائية وضرورة معرفة الانسان لأهمية الدعاء، والله «جلّ وعلا» ليس من صفاته الإعراض، فهنا يأتي سؤال من سماحة السيد الصافي: لماذا يطلب الإمام ان لا يعرض عنه؟ والله سبحانه تعالى لا يعرض عن أحد، والإجابة هي: ينظر العلماء إلى ان الدعاء هو نزوع فكري وتأمل وارتفاع بالنفس حول الله سبحانه كفعل محبة، وعبادة لمن منحنا الحياة، استغراق الوعي في الله سبحانه والرجوع إليه «انا لله وإنا إليه راجعون» يخيل

للإنسان ان الرجوع إليه بعظيم ما يحمل من ذنوب ان الله تعالى قد يعرض عنه وهو مؤمن، ان الاعراض ليس من صفاته تعالى، قيمة الفكرة المعروضة هل الله يفرح بعقوبة انسان، طبعاً سيكون الجواب ان الله يفرح لتوبة الانسان، والسبب ان الله تعالى لا تضره معصية من عصاه ولا تنفعه طاعة من اطاعه، والله سبحانه لا يريد للعبد ان ينتهي به المصير إلى السوء، والدليل ان الله فتح ابواب الحسنة بعشرة، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له، تؤدي هذه إلى النتيجة إلى أكثر من ومضة فكرية.

الاولى: ان ذكر الصلاة على محمد وآل محمد من الوسائل التي تؤدي إلى الاستجابة.

الثانية: ليس من صفات الله الإعراض، لذلك ابتدأ بها الامام (عليه السلام) «ولا تعرض عني»، اي ان العبد وصل إلى انه استوجب الاعراض، فيتوسل ويرجو الله ان لا يعرض عنه.

الثالثة: الاقبال عليه بارادة واختيار وعن بصيرة يحییء الانسان إلى الله تعالى؛ لأنه مورد كل خير.



الإضاءة العاشرة

«الحرمان»

عملية الحوار مع المضمون الدعائي لفكر الإمام علي السجاد (عليه السلام) في الصحيفة السجادية، هي محاولة للولوج الى العمق الفكري من خلال تحليل فقرة من فقرات الدعاء للتعرف على معانيها القصدية.. ساحة السيد أحمد الصافي «دام عزه» في كتابه المصايح يوضح لنا مسألة مهمة، وهي: ان تلك الأدعية تعبر عن ذواتنا نحن لا نستطيع أن نجرد أنفسنا من مضامين تلك الأدعية، وعندما يصل الإنسان بوعيه الى أهمية المناجاة مع الله سبحانه تعالى سيدرك حينها معناه، والمعنى الحقيقي للإنسان حين يمتلك القدرة الروحية لمعنى تلك المناجاة، والحصانة الروحية تأخذ أبعاداً أكبر من مفهومها العادي لتصبح الحصانة هي اللجوء الى الله «عز وجل» وعدم الابتعاد عنه.

يرى السيد الصافي «أعزه الله» أن أقسى الحرمان حين يُسلب من الإنسان هذا التوفيق للوقوف على قدرة هذه المناجاة على خلق الأمان والاطمئنان داخل ذواتنا، وأن تحليل المضمون هو إدراك لمعنى نشر الوعي الإنساني وبيان مفهوم الطاعة. حيث يقول الإمام السجاد (عليه السلام): «فإن الشريف من شرفته طاعته»، يدعو الإنسان وهو لا يجرمه من طاعته، فالكفرة الان ينعمون بالدنيا أكثر من المؤمنين بالحس والتجربة المؤمن يعاني من الألم والأذى، الحرمان لا يعني الحرمان

من الأمور المادية، بل هناك حرمان أكبر، الإمام زين العابدين (عليه السلام) يدعو الله: «لا تحرمني وقد رغبت إليك» الاكتفاء بالمعنى الظاهر للحرمان سيبعدنا عن الجوهر القصدي الكامن في معنى الحرمان.

في دعاء الامام السجاد (عليه السلام) عندما يرغب الإنسان الى أحد، وهذا الأحد اذا كان كل شيء بيده، وأفضل شيء يوفق له هو مناجاة الله ومخاطبته، والوقف بين كل مفردة في الدعاء تعكس لنا العمق الفكري ومستوى فهم العلاقة بين الإنسان وربه، صاحب القدرة واستخراج المعنى أو المضمون الجوهرى ركن أساس من أركان الجهد النقدي المعاصر لأجل توصيل القصد الوعظي الى المتلقي، وهذا الفهم لا يتقيد بمستوى المتلقي وإنما العمل في حقل البحث المضموني داخل النص الدعائي، فلو أخذنا مفردتي تفتقد الطاعة، فنجد الإنسان يحرص ان يفتقد في المعصية أي لا يذكر اسمه ومعناه عند المعصية، ويحرص أن يكون في أماكن الطاعة. الحرمان أن يُذكر في المعصية ويُفتقد في أماكن الطاعة، وهذا الحرمان الذي يوصل الإنسان الى الندامة.

فهم المفردة يقرب لنا الأداء المتحقق لمعنى الدعاء بما يمتلك من جمالية الأداء تظهر عند تحليل الخطاب «ولا تجهني بالرد وقد

انتصبت بين يديك»، وبهذا يركز سماحة السيد الصافي «أعزه الله» على شرح لفظة «تجهني» .. وهي مأخوذة من الجبهة، الإنسان إذا أقبل يدفع ويضرب في جبهته، كناية عن المنع فيمنع من خلال الجبهة، وبالتالي يرجع القهقري بخفي حنين، وسعى لاستثمار وصف الجملة لتعميق الكشف، بعض الأعمال ليست لها قيمة في موازين الله تعالى، وهذا يعني إن الله تعالى عنده شرائط وموازن لقبول الأعمال.

الدعاء خطاب روحي يصاحب الحوار مع الذات الإلهية في ظل أجواء روحانية للأعمال ظاهر وباطن، أي لا يحقق العمق الظاهر بالإصلاح شيئاً؛ بسبب العقيدة غير الصحيحة، العقيدة كما يعرفها السيد الصافي هي المنشأ، الصلاة التي هي عمود الدين تبطل إذا كانت العقيدة غير سليمة وترفض، وهذه هي القيم الروحية، والدروس التي ننهلها من الدعاء، وأن يستثمر المعنى الواضح لأداء العقيدة فأى عمل خارج شرعية الله يعد غير مقبول.

العقيدة هي الالتزام بالشرعية، وهذا الالتزام أيضاً يتعرض أحيانا لمجموعة من الأمراض، كالرياء والغرور، وقد يتصور الإنسان أنه صاحب فضل على الله.

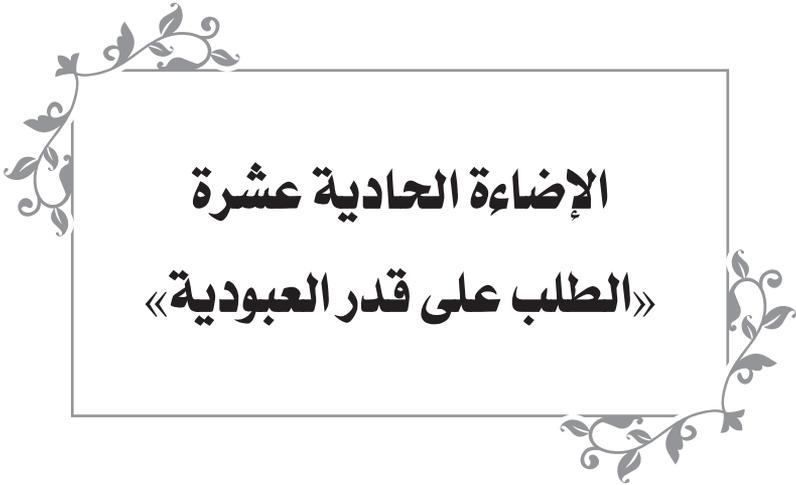
التأمل في عوالم الدعاء يأخذنا الى أبعاد حياتية ناتجة من ثراء

التجربة الإنسانية، يروي لنا السيد الصافي قضية عن شخص معهم في السجن، كان مغروراً بسطحية ثقافته، فهو يقرأ بعض الكتب المتنوعة والتي جعلته يتصور ان له مستوى عقلياً يؤهله للاعتراض على فتاوى السيد الخوئي «قدس سره»، لكونه ليس من أهل العلم أصلاً، ويشخص سماحة السيد هذه التركيبة العقلية التي يملكها هذا الرجل، بنسيج الأفكار المتشابكة إثر تنوع القراءات غير المتجانسة أصلاً وغير الاختصاص قد تكسب بعض الثقافة النوعية التي تجعله يعرف شيئاً عن كل شيء كما يقولون، لكن الشيء الذي يعرفه كمعلومة لا تستطيع أن تمنحه صفة العلم المتخصص، فتوهم درجة العلم حتى وصل الأمر به الى أن يترك الصلاة.

قراءة الموروث الدعائي بالتأمل والمتابعة ثري المتلقي وترسخ فيه مفاهيم الدعاء وفتح آفاقاً للاكتشاف، وسماحة السيد الصافي «دام عزه» يرى ان الأمراض الروحية تبدأ من نقطة، ثم تتشعب، الى ان يصل بهذا الإنسان أن يشكك حتى في البديهيات، بعد ذلك يترك كل شيء ويكون له مفهوم خاص، ويصل الى مرحلة أنه يصل بنفسه ويصل آخرين معه، هذه التدايعيات تكشف لنا مفهوم التوفيق وكيف يسلب من الإنسان، ويعامل الدعاء معاملة التحليل الأسلوبي، كما

يكشف مكونات المضمون الدعائي واستنطاق بعض محاور هذا الخطاب والمقاربة بين خصائص الدعاء بين الواقع الحياتي ليروي لنا عن المرحوم «أحمد أمين» صاحب كتاب التكامل في الإسلام، أحد الوجهاء أوصى أولاده إذا حلت به الوفاة وطلبت منك القرآن فلا تأتني به، وحين دنا الأجل وهو يحتضر طلب المصحف وحين أعطوه القرآن الكريم فعل فعلاً مشيناً، وهذه الحكاية تبين لنا معنى التوفيق، وصياغة رؤية لمعنى ابتعاد التوفيق.

السيد الصافي يبحث في المعنى اليقيني عندما لا يتدارك الإنسان عملية تأخذه العزة بالإثم، فيمر هذا العمل الى أعمال أخرى وتكون سلسلة سرطانية متنامية قد تؤدي بالإنسان أن يترك دينه. ويسعى سماحته باستخراج المعنى أو المضمون الجوهرى، ولا يضيف الى جمالية الدعاء شيئاً لكنه يضيف الى المتلقي أشياء كثيرة، قدرة إدراك المتلقي لا تتبع قانوناً منطقياً وإنما لمفهوم قراءة النص بما يمتلك من رؤى وحكم معبرة عن الوجود الإنساني وهو يطلب من الله تعالى طلباً يكون بمستوى عبوديته وبمستوى ربوبيته.



الإضاءة الحادية عشرة
«الطلب على قدر العبودية»

أغلب الدراسات تطرح قضية الفكر النموذجي التربوي المسلم، وقد تتنامى عن قصد أهمية الفكر الإنساني التربوي عند الإمام السجاد (عليه السلام)، فهو اشتغل في بناء الفكر الرسالي الإلهي الذي تسامى على النظريات والتنظير، وهو ليس ابن حقبة زمنية بل هو ابن الفكر في جميع آياته.

يرى سماحة السيد أحمد الصافي «دام عزه» في كتابه المصابيح مستويات الاستجابة الإلهية ويقف عند حدود قوله تعالى: «وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنَّ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا» «الفرقان/ ٢٣»، من الطبيعي إن واقعية الفكر الإلهي تسمو على كل الواقعيات.

العالم يتحدث عن ماهية الحرب والقوة والنظم الحاكمة؛ كونها تمثل عنده قيم الحياة، وهناك من ينظر باهتمام الى القيم السياسية والاقتصادية والثقافية باعتبارها مقومات الوجود الإنساني، ونعمة العقل التي وهبها الله «عز وجل»، والتي يركز عليها الأئمة (عليهم السلام)، للاهتمام في المسائل الروحية وارتباطها الفاعل بمسبب الأسباب.

الإمام السجاد (عليه السلام) يوقظنا من سبات التنظيرات السياسية والفكرية المؤدجلة ليضعنا أمام جملة «فجعلناه هباءً منثوراً»، ماذا لو كان هناك قبول إلهي لعمل تلك المجتمعات؟.

يرى سماحة السيد الصافي إن القضية ترتبط بمستوى ما عملوا، بمستوى العبودية الى الله سبحانه، وبمستوى ربوبية الله تعالى لنا، ويرجح سماحة السيد الصافي إن الإنسان العاقل لا بد أن يفكر بتفكير يتناسب مع رحمة الله، امام هذا الوجود الإنساني ومواكبة التفكير الإيجابي المقوم لتصرفات الإنسان، فيفترض وجود إمكانية أن تعرض على كل واحد منا تصرفاته سيرى الكثير منا إنها لا تتناسب معه كإنسان عاقل مفكر، وكأن لا يوجد في الدنيا غير المال والأكل، ولا يرضى عن الغلظة والكذب والزور والبهتان ويعتبرها شطارة رزق، لهذا عالج الإمام زين العابدين عليه السلام الأسس الفكرية التي أتخذت عبر زيف المجتمع.

نحن أمام غزو فكري سلطوي شنته السلطات السياسية فحرفت سبل الإيمان والثقة بالنفس والانقياد التربوي لله سبحانه تعالى، وهذه التربية المخطئة هي ليست عيباً في النهج الإسلامي، هذا ما أراد توضيحه سماحة السيد الصافي عبر خطاب الإمام السجاد عليه السلام في مناجاته، وليكشف ضعف التربية التي تعودنا عليها، فهذه التربية ليست على منهجية الدين ولا منهجية رسول الإسلام، ولا منهج أهل البيت عليهم السلام، ثم يتجه الى مسألة ذات أهمية وهي مميزات وخصائص

دعاء الإمام، الالتزام بأدعية أهل البيت عليهم السلام، يجنب الإنسان الوقوع في الخطأ قد يلفظ عبارات يجهل موقع الطلب من الصفة.

يرى بعض المفكرين ان البعض من الناس في حالة اليأس أو الانفعال الشديد قد تخرج منه كلمات تعبر عن عدم الرضا لأمر الله وقضائه حتى لو كانت بغير قصدية أو دون عمد. الدعاء روح العبادة، وهذه الحقيقة الساطعة عند أهل البيت عليهم السلام والدعاء ضرورة، وتشخيص سماحة السيد الصافي في قضية المعرفة، معرفة الدعاء، معرفة الجهة، والقدرة والبحث عن أفضل مفردات الرجاء والتوسل.. لذا علينا ان نتعلم أدعية أهل البيت عليهم السلام، والتركيز هنا على المعنى الضامن للحاجات، بعض الناس يسأل الله المال، الصحة، العافية في دعائه، الإمام يوجهنا الى قضية أهم وأساسية، الحاجة ووعي الحاجة، ورفع الحاجة الى الله، الإمام يقول في دعائه «ولا تعرض عني وقد اقبلت عليك»، السؤال المهم، إذا عرض الله عن الإنسان فما نفع الصحة والمال والجاه؟ فإذا عرض الله عن الإنسان لا ينفعه أي شيء، لو نال مال الدنيا.

تشخيص سماحة السيد الصافي بأن الإعراض هو سقوط من عين الله تعالى ولهذا لم تعد لهم قيمة، ومثل هذا الصنف موجود في كل

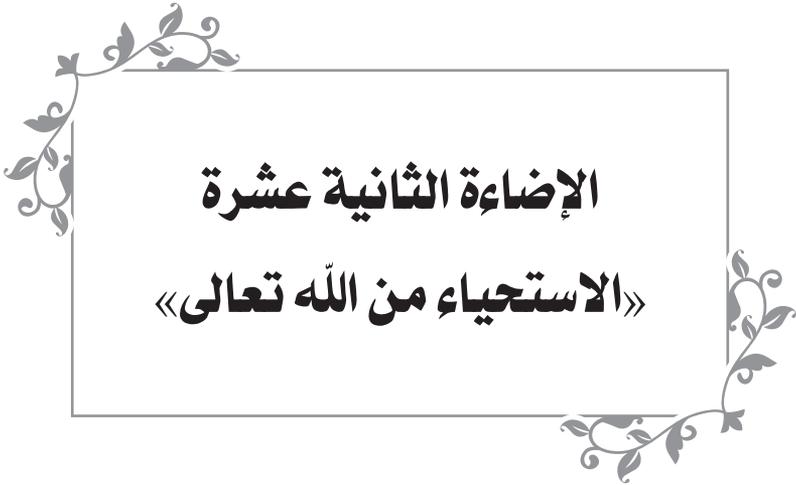
زمان ومكان ومنه موجود الآن، لو أردنا وفي موضوع الوفاة برغبة وثقة، والرغبة والرغبة والخشوع حالات نفسية تؤكد وعي الإنسان لمغفرة الله وخوفه من عقوبة الله ورغبته فيما عند الله من الرزق الحسن والثواب، وهناك ثلاثة أمور مهمة يركز عليها عليها سماحة السيد.

«الاولى»: الحرمان، والرغبة: حيث يقول الإمام السجاد (عليه السلام): «ولا تحرمني وقد رغبت إليك»، إذا حرم الإنسان من التوجه إلى الله تعالى فما قيمته؟ حاله حال أي مخلوق آخر ليس له عقل، المعنى إن الإنسان يدرك الخاتمة ويعرف إلى أين هو الخيار؟

«الثانية»: سبل النجاة، الاضطرار: «أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء»، هو حالة نفسية تؤكد وعي الإنسان لحاجته وفقره إلى الله تعالى، ووعيه لانقطاع كل وسيلة وسبب النجاة والنجدة إلا من عند الله «عز وجل».

«الثالثة»: هي الإجابة، حيث تأتي على قدر وعي الإنسان وفقره واعتذاره إلى الله تعالى، وهنا سماحة السيد الصافي يرى إن الإنسان يطلب من الله طلباً يكون بمستوى عبوديته إلى الله سبحانه وتعالى كي لا يجعل أعمالنا هباءً منثوراً.





الإضاءة الثانية عشرة
«الاستحياء من الله تعالى»

يشتغل كتاب المصايح لسماحة السيد أحمد الصافي «دام عزه» بتحليل مضامين الادعية السماوية، وهي عملية حوار مع النص لفهم المعاني الواردة في الصحيفة، والتفاعل معها إنسانياً؛ كون هذه النصوص قيلت قبل قرون، نصوص حية قادرة على مسيرة الحياة بكل تنوعاتها، والتاثير على المتلقي بمعنى أن يكون لكل جيل وزمان قراءة جديدة لتلك النصوص.

يرى معظم النقاد أن عملية المضامين معبرة عن الناس ونحن نجدها معبرة عن الموضوعية، وحتى اثار الواقع النفسي لتلك المضامين في الانشاء والتحليل تكون بتماس مع الواقع الشعوري.

ويرى سماحة السيد الصافي إن جمل تلك النصوص مؤثرة جداً، لكن العبد لا يستطيع ان يصل الى كنه الدعاء وحقيقته الا اذا مارسه، ولا يصل الى حالة الاتصال بالله سبحانه وتعالى الا اذا مارس الاتصال مع الله تعالى، وبرزت اهمية تحليل النصوص لعلاقة هذا التاثير الذي شخصه سماحة السيد في الجملة وعلامة ذلك الاتصال، بالفهم والاستيعاب. فالعملية لم تكن سهلة، وان الادعية في الصحيفة السجادية عبارة عن مضامين فكرية دينية اجتماعية غايتها ودلالاتها التاثير الايجابي على الفكر الانساني، التأمل في النص السجادي «قد ترى يا الهي فيض

دمعي من خيفتك ووجيب قلبي من خشيتك وانتفاض جوارحي من هيبتك»، والتامل في تحليل النص الباحث لا ينظر اليها مجرد جمل تحمل وظيفتها التوصيلية المباشرة وانما يذهب الى الركيزة الاساسية في المضمون ان تكون تلك الجمل الثلاث «فيض الدمع – وجيب القلب – انتفاض الجوارح»، والمعادلة الاجتماعية ان المجتمع الذي لا يمتلك مخافة الله لا يمكن له ان يتسامى بمجرد شعارات يرفعها عند الحاجة، المجتمع الذي قتل الحسين عليه السلام كانت تنقصه هذه الافاضة والتي هي حالة من حالات الذوبان في الله تعالى.

هناك قضايا مهمة يركز عليها سماحة السيد الصافي، ومنها ان تلك الاوصاف التي ذكرها الامام السجاد عليه السلام هي على نحو الحقيقة لا تعامل على نحو المجاز، فقد قرن الله سبحانه هيبه العبد بمقدار خوفه من الله سبحانه، وارى ان سماحة السيد الصافي يمتلك فكرة تكوين المجتمعات زمن الطف وما قبله وما بعده، وكيف تعودت على الخطابات اللغوية المباشرة والتي تمتلك الجرس الامري، وانهار المجتمع وهو يحفظ اغلب تلك المفاهيم بصورة ببغائية، يوجه الكلام الى جهة والعمل بجهة اخرى؛ لذلك أنشأ الامام السجاد عليه السلام خطابا فكريا يحمل مزايا روحانية ترتبط بمفهوم الطاعة الربانية وتكشف

زيف عبودية السلطة، لا يعترف بمعنى الخوف، ومصدر الخوف. ويذكر قضية اخرى مهمة ربط وجيب القلب وعدم السكينة، وكأنها مرتبة اعلى من مرتبة الخوف.

التغيير الاجتماعي عند الامام السجاد عليه السلام ينظم عبر الوعي لبناء الانسان اولاً ثم الدولة، عرّف الخشية بأنها تدل على الوعي الانساني؛ ليصل بنا الى ان المجتمع الذي يمتلك الوعي، ويعرف ان الله تعالى يمتلك كل اسباب المنعة.

يكون في مفهوم سماحة السيد الصافي ان الخوف غير الجبن والخوف هو مرتبة من مراتب الكمال بينما الجبن رذيلة، هذا هو خطاب الوعي، الفكر، الروح، لانجاز التغيير، لابد ان نعرف اي ظاهرة تستحق التغيير، البعض عنده البكاء عيب يخل بكرامة الشخص، وسماحة السيد الصافي يتحدث عن علماء كان البكاء عند العبادة يغير حالتهم، هذا الخطاب يدعو الى التفرغ الكامل لله سبحانه، هذا التواصل الالهي يمتلك امكانية تغيير العالم، وامكانية شد او اصر العاطفة المؤثرة، الى سجايا تقود الانسان الى تكامل الخلق عبر التفكير والعمل.

لنبحث كيف يؤثر الخطاب على المجتمع، عند تحقيق التوازن بين

الفكر والعمل وهذا ما حققه جميع الائمة عليهم السلام. فالنتاج الفكري عند الامام يرتبط بمنهجية الرسالة المحمدية، من خلال نقد بعض الظواهر الاجتماعية، مثلاً يرى سماحة السيد الصافي ان معظم الروايات المثيرة في المذهب تنتقد قضية اليمين بالله وان كان صادقاً؛ لأن اليمين يدل على دفع تهمة، فيكره ان يجعل الله تعالى عرضة الى ان يناله لسان.

يسعى الامام السجاد عليه السلام لبناء القيم الانسانية تحت ظل الرحمة الالهية يرسمه السلوك والنظام الصحيح للإنسان من فيض العبادة الخالصة. ويرى سماحة السيد الصافي ان الهيبة لا تأتي الا من خلال حالات شخصها الامام عليه السلام، التوسل الى الله، والاخلاص والعمل، وحالة الاستحياء من الله تبارك وتعالى.

القضية ربما تأخذ صعوبة في التحليل عندما تكون الرؤى فيما تشمل عليه من ملامح، لذا يحلل السيد الصافي عبرة الامام السجاد عليه السلام ليس العبرة عنده دخول الجنة، بل هناك مطمح أكبر هو امل جميع العقلاء والمؤمنين، قادر على ان يوصلنا الى الجنة ما دمنا مع ائمة الخير والصلاح، الجنة حلقات وهناك حالة رضوان من الله أكبر، يطمح للمؤمن الوصول اليها.

سماحة السيد الصافي يعمل على تحليل تلك النصوص، عملية

التغيير تثمر عندما نفهم اعماق الروح ومعنى البناء الصالح، لو تأملنا في قيم التوبة، لوجدناها حسب مفهوم السيد الصافي تعني تجاوزاً وغفراناً، لكن يبقى الفعل ما بعد التوبة محل نقطة سوداء سجلت في هذا العالم، فهو وان تجاوز الفعل الى غفران لكن الشعور بالحياء متعب فمن ضمن منن الله تعالى، ان يحدف هذا الذنب من ذاكرة الانسان ويجعله يعيش حالة الرضا والطمأنينة، ما دام العبد لم ييأس، واقبل الى الله تعالى مطمئن النفس، والتغيير يعني حالة الاقطاع الى الله تعالى، وعمل سماحة السيد الصافي عند تحليل الصحيفة السجادية ومضمونها الابداعي، على اظهار القوة العميقة في المضمون، ليظهر ان العملية الابداعية وحدها لا تعني شيئاً اذا لم تكن من جوهر اهل البيت عليه السلام، والذي اساسه الفكر والاقناع مع وجود الابداع، والبرهان بوجود قوة الايمان والصدق.

هذه التجربة التي يظن بعض الناس انه استوعب معناها، واذا بنا امام مسؤولية التحليل لنكتشف عمق المضمون الاصلاحى، ان خمود الصوت قد يفسر بكثرة النداء حدث خمود الصوت، لكن خمود الصوت عند سماحة السيد الصافي تعني كثرة الحياء، فمن يستطيع ان يتجاوز حالة الحياء مع الله تعالى هو العبد الذي لا يستحي من مولاه

وهذه اشع حالات التمرد على الله تعالى، علينا ان نتأمل في حكمة هذا المعين، من يستحي من الناس ولا يستحي من الله قد جعل الله اهون الناظرين اليه، الامام السجاد عليه السلام يرشدنا إلى الاستحياء من الله الخالق صاحب النعم علينا.





الإضاءة الثالثة عشرة
«الرقابة الإلهية»

للوصول إلى حالة التوجه السليم إلى الله سبحانه، يتطلب حضور مجموعة من العوامل، مثل التوبة وطلب الرحمة، ويرى سماحة السيد أحمد الصافي لا بد من التفاعل مع الدعاء، وقضية التفاعل من القضايا المهمة والتي تكمن أهميتها من عدة جوانب.

إن خطاب الامام السجاد (عليه السلام) يعد من التناصبات المتفاعلة مع خطابات سماوية، ونبوية، جاءت برؤية عاطفية روحية، تمد الدعاء جسراً للتواصل مع الله سبحانه تعالى؛ لشعورها بالنقص العام أمام مكانة الله سبحانه تعالى وقدرته، والأئمة (عليهم السلام) علماء بالنفس الإنسانية والحاجة إلى المغفرة وطلب المغفرة، لأنهم أطباء الأرواح ويعرفون مواطن القوة والضعف في استلهاهم القوة من الله تعالى، بعض الناس يصف الدعاء بأنه تخديري وهذا ظلم يلحق بمفهوم الدعاء، لأن الدعاء لا يعني ترك العمل واللجوء الى الدعاء، بل المقصود أن نبذل غاية الجهد ونلجأ إلى الدعاء، وهذا اللجوء إلى الله يحمي في أنفسنا روح الأمل والحركة؛ بمعنى إن الدعاء في مفهوم الأئمة (عليهم السلام) يضيف إلى الإنسان الطمأنينة ويؤدي إلى النشاط والشعور بالسعادة، والثقة بالنفس واستعداد للهداية. وسماحة السيد الصافي يشخصها بالقدرة النفسية، تحرير هذه الأمور لا نجدتها عند غير الأئمة (عليهم السلام) لندرك ما

يعنيه الإمام الصادق (عليه السلام)، «إن عند الله منزلة لا تنال الا بمسألة»، هنا نقف عند مفهوم القدرة النفسية التي شخصها سماحة السيد أحمد الصافي؛ لتحرير الأمور.

المذنب لا يستطيع التعبير عن مكنون نفسه أمام الله سبحانه، قد يخونه التعبير عن بيان القصد، لهذا نجد أن أدعية السجاد (عليه السلام) هي أنفس الاشياء للاتصال بالله تبارك وتعالى.

قد تستغرب عندما نجد ترابط جملتين بمعنى متقارب أو الانتقاء الجوهري الذي يجعله من متعلقات المفهوم، مثلاً قال النبي (صلى الله عليه وآله): «لا يهلك مع الدعاء أحد» نتأمل في هذا المعنى ونحن نقرأ للإمام السجاد (عليه السلام): «فكم من عائبة سترتها عني فلم تفضحني» هذا الفهم يرتبط بمعنى (لا يهلك)، نجد ترابطاً بين مفهوم الهلاك والفضيحة، يرى سماحة السيد الصافي، العيب قد يكون في الخلقة وقد يكون في الأخلاق والتركيز على العيوب التي تستوجب نفرة الناس منها. الترابط القوي موجود بين الهلاك الذي شخصه النبي (صلى الله عليه وآله)، وسماحة السيد الصافي ينظر الى مفهوم الستر من جوانب عدة فهناك ستر على عيب، وهناك ستر على ذنب، وستر على معصية. الإمام (عليه السلام) قرر الستر في كل موارد العيوب، وهذا الخطاب يتوغل في عمق الرؤية الإيمانية

والتحلي بآداب الله سبحانه تعالى؛ ليصل سماحة السيد الصافي الى ما يشبه الصرخة «إننا لا نتأدب بآداب الله سبحانه وتعالى، وعندما نتأدب فإننا نتأدب بآدابه في مرحلة انفعالية وعاطفية». الجوهر الباطني للخطاب يضعنا أمام الناس في التعامل مع بعضنا وتعامل الله سبحانه تعالى معنا، الله سبحانه يستر العيوب ونحن نجعل اللا عيب عيباً؛ لنشهر بصاحبه.

النظر إلى البنية الأسلوبية والمعرفية في نهج الدعاء له مقومات فكرية ودلالات تنسجم مع روحية الدعاء.

وتحليل سماحة السيد الصافي اعتمد على اربعة محاور مهمة:

المحور الأول/ الفراغ:

من أكثر الأشياء المدمرة للذات هو الفراغ، فرصة الشيطان باقتناص العقل، سماحة السيد الصافي ركز على قضية سلامة هذا الفراغ وبين أن الإمام السجاد عليه السلام يدعو الله أن يكون الفراغ فراغ سلامة في دين الإنسان.

المحور الثاني/ التماذي:

يقول الإمام الباقر عليه السلام في تفسيره لقوله تعالى «كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون» إنها سبب التماذي على الذنب والإصرار،

وهناك قول للإمام علي (عليه السلام): «أعظم الذنوب عند الله ذنب أصرّ عليه عامله»، شخصها النبي (صلى الله عليه وآله)، في سؤال عن خسران الإنسان لنفسه «عند الانفراد عن الناس» دون أن ينتبه إلى أن رقابة الله سبحانه لا يمكن أن تغيب عنا.

القضية التي شخصها سماحة السيد الصافي في هذا المضمون، تحدي الرقابة الإلهية جعلت الله أهون الناظرين إليه.

المحور الثالث / التأدب بآداب الله:

التأدب مع الله سبحانه تعالى هو جوهر العبودية وهو خلق الأنبياء يقول الامام السجاد (عليه السلام): «وكم من شائبة المت بي فلم تهتك عن سترها»، سماحة السيد أحمد الصافي نظر الى هذه الجملة على أنها منار علم، ولا بد أن نقنطدي ونتعلم من الله مظاهر آداب الله فالله سبحانه تعالى يستر العيوب، فلماذا لا نستر عيوب الآخرين ويقولها بمرارة «إننا لم نتأدب بآداب الله».

المحور الرابع / التوفيق للتوبة:

التوبة تحتاج إلى توفيق، ومن غير المتصور إن الإنسان عندما يذنب يوفق إلى التوبة، دائماً الشيطان يمسكه عند الذنب، فالقضية هي في احتواء فضاءات الروح، وما احتوت من فكر ورؤى لذلك يقدم لنا



سماحة السيد بعض الأسئلة المحورية،

ماذا يريد الإمام منا؟

وكيف نتصرف مع الله سبحانه تعالى؟

ما دمنا في الدنيا هناك فسحة للتوبة وفسحة لبراءة الذم، وفسحة لأن يلجأ الإنسان إلى الله تعالى وللعقل، ونخشى أن يفاجئنا الموت، والموت غالباً ما يفاجيء الناس وبيننا وبين الله تعالى أشواط بعيدة.

نحتاج الى إصلاح لخص سماحة السيد هذه المحاور، الأئمة يوصوننا بالتمسك بالدين وأن نكون أقوياء في ديننا، وأن نبتعد كل البعد عن البحث عن الذنوب، ولا نفضح الناس بل ندعو الله تعالى أن يحفظنا جميعاً ويستر علينا وأن نتواصل فيما بيننا وأن نتكاتف ضمن وسائل الفرج واستجابة الدعاء.

وان يكون لنا هذا الحس المشترك الجماعي، وأن يسند أحداً الآخر وكل شيء مقرب إلى الله تعالى.





الإضاءة الرابعة عشرة

«حق الجار»

استيلاء الأمويين على الخلافة، وقتل أهل بيت النبي ﷺ، هو عين الفساد في الأرض. صار لا بد للإمام السجاد عليه السلام أن يدبر الخطة الإصلاحية لجمع القوى بعد انهيار الأخلاق. لا بد أولاً من ابقاء ثورة الحسين عليه السلام حيوية فاعلة في ضمير أجيال الأمة، لهذا سعى الإمام السجاد عليه السلام إلى تربية وتهذيب الأمة. أن يربي جيلاً من المؤمنين على الأخلاق القيمة، وأن يواجه الطغيان بدروسه التربوية، من أجل إعادة الفطرة السليمة للإنسان؛ لكي لا يجعلوا منه آلة طيعة للخراب. ركز عليه السلام على تربيتهم روحياً وتعليمهم الإسلام بترسيخ الإيمان في نفوسهم، وترابط أسس العقيدة، لهذا كان جهد ساحة السيد أحمد الصافي «دام عزه» واضحاً للتسلسل في الدروس الجوهرية التي أعدها، في وقت تفرق الناس عن أئمة أهل البيت عليه السلام وعدّها الإمام الصادق عليه السلام بالارتداد، فقال: ارتد الناس بعد قتل الحسين عليه السلام لهذا نرى بيان ظرف تلك التوجيهات الساعية لبناء الأنفس وقت انفراط أمر الشيعة وتشتيت قواهم، لهذا كانت تعمل على الإعداد النفسي والعقدي وإحياء الأمل بالقلوب، وتأسيس بناء جديد أسهل وأمتن من ترميم بناء متهريء، قال عليه السلام: «ولم تبد سوءاتها لمن يلتمس معايبي من جيرتي».

يرى السيد الصافي إن القضية قضية الحسد، وهي من الصفات الرذيلة، والإمام له روايات كثيرة في احترام الجار وأهميته ومستحبات التعامل مع الجار ونحن مأمورون شرعاً بمداراة الجار وعدم ايدائه، لهذا لم يصرح بالحسد، بل عبر الإمام (عليه السلام) بـ«يلتمس»، فبراهها سماحة السيد أحمد الصافي، إنها إشارة الى مقدار الالتحاق والاقتراب كأنه لا يكفي بأن يفتش عن العيب وإنما يحاول أن يضع يده على عيب، نجد نقاطاً عدة مهمة منها:

اولاً: إن الحسد صنف في الكثير من الكتب الدينية والنفسية والاجتماعية بوصفه مرضاً اجتماعياً ونفسياً يؤثر في أفراد المجتمع ويصيب المجتمع بالتفكك.

ثانياً: الازدواجية الشخصية، صدور بعض التصرفات المتناقضة أي بمعنى أن يكون المريض ذا شخصيتين متناقضتين فهو يحضر مجلس عزاء الحسين (عليه السلام) ويبكي بكاءً مراراً اثباتاً لولائه للحسين (عليه السلام) لكنه لا يراعي قيمة الجار.

ثالثاً: الأنانية التي تعني حب الإنسان لنفسه وعشقه للسيطرة والتملك، ويرى سماحة السيد الصافي عن حالة الأنانية التي لا تحب عمل الخير وتكون دائماً عقبة لعمل الخير، فاذا كان هناك جار

يسعى لقضاء حوائج جيرته ومن يستشعر اللذة بمقدار ما يخدم أهل محلته ويخدم جيرته. هناك من يقف ضده ويبين وكأن فعل الخير غير صحيح، وعند الدخول الى مكنونات النفس، نراه يخشى أن يطالبه بعض الجيران بمثل ما يفعل الجار صاحب العمل الخيري، وهذه الحالة يفسرها السيد الباحث الأناية المفرطة، والمرض المفرط. بالمقابل هناك الإنسان الطيب السريرة، وهناك أحاديث كثيرة وردت في مدح طيب السريرة، الإمام (عليه السلام) يعني بها صحة الضمائر، وطيب السريرة تحتاج الى سلامة النية، وسلامة النية تنبع من قلوب خاشعة للرحمن، وطيب السريرة وحسن النوايا لا تشمل السذاجة، لكن النوايا الحسنة تكون منطلقاً لحكم الانسان على الآخرين. وهناك لمحات فطنة داخل البحث لها أهمية في تفعيل مرتكز النوايا.

سماحة السيد أحمد الصافي ينظر الى موضوع النوايا عبر رؤيتين، الأولى صريحة يرى بها نحن في هذا الوقت نحتاج الى العودة الى الأخلاق الرفيعة والعتبات السليمة حتى يرفع الله تعالى البلاء عنا، والرؤية الثانية هي المضمرة، والتي تعني إن أسباب البلاء الذي نعاني منه اليوم، هو بسبب فقداننا الى النيات السليمة، وبسبب سوء علاقتنا فيما بيننا.

الله سبحانه ينظر لها، ومسألة أذى الجار هي أيضاً من ملحقات
 البلاء، ليصل بنا البحث الى اننا نحتاج أن نتثقف بثقافة جديدة،
 ونحتاج أن نستنطق روايات الأئمة، ونتعلم هذه الأخلاق كون
 أهل البيت عليهم السلام رسموا المنهج الصحيح فيما يخص التربية، لهذا نبحت
 بحاجة ملحة الى اتباع النهج التربوي المستنبط من فكر أهل البيت
عليهم السلام، وفكر الإمام السجاد عليه السلام، رسم لنا المسار الصحيح للتربية،
 وحدد معالمها ووجه الجهود من خلال الإرث الاخلاقي، ويرى
 السيد الباحث أننا نعيش الغفلة عن أهوال يوم القيامة، والغفلة
 أضر الخصال بالإنسان، الغافل لا يرى كبوته ليصلحها لذلك هي
 أصل كل شر، ويرى أيضاً في محو اليقظة انها تعني أن يدرك أن آيات
 العذاب ليست كلها من أجل فرعون، ولا من أجل نمرود، فنحن
 فينا فراغنا وفينا نمرود لو يتاح لبعضنا ما أتيح لفرعون لفعلنا أكثر
 من فعل فرعون، انتهاك أي حرمة تعني كسر المؤمن، لا بد من جبره،
 ولهذا على كل واحد منا أن لا يغفل حق الجار حتى لو كان يهودياً.

نجد أن أساليب الإمام الساعية الى إعادة الصلة الحقيقية بين
 المسلمين فيما يحصن عقيدتهم وهذه بحد ذاتها تعد ثورة عند السلطة
 الحاكمة، اليوم نجد تفشي سوء الخلق، والحلف بالله صار بضاعة

سوق والاعتراض على الله سبحانه، والحسد، والإمام (عليه السلام) كان يهدف الى ترسيخ أو بناء مفهوم جديد للعلاقة مع الله تعالى وإملاء الفراغ الروحي، يرى سماحة السيد علينا مراجعة النفس ويركز على معنى جميل لا بد أن نتنبه اليه، بعض الناس يبرر أن الأئمة عاشوا في زمن غير زماننا، فكان الوضع الإنساني افضل وبعبارة اخرى أن الحياة كانت بسيطة في زمانهم لذا كان يمكن ان يكون التمسك بالأخلاق أهون، ويعدها في تشخيصه الفطن أن هذه تسويلات الابالسة.

التكليف واحد ولا بد من إشاعة روح المحبة وروح الأخلاق العالية عند الأئمة، سعى الامام السجاد (عليه السلام) الى الارتفاع بالنفس المؤمنة في مدارج الكمال عبر بلورة المفاهيم الأخلاقية التربوية فهو (عليه السلام) عبر عن الرجوع الى المعصية بالجريان وحالة من حالات اللهفة والسرعة، سماحة السيد أحمد الصافي يركز على مضمون اليقين الذي لا يجعل الإنسان متذبذباً في مبادئه ويكون في الضيق عابداً وعند الفرج يبحث عن لذائذ الحرام. ويركز على الحلم الإلهي الذي يرى التناقضات العجيبة في سلوكياتنا ومع ذلك لا يفضحنا ويستر علينا بحكمته وطول اناته في غضبه والحمد لله.



الإضاءة الخامسة عشرة
«الرجوع الى الله تعالى»

يرى سماحة السيد أحمد الصافي ^(دام عزه) إن العبد بمقتضى تكوينه يحتاج إلى خالقه، وأنا أشد ما نفتقر إلى الله سبحانه تعالى، ولهذا يرى أهل الفكر أن الإنسان من خلال الدعاء يستطيع أن ينشئ صلة وصل مع الله سبحانه، تكون سببا في توفيقه لقضاء حوائجه في الدنيا والآخرة؛ لأن الدعاء يرتبط بالخالق، والدعاء لا يأتي إلا من خلال المعرفة بأن به حاجة الله تعالى.

ويضيف سماحته مرتكزا مهما للمعرفة وهو الإيمان الذي يقوي المعرفة، ويبعد عن الإنسان الغفلة، وثمة إضافة ثانية لمرتکز مهم وهو لا بد من استشمار رحمة الله تعالى، والتوجه إليه من خلالها بحسن النوايا، وفي موضوع أسباب نقص الإيمان يرجع سماحة السيد الصافي إلى الموازين التي وضعها الإمام السجاد (عليه السلام) بعد التأمل في تشخيص الإمام المعصوم (عليه السلام) «فمن أجهل مني يا إلهي برشده ومن أغفل مني عن حظه»، إذ يذهب إلى الجهل والتجاهل لكونه سبباً من أهم أسباب نقص الإيمان.

والبحث عن جوهر تعزيز الإيمان ولا يتم إلا بمعرفة عناصر الإيمان من أجل تقويتها، بما أن الجهل أحد أهم أسباب نقص الإيمان يكون تعزيز الإيمان عن توطيد المعرفة والعلم الذي يفتح أبواب اليقظة والرشاد والمعرفة بالله وبالنبي والأئمة الأطهار (عليهم السلام)، وهذه المعرفة تؤثر في

ازدياد الإيمان، والغفلة تعني معرفة مواطن الطاعة ثم تركها والذهاب إلى مواطن المعصية، الجهالة عدم وضع الأمور نصب العين. والجهالة تعني السفاهة حسب مفهوم السيد الصافي؛ كونها تسبب قسوة القلب وعدم الشعور بلذة الطاعة، وسهولة الوقوع في المعصية، وبالمقابل هناك حلم الله تعالى، فلو أخذنا الله بذنوبنا ما ترك على ظهر الأرض من أحد والله يمهل ويعطي فرصة لكنه لا يهملنا، وما عندنا من رحمة هي من الله، فنحن نحتاج للرصيد الروحي، ولا نستطيع أن نحصل عليه إلا بالصبر والصلاة والدعاء، لا بد أن نفهم الدعاء سلوكا يوميا لا نظرية نتعلقها.

الدعاء عملية ارتباط حقيقية، فنحن بحاجة لمعرفة طرق للعلاج من الغفلة، وأولها التفكير وثانيها البذل، سئل الإمام الحسن عليه السلام عن وفاته ما الذي يبكيك وأنت سيد شباب أهل الجنة؟ قال فراق الأحبة وهول المطع، ويذكرنا (سلام الله عليه) بالقانون الإلهي «إنا لله وإنا إليه راجعون»، قانون إلهي لا يخرج منه أحد إطلاقا، فلا بد أن نرجع لله، والرجوع إلى الله عن طريق التوبة لله، كلنا نحتاج للتوبة، كلنا مفتقرون لله سبحانه، ونحتاج للتوبة كل يوم، القانون الإلهي حازم، ولا بد أن نرجع إلى الله تعالى كما خلقنا فرادى، وكل واحد يقف وهو حائر.

يصف لنا سماحة السيد المشهد بالصور المرعبة، التي لا يطيق بعض

المتقين تصور تلك الحالة، الإنسان بطبعه يكره ذكر الموت ويحاول أن يتغافل عنه مع أنه يؤمن أن الموت حقيقة ومصير حتمي مع ذلك يحاول ألا يتصور ولا يتذكر ولا يفكر بالموت، الإنسان يعيش حالة القلق من الموت، ومع ذلك يتناساه، وهو يودع أحبة يومياً، ولا يعلم أين فلا أحد منهم يخبره، لكن هو ذاهب إليهم.

هم يذهبون وهو يذهب بعدهم، يقف الإنسان بين يدي الله، يتفكر في عظمة الله، وهذه هي الغفلة، فالصلاح يبدأ من إصلاح النفس، فإذا لم يصلح الإنسان نفسه لا يستطيع أن يصلح الآخرين.

يركز ساحة السيد الصافي على قضية مهمة جداً، مؤلمة أن ينفق الإنسان ماله فيما نهى الله عنه، أي بمعنى يشتري نار جهنم بأمواله، نقف أمام مسألتين:

الأولى إن الله سبحانه وتعالى لم يصف النفس ميالة ولا نازعة بل وصفها أمارة، تأمر وتلح، والشيطان له دوره في إعداد الأرضية للنفس، وإلا كيف يرضى الإنسان أن يكون الله الرازق وغيره المطاع، القضية تكمن من يتعزز بعدم إطاعة الله؟ الله سبحانه لا يحتاج إلى طاعة البشر، ولا يتضرر بمعصية الإنسان، هنا القضية تعود للنفس لسوء أدب العبد مع ربه.

والمسألة الثانية: نقف عند قول السجاد عليه السلام «أنا الذي أعطيت على معاصي الجليل الرشا»، فنرى أن هذه السمات لا تنطبق على الإمام السجاد عليه السلام لا مصاديق لها عنده بل نحن مصاديق ذلك، نتأمل في بعض الأمور الفكرية جوهر الموضوع في كتاب المصاييح:
أولاً: نحن نتجاوز الحدود مع الله تعالى، ومع هذا نرجو رحمة الله سبحانه وتعالى.

ثانياً: ندعو الله أن لا يعاملنا بأخلاقنا، نعرف مصائبنا النفسية لهذا ندعوه أن يعاملنا برحمته وبصفاته.
ثالثاً: معرفتنا بأن الله واسع المغفرة واسع الرحمة وهذا الأمر لا بد أن يجعلنا نخجل منه.

رابع: إن الله أشد فرحاً بتوبة عبده، أشد فرحاً من المؤمن نفسه بتوبته.
خامساً: رضى الله هو المغزى والمعنى.
سادساً: إن الذي يرضى الله تعالى يتمتع بصفات هائلة وكبيرة ورحمة واسعة لا يمكن أن ندركها، إلا بعد أن نستشعرها من خلال النبي والائمة «صلوات الله عليهم».
سابعاً: بالنبي وأهل البيت عليهم السلام نجد آثار رحمة الله سبحانه وتعالى جليلة محسوسة وبهم يوفقنا الله لكل خير.





الإضاءة السادسة عشرة
«المفاهيم التربوية»

دراسة المفاهيم التربوية في الصحيفة السجادية تطلعتنا على أسس استنهاض الوعي التربوي الخلاق في منهج أهل البيت (عليه السلام) في وقت غزتنا بهرجة الحضارات الخادعة، وانقياد كثير من الواهمين الى تقليدها. إن قداسة الموروث التربوي في مدرسة السجاد (عليه السلام)، تقدم الأنموذج الإنساني وتظهر حسناته الفكرية. سماحة السيد أحمد الصافي قدم النموذج التربوي العقلاني الذي لا يتأثر بنهج قومي أو عنصري، أو فكر تبعي يقلد قشور المستورد، وإنما هو منهج يحمل فكر الرسالة المحمدية ومنهج أهل البيت (عليه السلام)، المنهج الذي علمنا الدعاء لطلب العفو والمغفرة، والسؤال لنوال الرحمة وذكرنا بموارد عفو الله، انها رؤية متكاملة بأبعادها الشمولية، تنهض الإنسان من المعطيات القبيلية التي سربتها لنا العروش الحاكمة الى فكر الله سبحانه. محور الفكر التربوي يتوقف على فهم الإنسان وإدراكه لطبيعة التعامل الإلهي مع الإنسان، ولذلك نجد أن سماحة السيد الصافي يؤكد على دلالات النص الدعائي، بمعنى إن الإقدام على السوء، يدل على الإصرار على الفعل - هناك نية مبيتة-، وبعضهم يتكرر أساليب جديدة تجعله يمتلك خبرة في تناول الباطل. ويدرس السيد الصافي المشكلات الإنسانية في ضوء وجودها، ويحلل المرتكزات النفسية التي يستند

إلها الإنسان لحظة وقوع الزلل؁ وىرفض فكرة الحيرة والتحرير؛ كون الخيار بين دعوة الله ودعوة الشيطان؁ هوية انتماء وهوية تفاعل فكري مع هذا الإنتماء؁ الله سبحانه تعالى أثبت الحججة؁ ورفض الحججة أو عدم الاقتناع بها يعنى رفض الهداية بشكل قصدي؁ وطريق الله أكثر وضوحاً؁ حين يتحول الفكر التربوي إلى تعبوي أخلاقي يمس حياة الناس اليومية؁ مثلاً كسب الحرام كالرشوة أو السرقة أو غيرها من الموبقات إذا اقترفها الإنسان فهو أجاب الشيطان وإذا رفضها فهو أجاب دعوة الله سبحانه. إن الشرح التحليلي يأخذنا إلى قضية مهمة؁ وهي جوهرية في فكر الإمام (عليه السلام)؁ هو إن الانقياد إلى دعوة الشيطان لم تكن نتيجة غفلة ولا نسيان؁ (عليه السلام) يقول: «حين أقف بين دعوتك ودعوة الشيطان فأتابع دعوته على غير عمى منى وفي معرفة به» أي القضية تنطلق من مفهوم نفسي؁ هناك يقين بأن الاستجابة إلى دعوة الشيطان هلاك؁ والاستجابة لدعوة الله فوز مبین؁ بعضهم يعرف أنه يسير على زلل ومع هذا يختار طريق الشيطان. بعدما أبعاد (عليه السلام) القضية عن الغفلة؁ قربها إلى الجهل؁ والجهل هو المصير من أهمل اصلاح النفس؁ التربية عند الإمام السجاد (عليه السلام)؁ تصل إلى ما ينبغي أن يكون عليه الإنسان. كيف يمكن أن نحدد انسانيته؟ توضيح لعوالم

الايان وعوالم الهلاك، القضية في تهذيب الخلق الأرضي الى معدن الخلق السماوي. يخفي الإنسان حقيقته عن الناس في المنطق والملبس والأخلاق، خشية على السمعة لكن أمام الله تعالى يكون مهتوكاً. الدور الأساسي هنا هو صبر الله على الإنسان، «الإناة» كأن للإنسان فضلاً على الله إذا صلى وإذا صام، والله يكرم العبد العاصي، تأنيماً منه وتفضلاً عليه. أما في قضية خلق الإمام المعصوم يعد شأناً تربوياً يربط بين مفردات الخلق الإنساني الثقافي والمؤسس للتربية الاجتماعية وبين منهج الله سبحانه تعالى لتهذيب المثل الأخلاقي الذي يحكم الإنسان من الداخل، أخلاق المعصوم تفرض علينا معنى الإسلام وجوهر الدين في التعامل وتعلمنا مسؤولية الإلتزام، وتجعلنا أكثر قدرة لتقبل الأزمات النفسية أمام كرم الله سبحانه تعالى، وصبره الذي يتسع الإنسان والكون والحياة، وكلما كبر فكر الإنسان ازداد قناعة بكرم الله ومعاملته للعبد، فهو يصبر عليه ليتوب ويفرح لتوبة العبد، والله الساتر لعيوب عباده؛ ليصل بهم إلى التوبة والصلاح؛ لذلك عد اليأس من الكبائر، وجعل التوبة لنا هو السبيل الى رضا الله سبحانه.



الإضاءة السابعة عشرة

«تجديد العهد»

التأمل في كتاب المصايح لسماحة السيد أحمد الصافي «دام عزه» والنظر فيه إلى مجموعة من الدلالات الفكرية والروحية لطرح جملة من الأمور المتعلقة بالمفاهيم الأخلاقية أو العقائدية بأسلوب الدعاء، والبحث عن بؤر التميز في الصحيفة السجادية المباركة، بمتابعة فكرية لمضامين الدعاء الروحية بعدد من المفاهيم المهمة:

المفهوم الأول:

ماهية الارتباط بين الإنسان وبين الله سبحانه وتعالى، والارتباط بالله تعالى هو إدراك حقيقة النفس بأن ليس لها القدرة إلا من القادر المطلق، النفس ميتة لولا أمان يمنحها الله الحياة، والإنسان لا يستطيع أن يتحرر من هذا الارتباط كونه بحاجة دائمة إلى المدد، وإلى العطاء، يرى سماحة السيد الصافي أن مثل هذا الإدراك يجعله يذهب إلى الكشف.

المفهوم الثاني:

لا يتم هذا الكشف إلا بمعرفة حقيقة النفس أمام حقيقة الله تعالى، لذلك يقول النبي ﷺ: «من عرف نفسه عرف ربه»، الكشف هو الطريق للوصول إلى الله تعالى لتهديب النفس وإصلاحها، واكتشاف جوهر وجودها سبيلا لتعرف به الله تعالى، والكشف الوجداني يبين

الملازمة بين معرفة النفس ومعرفة الله، يدرك الإنسان أن الله سبحانه عليم لا تخفى عليه خافية، لكن كشف الإنسان عن أخطائه أمام الله هو إقرار بمحدودية معرفة الإنسان لنفسه أمام الخالق سبحانه وهذا الكشف يفتح للإنسان صفحة ذنوبه أمام الله والاستكانة لديه هو مراجعة للنفس وتوجيه بالقلب والإدراك باستمرارية الحاجة لله سبحانه وتعالى.

الدعاء تحويل الحاجة المادية إلى روحية لإدامة التعلق بالله سبحانه وتعالى ووجودنا مرتبط بكرم المدد وإلا ما كان لنا دونه وجود. الدعاء يجدد العهد والارتباط، وقراءة الإنسان لوجوده قراءة واقعية، تجعلنا نبحث في الدعاء عن الأمل.

المفهوم الثالث:

طلب الرحمة من الله يبعث الأمل والذي هو وسيلة لنهضة الإنسان، وعلاقة الدعاء بالأمل هو اليقين من رحمة الله تعالى، والتذلل لله هو طلب الاستكانة له سبحانه.

يستدل سماحة السيد الصافي على وسع رحمته من خلال الإنسان نفسه، الصورة المعتبرة للإنسان، صورة الظاهر بصورة المخفي، هذه الصورة المختلفة عند الإنسان لا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالى، نجد

الامام السجاد (عليه السلام) يركز على مفردة العجب «والعجب الأناة والحلم وإبطاء المعاجلة»، ومجموعة صفات خاصة به، ويعني أن الله لكونه لا يحده حد، ومن صفاته العفو والصفح والستر، ومن جملة النعيم أن الله تعالى لا يعاجل الإنسان بالعقوبة، والرحمة تشمل جميع العباد.

المفهوم الرابع:

هناك فرق بين الإنسان والعبد وفرق بين عباد الله، أي بمعنى كل مخلوق هو مملوك، لكن هل كل عبد عرف أنه عبد، وأبرز العبودية، وآمن بعبوديته، هل كل المخلوقين عبيد الله، سماحة السيد الصافي شخص لنا هذه العبودية بأن يكون على أتم الاستعداد النفسي مجمع الأمر لله سبحانه تعالى، والغفلة ولو للحظة هو خروج عن رسم العبودية التي ينسب الإنسان لها، بالبناء النفسي.

الرغبة والخوف والإقبال على الله سبحانه والإطاعة، وأي غفلة تعد عصيانا يستحق العقوبة. البناء الفكري أي للعبد كيان فكري يختلف عن الكتابات الفكرية عند الناس، والتي تحد بالمصلحة والمنفعة، والفكر العبادي هو أقرب إلى السماء، وميزة الكيان الاجتماعي الذي لا يتقبل من يرى في نفسه أثرا للزهو والغرور، يتطلب من العبد أن يمتاز بروح التواضع والسكينة وبروح الوقار.

العصيان يجعلنا خارج البناء النفسي العبادي وخارج الفكر والروح ونتعبد حينها لغير الله سبحانه والعبادة لغير الله عدم امتثال لمقدرته سبحانه.

المفهوم الخامس:

الميزان، العدل الالهي، الهدف من خلق الله سبحانه للإنسان هو وصوله إلى الكمال الروحي، وهناك كثير من الآثار الوضعية السلبية التي لها آثار تكوينية وضعية.

الله سبحانه خلق لنا إرادة، إرادة قوية، عند المعصية سنستحق العقوبة لكن الله سبحانه لا يعاقب في ابتداء المعصية، يصف الإمام السجاد عليه السلام الله سبحانه وتعالى عن المعاجلة، واحتسب الإمام عليه السلام هذا الأمر بالتأني والفضل، ويرى سماحة السيد الصافي أنه بمقتضى قواعد العدل أن الله سبحانه ينتقم ويعاقب، لكن كرمه العالي يجعله لا يعاقب، والمعصية مسخطة ومخالفة أمر الله سبحانه، التأجيل هنا أو الصبر الإلهي على العبد هي محاولة كريمة لمنح الإنسان الفرصة ليحاسب نفسه ليرتدع عن المعصية، وإلا فالمعصية لا تضر الله بشيء، ولا تنفعه طاعة العبد بشيء، الميزان البشري يحكم أن لكل شيء وزنه، حتى على سبيل التعامل لكن ميزان الله يختلف والعلاقة مع



الله غير العلاقة مع البشر، أن يجافيه يرد له المجافاة بأشد منها، لتأمل في سؤال سماحة السيد الصافي: لماذا يتحبب المولى إلينا؟ والتوضيح يبين لنا أن المعصية لا تضر الله، ولا الطاعة تغنيه فهو غني عنها، ومع هذا يوضح لنا الإمام السجاد (عليه السلام) وزن هذه العلاقة، وهذا الميزان الالهي العجيب «إنك تتحبب إليّ وأتبغض اليك»، الله يعفو والإنسان يذنب والله هو الغفور الرحيم.





الإضاءة الثامنة عشرة
«عقيدة الأمل»

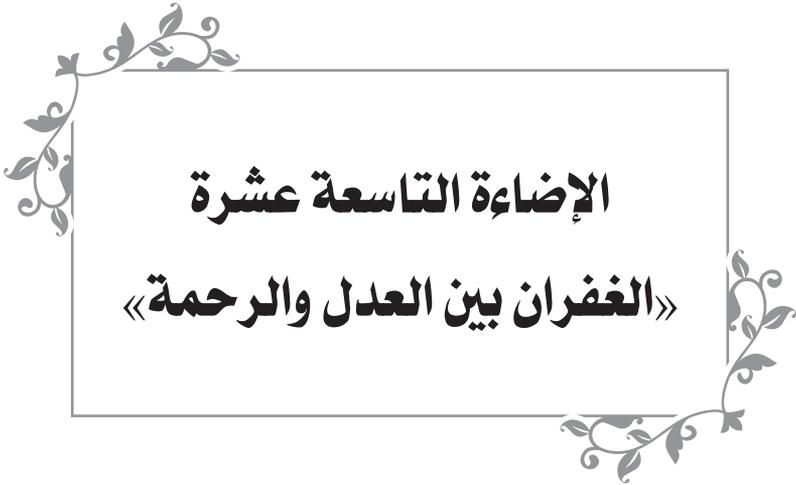
من الخصوصيات التاريخية والمعنوية للصحيفة السجادية المباركة أنها المعبر الحقيقي عن العلاقة بين الإنسان وربه، ونظرته للموت ومهام تعلقه بالقدره الالهية، وأهم سمات هذا التعلق هو طلب التوبة من الله تعالى وتجديد العهد مع الله تبارك وتعالى، يرتبط أمر التوبة بالأمر المعنوية والروحية ومنها تكشف عن مكونات النفس عند الذنب وحاجتها للمغفرة، وخاصة موضوع الكشف الذاتي عند الذنب استثارة للذهن وتهذيب تبريري وتنمية للإطاعة لله سبحانه والإنسان يدرك أن الكشف لله سبحانه هو الكشف لمن لا تخفى عليه خافية، ويعبر سماحة السيد أحمد الصافي «أعزه الله» عن المناجاة بالمتعة كونها تعد من المعتقد والتربية الروحية والفكرية والثقافة الإيمانية وهي الصورة الحية للوجود الإنساني وبما أن وجود إنسان ينسب نفسه لله تبارك وتعالى يتطلب فهم حدود العلاقة مع الله سبحانه وتعالى، كونها قوام وجوده، إنها عقيدة، ويعتقد أهل الفكر أن بقاء هذه العلاقة سليمة تمثل روح الحضارة ووجدانها ونجد أن أي محاولة لتهديم الأمة لا بد أن تبدأ من نقطة تهديم هذه العلاقة، وعملية تصدع هذه العلاقة تبدأ من كثرة الذنوب وافراط التجاوز على حرمة الله تعالى، يأتي تشخيص سماحة السيد بقضية استعراض

طبيعة العلاقة من قبل الإمام عليه السلام ووصفها بالجرأة والتجاوز والذنب وبالقابل نجد ستر الله تعالى، والحلم الإلهي، الإيمان بوجود هذا الحلم هو قضية شغلت الفكر التغريبي الغربي والشرقي، يريد أن لا يستمد المجتمع ثقافته من الأئمة عليهم السلام، وهذا الأمر يوضح مسألة مهمة، أن الإمام عليه السلام كان يدرك أهمية بناء هذه العلاقة روحياً مع الله سبحانه لتصمد أمام مغريات الغزو الفكري في أي عصر كان، التحصين المستقبلي، والحلم الإلهي جعل المعادلة الافتراضية وكأن العبد هو صاحب الفضل على الله تعالى، يذنب الانسان ولا يعاقب، بحث الإمام المعصوم صاغ لنا منهج التوبة بعدما عرفنا بمعادلة مهمة الفارق بين صفات الله سبحانه وتعالى وصفات العبد، وجود الاعتراف عند الإنسان والدعوة لله برأي الإمام المعصوم عليه السلام هو محور مهم من محاور الإيمان، وأهم ما في هذال المحور رفع اليأس عن العاصين، لولا هذا الأمل الحي، لكان معظم المجتمع يغوص في آثامه، المنهج المعصوم عرف العلم بعقيدة الأمل، بشريعة التوبة والعودة لله، والباب المفتوح، مع وجود الذنوب ومع مرارة توبيخ الإنسان لنفسه نجد هناك عدم يأس من رحمة الله تعالى، هذا الأمل هو نتاج مشروع الأئمة عليهم السلام، كي لا يعبث اليأس بالأمة، واليأس من

روح الله تعالى يعد من الكبائر، فما أهمية الاعتراف بالذنب مع وجود اليأس، شخص سماحة السيد الصافي الاعتراف مع اليأس بأنه يضيف كبيرة إلى ذنوبه، لا بد من ولوج أبواب رحمة الله، للأسف مع وجود كليات ومعاهد لكنها أهملت هذه القيم الروحية ما عادت تذكر، وهذا الإهمال أدى إلى الاستسلام للوafd الغربي، وهذا الوafd يدرك تماما أن هذه الثقافة الروحية التي غرسها أئمة أهل البيت (عليهم السلام) تمثل الحصن المنيع أمام كل من يحاول أن يزرع العبث بالأمة، وينبهنا سماحة السيد الصافي إلى قول الإمام السجاد (عليه السلام) في مناجاته «طمعاً في رأفتك» الإنسان العاقل يطمح برأفة الله تعالى؛ لأن فيه صلاح أمر المذنبين، إن الثقافة الروحية للإمام تشخص الحصول على الرأفة، هو جذر الاصلاح، لذلك دعاة التغريب هدفهم إنهاء هذه العلاقة، وأن لا تكون العلاقة صالحة مع الله تعالى، السعي لتغيير هذه المفاهيم هو فعل تخريبي، يريد دعاة التغريب من خلال التنظير الغرائبي فك الارتباط، والاستغناء عن مفهوم الرأفة الالهي، لتأمل في مغزى الدعاء «ورجاء لرحمتك التي بها فكاك رقاب الخاطئين»، يرى سماحة السيد الصافي أن هذا التعبير في منتهى الروعة، بمعنى أن للخاطيء رقبة مشدودة قد عقلت واستوجبت العقوبة من الله تبارك وتعالى،

وينبها لمسألة مهمة أن لا شيء من العبد يفك رقبته، وإنما هي عملية استدراج واستدرار للرحمة من طريق البكاء أو عبارات التودد لأن الرحمة هي القدرة على عتق الرقبة، نجد في هذا الدعاء نظماً وأخلاقاً وقيماً حميدة وسلوكاً قوياً، وهذا الرقي الروحي بتهيئة هذه الرحمة، أن لا يتمكن الشيطان من المذنبين، ليبعد عن مكان الرحمة الإلهية.





الإضاءة التاسعة عشرة
«الغفران بين العدل والرحمة»

الخطاب المعرفي الإلهي يعد من أرقى أنواع الخطابات الفكرية الساعية إلى تمثيل العلاقة الحقيقية بين إنسانية الإنسان وقدرة الله سبحانه تعالى، وكشف زوايا النفس بأبعادها التكوينية، ويرى سماحة السيد أحمد الصافي ^(دام عزه) عدم إمكانية الوصول إلى فهم هذه الحقيقة إلا من الأئمة عليهم السلام فهم الأبواب لله تبارك وتعالى ويتأمل في موضوع غفران المعاصي بين العدل والرحمة، عبر عدد من الفقرات الفكرية التي تكمن فيها فريدة الأمور التربوية للشخصية المسلمة، والعمل على المسعى التكاملي للإنسان، قد يرى بعضهم أن دراسة أدب الدعاء عند الإمام السجاد عليه السلام من الخطاب الوعظي، لكن الحقيقة أنها تعني مفهوم الحضارة، أدب تجلي الروح والتفرد الحياتي، وجوهر الفكر.

الفقرة الأولى:

تعلمنا من كتاب المصابيح حكمة يانعة وهي لا تنظر للمعصوم من موقع السياسة والسلطة وإنما النظر لقدسيته وهي من الأشياء الواضحة والتي يعرفها الجميع، لكن لا بد للنظر إلى القضية الأخلاقية التي يحملها الإمام المعصوم عليه السلام، الأئمة المعصومون أهملوا من قبل الحكومات واتباعها وأهملهم التدوين السلطوي، لكن القضية الروحية والبعد الإلهي له مكانته، وكتاب المصابيح في

جميع فصوله وأبوابه اعتمد على تسليط الضوء على الجمل الفلسفية الفكرية المشحونة بقوة التصور والبحث عن معنى الذات، «اللهم وهذه رقبتى قد أرققتها الذنوب»، يرى السيد الصافي أن المناجاة لها قواعد، الإنسان ربما يدعو الله بدعاء لا يعلم معناه، ومواءمة الصفة الربانية مع الدعاء قضية يشخصها إمام معصوم أجدر من فوضوية الزخم الدعائي غير المدروس حتى أنه قد يدعو الإنسان بدعاء يعود عليه بالضرر، لوعدنا إلى التأريخ بعد مرحلة كربلاء، أصبح المجتمع يحتاج إلى إعادة بناء فكري روحي ليعيد الرشد الرسالي لهذه الامة، لهذا شخص سماحة السيد الصافي بأن الأئمة هم أبواب معرفة الله تعالى، هم أبواب الهدى، وكل إمام يمثل الإمام الذي قبله والذي بعده، لهذا كان باب اللجوء لأبواب الهدى يتكون من عدة رؤى.

البيان الأول: البنية الفكرية الإنسانية تدرك معنى النفس وخبايها مهما تعاضمت الخبايا فهي مكشوفة عند الله سبحانه وتعالى.

البيان الثاني: مع وجود الوعي الإنساني وتطوره الحضاري ومزاياه الفكرية والعلمية والمعنوية إلا أنه ما زال المجتمع عاجزاً عن شكر الله تعالى؛ لأن نعم الله سبحانه علينا عظيمة.

البيان الثالث: مع وجود الذات الإنسانية والتجارب

والقراءات المتعددة للحياة علينا أن ندرك أننا كمجتمعات تجاوزنا الحدود التي وضعها الله لعباده، ومع هذا نجد أن الله تبارك وتعالى لم يهتك الستر علينا.

البيان الرابع: رؤية إنسانية قادرة على فهم إمكانية الله سبحانه وتعالى ومعنى رحمته ورأفته، والفسحة من العمر التي وهبها الله لمراجعة النفس، وإطالة عمر الإنسان معناها فرصة لتدارك الأخطاء، فرصة للتوبة والاستغفار، سعى سماحة السيد الصافي في قراءته لدعاء الإمام السجاد (عليه السلام)، لمنحنا التصور السليم لعلاقة العبد بربه تعالى، وكيف يدعو الإنسان الله ومن أي باب يدخل إليه.

الفقرة الثانية/ «العتق من المعاصي»:

عند قراءة بنى الدعاء قراءة فكرية سنصل إلى فهم إمكانية الرؤية القادرة على تشخيص الوسائل لتحقيق التواصل السليم مع الله صاحب العزة والجلال، بين لنا السيد الصافي أهمية الصلاة على محمد وآل محمد، فهي نعم الوسيلة التي يتوسل بها العبد لله تعالى، وهي باب واسع جدا للوصول إلى رحمة الله، باعتبار الدعاء نصاً أديباً، فيه اشتغالات بلاغية مهمة ودلالات معبرة: «اللهم وهذه رقبتى قد أرقتها الذنوب» لها دلالات وصور شعرية انزياحية الذنوب تقود

رقبتي إلى العبودية، جعلت رقبتي رقاً أسيراً وعبداً للأهواء، الدعاء هو رجاء لعتق الرقبة، وترى جملة «ظهري قد أثقلته الخطايا» مصدر الجمال والخروج على القواعد اللفظية الخطايا أثقلت الظهر، تجاوز أطار المؤلف، أصبحت لدينا صورة يوصف سماحة السيد الصافي هذه الجملة، وكأن الظهر حامل لشيء ثقيل ينوء بحمله، الذنوب ليست من الأشياء المادية وهناك تشخيص فيه دقة تأمل ألا تنظر إلى صغر المعصية ولكن النظر إلى من عصيناه.

الفقرة الثالثة/ «العقاب ولطف رب الأرباب»:

يشخص أهل البحث أن أغلب فقرات الدعاء تصويرية للوصول للدلالة المتصلة بالعمق النصي، يرى السيد الصافي إن كلام الإمام غير مبني على المبالغة، هو لا يبالغ في هذا النص، بمعنى أن هذه الأفعال حقيقية، إذا أداها الإنسان بحيث يبكي لله سبحانه، لا لفقد عزيز أو لفقد مال بل لله سبحانه ننظر إلى التراكم الجملي: «وسجدت لك حتى تنفقاً حدقتاي، وشربت ماء الرماد آخر دهري» وماء الرماد من الماء الذي لا يستسيغ الإنسان شربه.

الفقرة الرابعة/ «خطر العبودية لغير الله تعالى»:

الدعاء هو حامل ثقافي فكري يتضمن التعبير عن خلجات النفس

والروح والأفكار التي تسمو بالإيمان، لذلك بفطرته ينظر إلى السماء حين يدعو، قدم الامام السجاد عليه السلام مناجاته المنطلقة من تراث إمام معصوم، كعمل إبداعى يعمل لإيجاد قوة تأثيرية لذلك نجد أن الأدعية هي وسيلة لتنمية الرؤى والأفكار وبناء نظم معرفية، تشخيص سماحة السيد الصافي عن سبب تعجبنا من توصيف الإمام هو ابتعادنا عن منابع المعرفة عن أهل البيت عليهم السلام لوجدنا وتعرفنا على الواقع التعبيري، فمبارزة الله بالعصيان عن الإمام عليه السلام تخرج العبد عن سمة العبودية، وجعله عبداً لغير الله سبحانه، ونجد إشارة مهمة للسيد الصافي فهو يرى إنَّ الإمام عليه السلام لم يحدد حجم السيئة ولا نوعها سواء عظمت أو صغرت لكونه نظر إلى عنوانها.

الفقرة الخامسة: يركز الدعاء على البعد الوجداني وهي دعوة للعودة إلى الرضا الالهي، وفتح باباً واسعاً من رحمة الله تعالى، يطمع للدخول منها حتى إبليس اللعين، تجربة الإمام السجاد عليه السلام غنية بقراءة الواقع الروحي من خلال قراءة القرآن الكريم والسنة النبوية وعاشوراء الحسين عليه السلام، يستمد منها ثنائية (الانسان، الخالق) ليشرح معنى الغرور، كثير من الناس يعتقدون أن العلاقة بينه وبين الله تعالى جيدة؛ لأنه أدى الفرائض - فيطمئن - الصحيح أن

يبقى في حالة الرجاء.

الفقرة السادسة/ «الغفلة»:

من أهم سمات الغفلة أنها تمكن الشيطان من التغلب على الإنسان، وهو يسبب الضلال والانصراف عن الهداية، سماحة السيد الصافي ركز على «أولا» السؤال.. سؤال الله بالرحمة، «ثانيا» استشفع ببركات الإمام السجاد (عليه السلام) عند الله سبحانه فهو باب من أبواب الرحمة، تركز قول الإمام إلى قضية مهمة وهي بحسب الاستحقاق لا تستوجب شيئا ولكن ما دامت أبواب الرحمة تسمو بنا لنركب سفينة النجاة الواسعة.





الإضاءة العشرون
«التهيئة الروحية»

انصبت الرؤية التحليلية لكتاب المصايح بمتابعة مقومات التمكّن التعبيري للعملية التواصلية، أي بمعنى الإنجاز الوظيفي للدعاء، البحث عن مدلولات تلك اللغة، وتحويلها للأداء المتعارف عليه بين الناس، وشخص السيد الصافي القضايا المهمة في عملية قراءة موروث المعصوم في الصحيفة السجادية مثل إن حديث الإمام (عليه السلام) لا يرتبط بمن عاصره، بل هو دعوة عامة تمتد ما شاء الله تعالى بحسب الإطلاق القولي للإمام (عليه السلام) «ابلع موالينا» ونحن إن شاء الله تعالى نواليهم ونعادي عدوهم ونبغض شائئهم، ونجد أن هذا السياق الإبلاغي هو تعبير عن موقف، في تفاعل مستمر بين الإمام (عليه السلام) والموالين، وبين النص الداخلي والخارجي، ولو نظرنا للامتداد الزمني للإبلاغ وزمن الاستلام واستمراريته عبر مفهوم الموالاة التي لا تخص بطبيعتها زمناً معيناً قد أصل إلى قضية مهمة، من رؤية السيد الصافي، لأن هناك استمرارية الولاء عبر الأزمنة مع وجود ثبات الموقف، وهذا هو البعد الدلالي لهذا يرى أن مجرد التفكير بأمر الآخرة يجعل الفرائض ترتعد من ذلك اليوم، وهذا الفكر هو رمز لوعي الإنسان فليس كل الناس تفكر بالآخرة، ليولد حينها الالتزام الروحي، كشف مساحة الواقع الأخرى، هذا الخوف سيهيئ

الإنسان للبحث في التهيئة الروحية ليوم لا ينفع فيه أحد إلا رحمة الله تعالى وشفاعة النبي ﷺ والائمة الأطهار ﷺ.

سماحة السيد الصافي يرى إن من أهم مميزات الإدراك الانساني هو فهم معنى نهاية المسير الدنيوي، فنحن إن لم نعلم كم نعيش لكننا نعلم أننا سنفارق هذه الدنيا، لا بد من النظر إلى بنية الدلالة.

«المضمون»:

هناك سؤال وجواب وجنة ونار، ينظر إلى حرص الإمام المعصوم وحرزه وألمه من غفلة الموالين إذا غفلوا، لا يكتفي كتاب المصايح بالشرح والتفسير، وإنما على استنباط معرفي يعكس فيه الأثر المعاصر، الغفلة المعاشة اليوم في كثير من البيوت ظلم الأب لأولاده، وظلم الأولاد لأبائهم، وضرب الأب ومشاجرة الإخوان وتفشي الرشوة، وكل يسير إلى تيه، لغة متقدمة لها القدرة على إعطاء المضمون الإنساني في زمن يعمل لتحويل القيم الوجدانية والمعرفية إلى مادية، الإمام السجاد ﷺ قدم رؤيته للموقف، ليبليغ مواليه ويحل لنا إشكالات كثيرة منها موضوع الاتكالية على شفاعاة الأئمة ﷺ دون أن يقدم الإنسان عملاً يزيكه، هذا الأمر لا يلغي حضور الإمام ﷺ بل يبقى حضوره عند الناس، الشق الأول من التبليغ «إننا لسنا نغني عنهم من

الله شيئاً الا بعمل» يربط فاعلية المصير بالعمل، والعمل المثمر الذي يزيه لرضا الله سبحانه، عرض الإمام رؤيته بشكل معرفي فكري، ثم يضيف إلى هذا التفاعل الروحي العمل معرفة أخرى «إنهم لن ينالوا ولايتنا إلا بورع» تأمل سماحة السيد الصافي في جملتين قد يراها بعضهم تضادا فكريا لكن الحل في تبصرة المعنى.

الإمام (عليه السلام) يقول في الجملة الأولى «ما استوجب بذلك نحو سيئة واحدة من سيئاتي» مهما عمل الإنسان لن يستطيع نحو سيئة من سيئاته، نظر إلى الإمام (عليه السلام) مع قوة العبادة والسجود يعبر عن الحياء من الله تعالى وتبارك وفي الجملة الثانية يقول «وإن كنت تغفر لي حين أستوجب مغفرتك» تشخيص السيد أحمد الصافي بأن الله سبحانه تعالى فتح أبواباً كثيرة لرجوع العبد إليه، فقد أوجب على نفسه والزمها، ووفاء بهذا الإيجاب بقبول التوبة، «إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة» ويرى بحسب استحقاق العبد لا يمكن أن يستوجب التمرد أو التعدي لهذا الإيجاب على الله ليس هناك سلطة على الله تعالى، فلا أحد يلزم الله تعالى لأنه غني والله واجب الوجود لكنه كتب على الله الرحمة.

يسعى كتاب المصباح إلى معلقات التأثير، ليحقق بها التفاعل المثمر

مع المتلقي، جعل المادة الفلسفية التاريخية سهلة للمعاصر ومخاطبة الناس أنفسهم، ليخلق في ذهنية المتلقي أهوال القيامة وليصل بنا إلى مفهوم التوكل على رحمة الله سبحانه، هذا التفاعل الإيجابي يقرب لأذهاننا المعنى القصدي، حضور التوكل على رحمة الله تعالى، قضية مهمة بينها سماحة السيد الصافي بأنها من الكبائر.

لن تأمن عقوبة الله إذا لم يكن لديك عمل صالح، وهذه المسألة تعيدنا إلى إِبلاغ الإمام الباقر (عليه السلام) «لسنا نغني عنهم من الله شيئاً إلا بعمل»، لنعود بعدها إلى الشق الثاني من الإِبلاغ «إنهم لن ينالوا ولايتنا إلا بورع» كي لا يعتقد أحد ان الشفاعة ورضا الأئمة سهلة المنال، العمل يجعل الأفكار قادرة على التماسك بين رضا الله تعالى وشفاعة الأئمة (عليهم السلام) ونوال الولاية، فلا يولد الأمان إلا بعمل الطاعات وليس بالكلام، إلا بتهيئة النفس لتستاهل الرحمة.





الإضاءة الحادية والعشرون
«الحلم الإلهي»

يرتكز كتاب المصايح للسيد أحمد الصافي «دام عزه» على البحث عن تجليات وانعكاسات وعي المعصوم في أدعية الصحيفة السجادية المباركة وتكوين بنية تصور لدرجتي الجلاء الوجداني والوضوح المعنوي، والوعي على الاتزان والتكامل الفكري بين علاقة المعصوم بالله سبحانه تعالى وإبراز قيم المضمون في تلك الأدعية المرتكزة على التشخيص والكتابة والتفسير.

لو تأملنا في مهام التأمل لوجدناه يسعى ليوجه النص نحو المسلك الأرقى وأدعية الإمام عليه السلام هي قمة الارتقاء ولهذا يصبح التأمل في النص إيجاد طاقة فكرية وثقافية وحضارية تواكب المجتمع، والمهمة تصبح هي البحث عما ينفع الناس، ينقل لنا حديثاً عن النبي صلى الله عليه وآله عن أناس يصومون ويصلون ويأخذون أهبة من الليالي التي يجعل الله حسناتهم «هباء منشورا» والسبب إذا عرض على أحدهم شيء من الحرام وثبوا عليه، يستدرج سماحة السيد الصافي النص للمفهوم المعاش، فلا ينبغي لنا أن نستكثر بعض طاعتنا أو نستصغر بعض ذنوبنا، الفكرة ليست منعزلة عن الناس في الوثوب على الحرام من المحبطات ما يذهب بالصوم والصلاة مع أنهم كانوا يصومون ويصلون لكنهم يضعفون أمام الحرام، ويستشهد بحديث طويل للإمام السجاد عليه السلام، يؤهل القدرات العقلية الإنسانية

لاستيعاب منهج الفطرة واستثمار رحمة الله مرتكزا على ما لدى المتلقي من معرفة وبداهة سلوك لبعض الإضافة المعرفية وتذكرة النفس قبل المتلقي سعياً للدعاء بالتوفيق لبعض الأعمال التي نذخرها بنية صادقة لأهوال يوم القيامة، وعملية التذكير تقوم بقراءة بعض آفاق حديث المعصوم، والمسعى الفكري للدعاء بين قاعدة فكرية علمية مهمة، أن العبد لا يستحق المغفرة إزاء فعل الحرام الذي ارتكبه لتجاوزه على ساحة المولى «جل شأنه»، هذا العنوان الأول للانبعاث الفكري الذي تظهر معانيه جليلة، لكن أمام هذه العسرة هناك كشف حقيقة الأمر، الشعاع الذي ينير لنا الأمور أن الله سبحانه دائماً معنا، ونحن نسبح في رحمته دائماً، في أحاديث سابقة لسماحة السيد الصافي أن أسس تلك الأدعية كانت بعد أحداث كربلاء واستشهاد سيد الشهداء الحسين (عليه السلام)، وتبني الإمام السجاد قضية بناء الإنسان بعد أن دمرها المجتمع أخلاقياً ودينياً، فكان السعي هو بناء الفكر الروحي للإنسان.

الإمام السجاد (عليه السلام) يركز على العديد من المعاني الإنسانية والروحية ليعين الرعاية الإلهية للإنسان.

القاعدة المهمة التي يريد سماحة السيد الصافي أن يبينها في فكر السجاد (عليه السلام)، ودروسه الجليلة «إن الإنسان لا يملك إلا رحمة الله تعالى»

ويضع هذا الشعار مقابل تذكرة مهمة يبني عليها الأثر الإنساني في كل مكان وزمان «إن الزمن لا يعود» هذه اللمحة الفكرية لا بد أن نأخذها لمسافة التأمل العقلي وندرك مهام المضمون أمام محورية رحمة الله ولا عودة للزمان، قد توضح هذه الثنائية أزمة الإنسان الحقيقية أمام المسرى الزمني بالتأكيد هناك حساب زمني يترك مدياته على الإنسان وهي المساحة الواسعة التي جعلها الإنسان رحمة تبدأ من إدراكه عند التكليف إلى آخر العمر، مساحة التوبة مساحة النية والعزم على عدم العودة لما فيه سخط المولى «جل شأنه»، نجد أن سماحة السيد الصافي عنون قراءاته للصحيفة السجادية بعنوانات رئيسية وعنوانات فرعية، أي اتخاذه بنى متنوعة للشرح والكشف عن جملة من التجارب التي تعنى باهتمامات الإمام السجاد ليبنى حقائق فلسفية تعمل على تكوين بنية الإنسان وما تحمل من روافد نفسية وثقافية، فنجد العنوان الرئيس لهذا الجزء هو «الحلم الالهي»، أما العناوين الفرعية فهي كثيرة كونها تشكل فضاءً يحتوي على جميع المضامين الحيوية في الصحيفة المباركة.

أضرار الاستكثار والاستصغار:

من درر السجاد عليه السلام لا يبقى إلا الخالص، إخفاء الذنوب وعنوانات أخرى، وضعت تلك العناوانات لتسهيل استيعاب المضمون وتنوع

التوجه نحو تلك المضامين لتنمية قابلية الإدراك والتشويق في القضايا المؤثرة عند الإنسان.

ففي عنوان «اخفاء الذنوب» يعرفنا على حقيقة مهمة هي أن ذات الله تعالى تستعصي على مداركنا، وأن أهل السماء يطلبونه كما يطلبه أهل الأرض، وهذا يعني أن العبرة الحقيقية في الموضوع هو عملية استشعار رحمته سبحانه تعالى، نحن نشكر برحمته الله تعالى ورعايته لنا.

إن الفكرة في المغزى الوعظي مهم ويعد ضرورة معنوية لكون الفكر يبعث على حراك ذهني وروحي مثلاً نتأمل في قراءة سماحة السيد الصافي لمفردة تغمدني «تغمدني بستر» يرى أن ستر الله على عبده لا يهتك لذا عبر عنه الإمام عليه السلام بالنعمة.

والسيف مادام في غمده لم يشهر، الفكرة المعروضة أن ليس هناك ذنب مستور عن الله تعالى، وأي تصور خارج هذه الحقيقة هو خلل في العقيدة، أصل التوحيد أن الله تعالى لا تخفى عليه خافية والبحث عن منطقة التأثير الأسمى عند الإنسان هو التدبر الفكري والقاء الضوء على حيز تأملي، خشية أن ينتاب الإنسان نوع من الغفلة، أين هو مكمّن الغفلة؟

هذا السؤال يجعلنا نتأمل في البنية الفكرية للإنسان، بعضنا يرى أننا غير معنيين بالأدعية، ولا دلالة من دلالات الغضب الإلهي على

المجتمعات القديمة تعيننا، هذه الغفلة الحقيقية، هناك معادلات غيبية ينظمها الإمام عليه السلام فكرا عقائديا يرشد المجتمع إلى معانٍ مؤثرة مثل «فرح الخالق تعالى بتوبة المخلوق»، ومثل هذا الموضوع يستوعب الشرح والتفسير الحيوي بما يمتلك من دلالات كاشفة لرحمة تسبق الغضب، رحمة تدعونا إلى التوبة وتدارك العمر «فروا إلى الله تعالى» وكل ما عندنا من خير هو من الله تعالى.

التأمل في الصحيفة السجادية يأخذنا إلى مديات منها رؤية النص الدعائي، وعناصر تشكيله ورؤية القيم الفكرية المنبثقة عن محاور الإيمان، شخص ساحة السيد الصافي «أعزه الله» لنا قضية مهمة وهي فسحة من الاختبار حتى يحتجّ عليه يوم القيامة ليس للمخلوق حق على الخالق فهو ملك محض لله وليس له حق على الله تبارك وتعالى، العبد ليس له حق على الله، الله اعطاه الحياة، ومع هذا يستر الله تعالى على عبده المؤمن، العبد اذا عصا استوجب النار، الله سبحانه يوقف هذا القانون ويعطي فرصة للعبد، نجد هناك مسألة مهمة في أغلب أفعال الماضي تخص العبد، استرجاع يزودنا بمعلومات ماضية مخصصة للعبد مثل «عصيت، أعطيت» مقابلها أفعال مضارعة تختص بماهية الله سبحانه تعالى يوم القيامة، «يغفر، يستر، يعطي»، والله واسع الرحمة.



الإضاءة الثانية والعشرون
«فاعلية التقابل»

يرى بعض المفكرين أنّ الصحيفة السجادية هي مكتبة الدعاء والتضرع اليه سبحانه تعالى، ولا بد من التدبر في معاني هذه الادعية، بينما يذهب بعضهم الآخر من أهل الفكر الى ان الصحيفة السجادية ليست مجرد مجموعة أدعية الهية تقرب بين الانسان وربه، انما هي مادة علمية وفكرية، ولهذا سعى سماحة السيد احمد الصافي «دام عزه» في كتابه المصابيح الى قراءة هذا الاثر معنيا بالجانب الفكري المؤثر في المجتمع الانساني في كل زمان ومكان ولا يشمل جيلاً دون آخر، ومن بعض هذا الفكر يذهب الى تيسير فاعلية الأثر النفسي الانساني، ليضمن شمولية التلقي، والتركيز على الاثر النفسي في تلميح الفارق بين امكانية القدرة الالهية وامكانية الانسان، فنجد الله سبحانه تعالى يستر الخلل عند الانسان، يستر الذنوب والعيوب، بينما الانسان يتجاسر بالذنب بأثر بعض الموجهات النفسية، يخاف ان يطلع أحد على عيوبه لكنه لا يأبه كيف يكون موقفه امام الله سبحانه تعالى، كأن الله تعالى أهون الناظرين اليه، وهذا الأثر يعالج مسألة مهمة وهي السعي الدقيق لتحويل مفردات الفكر الدعائي الى ناتج سلوكي، لذا نجده يركز على حقيقية ميزان الايمان، هي لحظة الانفراد مع الله سبحانه يمكن أن يغيب عنه الفضل الالهي الذي لم يغير النعمة

ولم يكدر المعروف الالهي، ولا يمن على أحد وهذه دلالة معرفية تستعمل لغرض سلوكي هو مقابلة هذه النعم بالطاعة.

هذه الامور التي شخصها السيد الصافي، في شرح الدعاء لبيّن لنا ان الله سبحانه هياً لنا كل سبل الطاعة، أي بمعنى جعل تلك النعم سبلاً لطاعته لا لمعصيته، لو تأملنا في مفردات التقابل / المفارقة، توضح لنا معنى المعنى، لتوصله الى المتلقي عبر التضاد لتوضيح الدلالة، العفو الالهي يقابله تجاهل الانسان، الطاعة الالهية تقابلها المعصية، ونجد مفارقة مبهرة ركز عليها البحث ان نعم الله تشمل التضاد الايماني للمؤمن وللكافر.

يرى سماحته ان بعض الكفرة يتنعمون بلذائد دنيوية اكثر، وتعد المفارقة، أهم خصائص الدلالة لقراءة نصوص الأدعية السجادية بطريقة غير مباشرة لمنظومة فكرية أرسى مبادئها الامام السجاد (عليه السلام)، فنجده يستشهد بقول: «الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا»، تشتغل آية التقابل بين الانتباه والغفلة، بين النوم واليقظة بين التوبة والندم، ويذهب سماحة السيد الصافي الى مفارقة فكرية شعورية دلالة لموعظة تجسد التقابل بين الدنيا والاخرة، الأم التي تضحي بنفسها من اجل طفلها، لا تفعل ذلك في الآخرة ﴿تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ﴾

«الحجج/ ٢»، وتذهب نحو أهمية مثل هذه القراءة، التي تعمل على زيادة وعي المتلقي ونشر هذه المعارف باعتمادها منهجاً تربوياً يستمد ثقافته من نهج الامام المعصوم ومن النبي ﷺ، والاهتمام بالإمام المعصوم كمصدر فكري يمكن استثماره، لما يمتلك من مكانة دينية واجتماعية، ومثل هذا العمل البحثي يحتاج الى من يستطيع الولوج الى العمق الفكري للمعصوم، الى القوة الايمانية التي من الممكن ان يحصل على معانٍ جسيمة لكل دعاء ليس على سبيل المذاكرة العابرة، بل نهج تربوي في كل آن، أي إن التمحيص المتأمل لا يعني المرحلة الزمانية على مستوى زمانية المعصوم ولا على مستوى زمانية البحث، أو زمانية القراءة بل على زمانية منفتحة، بوصفها حجة على الناس، وهي المنقذة اذا التزموا بمضامينها، وهذا الالتزام يمثل الاطمئنان الروحي وهو الشعور بالرضا، ويحدد لنا قضيتين مهمتين، أولها: تحقيق الذات من التضرع الى الله سبحانه، والثانية: استثمار الفرص لشغل أي فراغ، ويجعله سلامة لباطنه.

ففي الغرب يشاغل نفسه في الصحف الصباحية يقرأ في المحطات والقطارات، بينما نحن لدينا وسائل مشاغلة الفراغ روحياً من خلال التسبيحات، وبعض الأدعية لملء مساحة الفراغ، بمساحة تذكرة

ومساحة استغفار يَمَحِقُ بها الشيطان بما تملك من طاقة روحية في الركوع والسجود والتسبيح وفي الانقطاع الى الله، قرأت لأحد المفكرين؛ ان شهداء الطف الحسيني كانوا في ساعاتهم الاخيرة يقرأون القرآن بصوت مسموع ليحصنوا انفسهم من اي غزو شيطاني يجب لهم الحياة، ومن هذا الموضوع نفسه تنبثق الاستكانة والتذلل الى الله سبحانه تعالى، وهذا من مبادئ توجيه السلوك حقيقة تنقلت من مفهوم سلوك المعصوم نفسه بما يمتلك من بساطة ولين معاشرة، والإبداع المعرفي هو عملية من عمليات التفكير الجاد لتحويل أطر النص المعصوم الى شواهد سلوكية حياتية من جهة تداعي قوة الانسان وتلاشيه حتى يصبح عبئا على غيره.

إن نظرة حقيقة النص البحثي تصل إلى أن من سعي الامام السجاد عليه السلام، إعادة توجيه الوعي الديني، ومنه يذهب النص البحثي الى عدة اتجاهات من الوصايا التي هي الدعاء للآخرين وعدم البخل بالدعاء، وثانيا ادخار الشفاعة، والشفاعة لها شروط فلا بد من التهيؤ الى طلب الشفاعة من النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام.





الإضاءة الثالثة والعشرون
«الوقاية من المعاصي»

سعى سماحة السيد أحمد الصافي في مشروعه كتاب المصايح لتفسير مضمون الصحيفة السجادية، وتوصيلها للمتلقي الشمولي وكأنه خطاب داخل خطاب، يهدف إلى أداء وظيفة المضمون عبر مرونة التفسير لتحقيق التواصل الأنفع والأكثر فائدة، من خلال توضيح الدلالات النصية، بدأ هذا الجزء بمحاورة جرت بين موسى كليم الله وبين الله سبحانه وتعالى.

وموسى عليه السلام هو نبي من أنبياء أولي العزم وله منزلته الرفيعة عند الله تعالى، وعندما يتحدث الأئمة عليهم السلام لنا عن موسى عليه السلام لا يحدث ضمن أحاديث قضاء الفراغ، ولكن شفقة منهم علينا من تلك الأهوال العظيمة يوم القيامة، ومن رحمتهم ورأفتهم أننا نستطيع أن ندفع تلك الأهوال بأعمال قد تبدو بسيطة، ومثل هذه المعاني المضمونية تظهر لنا قيمة التواصل من خلال بنية النص.

وانتاج أي فكرة عند المتلقي هي من مكونات النص نفسه، غاية النص البحثي بناء قدرة تجذر المكون النصي للمعصوم في الوعي الثقافي والفكري، يرى سماحة السيد

الصافي إن الخلاص من تلك الأهوال يحتاج إلى منعة تصد النفس عن لفحات جهنم، وهذه المنعة تقوى بصلة الرحم ومساعدة الناس والخشية من الله تعالى.

والدمعة التي تخرج في لحظات الدعاء لها القابلية على أن تطفئ نار جهنم والاستقطاب اهتمام المتلقي جزء لنا النص البحثي إلى مقاطع وكل مقطع له عنوان دال على مضمون الجزء، ونتيجة تؤدي كل تلك المقاطع والأجزاء إلى مكون موضوعي تحت عنوان «الاتكال على الله تعالى» إن وراثه علم الإمام المعصوم من الأنبياء والصحيفة السجادية تقودنا إلى تلك الرحاب الالهية الواسعة والفيض الإلهي.

إذا استطاع الإنسان أن يحلل دوافع المعصية بينه وبين الله تعالى، سيشعر بالحاجة الحقيقية إلى الله تعالى، ولا يمكن أن نفكر ولو للحظة أننا في غنى عن الله تعالى، الأسس الجمالية في أي خطاب بحثي هو تحليل مضمون بعض الشواهد الفكرية التي قد تشكل إثارة في ذهنية المتلقي الشمولي.

عندما نريد أن نتقي حرارة الشمس علينا أن نستظل تحت سقف، الإمام عليه السلام يقول «وقني من المعاصي» أي اجعل لي

واقية من المعاصي، التركيز على هذه المضامين الفاعلة من أجل تكوين رؤية تنسجم مع قيم الموعدة على وفق التصور المؤثر والبحث في فضاء النص.

المؤمن عزيز على الله تعالى والله تعالى يريد ما فيه صالحه، والإنسان عاجز عن إدراك مصلحته فأما نجده يهيم بمعصية أو يأتي بفعل يجر إلى المعاصي، والله يتدارك حينها العبد من المعصية بخلق أعطاب وإن كان مؤقتاً في سبيل أن لا يجسر على المعصية، والحال تشبه من يصفع طفلاً ليبعده عن النار أو الكهرباء، الصفعة هي الحاجز بأن لا يصل الطفل إلى النار، يعد فعل الاقتناع جوهر العملية التواصلية الفاعلة، وتحقيق الإقناع مرهون بكفاءة الباحث وقدراته، فلا تواصل من دون تأثير ولا تأثير من دون إقناع الصورة التشخيصية التي قدمها ساحة السيد الصافي بعدها صورة مصغرة ترى عبرها صورتنا عند المعصية.

المعصية في حقيقتها هي النار التي يريد الله تعالى أن يقينا منها ليجعل المرض أو عطب بعض الأعضاء في سبيل ألا تصل إلى النار وقد يرى الإنسان أن هذا النوع هو نوع من الظلم،

ولكن في حقيقة الأمر أن ليس هناك ظلم، إنما هناك وقاية من النار، أرى دور سماحة السيد الصافي في كتابه المصائب دور ناثر العطر، والتركيز على جوهر المضمون يضيفي فضاء أكثر سعة للمتلقي الشمولي وأعمق لمفهوم متلقيه كونه يمثل بنية المعاصرة الصياغة بالمفهوم العام، إعطاء التصور القادر على فهم المعنى.

يشتغل النص البحثي تحت عنوان آخر، «حسن الظن بالله تعالى» قد يظن بعضهم إن مثل هذه العناوين سهلة الفهم بما يتعلق في الأمر الظاهر، لكننا نجد ضرورة الوعي في التعامل مع النص الفاعل، الإمام علي (عليه السلام) يطلب من الله تعالى أن يقيه من المعصية، لبحث في جوهر الفكرة المعروضة.

يرى سماحة السيد الصافي علينا أن نفهم أننا أوكلنا أمورنا إلى الله تعالى، يتصرف فينا كما يشاء والله تعالى، لا يريد لنا إلا المصلحة، هذا حسن ظن الإنسان بالله تعالى.

وسبحانه عند حسن ظن عبده المؤمن، إن من أبلغ موارد الطاعة أن يحسن الإنسان الظن بالله تعالى، كل ما يفعله الله للعبد هو في مصلحة العبد، وعليه أن يرضى.

نجد أن النص البحثي اعتمد على الأثر الفكري، الرؤية الحقيقية التي تشكل مفهوم الفكرة، لبناء العلاقة بين النص والمتلقي، فالله سبحانه وتعالى يحمينا إذا اقتربنا إلى دخول النار، ووظيفة النص البحثي وظيفة فاعلة فهو يقرأ دلالية النص المعصوم بألية الأداء يشخص التصور المعين ضمن عملية القراءة في عنوان فرعي آخر.

«استعمال العبد في الطاعة» نجد أن المرجعية المعرفية تمثل لبنة أساسية لأنها تدون لنا مجموعة المفاهيم، العلاقات السلوكية والنفسية وسائر قيم المرتكز، والمفردات التي تشكلت منها الخلفية المعرفية للنص فهو المحرض لتبني وجهة نظر محددة لإنتاج رؤية.

الامام عليه السلام يقول «وقني من المعاصي واستعملني للطاعة»، سماحة السيد الصافي يركز في قراءته على بلاغة التعبير، الإنسان يرغب أن يعيش في الدنيا عنصرا نافعاً، يطلب من الله تعالى الوقاية من المعصية، يعمل على تغطية مساحة واسعة لمفاهيم فكرية تشكل الهوية المعرفية للنص مع ارتباطات الواقع الاجتماعي للكاتب استعمال الطاعة عند الإمام عليه السلام

لها مفاصلها الكثيرة، إرشاد الإنسان في مساعدة مريض، قضاء حاجة محتاج، أن تكسو عريانا، فمن لطف الله أن جعل الحسنة بعشرة أضعاف، وفي فقرة أخرى تحت عنوان «التوبة جلاء المعاصي» التوبة ومفاهيمها المعرفية والرواية التي تمثل مفهوم التوبة يقربها إلى المتلقي عبر المفهوم «وطهرني بالتوبة». استوقفت ساحة السيد الصافي روعة التعبير، لا يمكن إزالة القذارة بقذارة أخرى القذارات تزال بالماء، أما إذا تلوثت النفوس تتطهر بالتوبة، لا بد أن يتوب الإنسان ويعمل على إجراء تقابل مفاهيمي بين ما يحمله الدعاء وما يذكره الله سبحانه تعالى تلاقٍ يتمحور حول مفهوم الجملة وجذرها القرآني «وطهرني بالتوبة» القرآن الكريم «إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين» جمع الدعاء مع الآية يظهر أن الله تعالى يحب العبد التائب وفي قوله ﷺ «وأيدني بالعصمة واستصلحني بالعافية» إيصال المعنى الشمولي لمفردتي «قني - أيدني» قني من المعاصي وأيدني بالعصمة، يتفاضل الناس بالتقرب من الله وبالتقوى.





الإضاءة الرابعة والعشرون

«أدب الدعاء»

اشتغل كتاب «المصايح» على توليف الأسس والمرتكزات التي تحملها الصحيفة السجادية وإخراجها للوعي المجتمعي بشرح وتفسير ومواءمة مع الواقع الفكري من أجل نشر المضمون القيمي والمؤثر، يشخص لنا أهمية الصحيفة السجادية بما يحمل من عبرٍ تحث على الطاعة والتمسك بحبل الله المتين وتسعى للنهوض بمسؤولياتنا العبادية، كتاب المصايح لم يتعامل مع موروث الإمام زين العابدين عليه السلام على أنه مجرد مواعظ قيلت في زمن ماضوي، بل تعامل معها بمعطيات ومؤثرات الواقع المعاش بكل حيثياته، يبيّن لنا أن الإنسان لا يخلو من ذنب، لكن لا بد له أن يتدارك ذلك بالاستغفار وطلب التوبة والوقوف بين يدي الله سبحانه تعالى.

أولاً: يشكل الذنب عند الإنسان محنة وأزمة نفسية تنتج عدم تماسك نفسي، وهذه الحال تكون بحاجة إلى من يرشدنا لكيفية التماسك.

ثانياً: إن خطاب الإمام عليه السلام لا يقتصر على من حوله ومعاصريه، بل له قواسم مشتركة بين كل بني الإنسان في جميع الأزمنة.

ثالثاً: عمل كتاب المصاييح على أن يكون وسيطاً يساعدنا على فهم التوصل بين فقرات المنجز من أجل أن نعيش حياتنا بالشكل الأمثل، وأن نعي علاقتنا مع الله سبحانه وتعالى، ووعي الإنسان يدرك أن العبد يستحق الجزاء بأول معصية لكن رحمة الله ولطفه تكرر علينا بأن يمنحنا عمراً طويلاً لتدارك ذلك بالمغفرة والتوبة.

أدب الدعاء هو أدب تواصل فاعل ومؤثر ويدخل في وظائف معرفية وقيمية وحدثية، تعرفنا أن صفة الغفار هي صيغة مبالغة، والعبد المؤمن هو كثير الدعاء ويرى سماحة السيد أحمد الصافي «دام عزه» أن في الموروث الدعائي مغريات ومحفزات قادرة على التوجيه والرشاد، مثل هذه القراءة، تذهب إلى عدة معرفيات منها علم الاجتماع وعلم النفس وعلم الأخلاق، ومعرفيات فكرية وثقافية، لأنها من الجانب النظري عند الأئمة عليهم السلام ترسم لنا لذائد لقضية الخلاص في الدنيا والآخرة، قد يذنب الإنسان وهو لا يلتد بذنبه، وهناك من يشعر بلذة المال الحرام، وكلاهما ذنب، الاهتمام بالإرث الحضاري للأئمة المعصومين، يجعلنا نعيش بركة وجودهم ومع أن كثيراً من

المفكرين كتبوا عن الصحيفة السجادية واستخرجوا علاقاتها بالمعارف الإنسانية داخل محور النفس والمجتمع، وبما أن الباحث صاحب مكانة علمية واجتماعية تواصلية مع المجتمع، وله إمكانية تأثيرية واسعة هناك بعض من العلماء قسم الذنوب إلى ذنوب صغيرة وذنوب كبيرة، وبعضهم جعل الذنوب كلها كبائر لكونها تجاوزت حدًّا من حدود الله سبحانه وتعالى غفلة أو سهواً، وركز على ما بعد الذنب والرجوع إلى الفكر والعقل فيؤمن إلى اللذائذ الزائلة غير الباقية، وحينها يتعري الإنسان من لذائذ الذنب وتبقى تبعاتها، والبحث في ساحات الوعي وتأثيرات تلك اللذائذ الزائلة والتبعات المتجذرة في الوجدان، هناك لذة أخرى تعد قيمة الإنسان فيها، قدمها سماحة السيد كأنموذج من نماذج الرقي الإنساني بقراءة جملة «وأذقني حلاوة المغفرة»، لاكتساب هذه الحلاوة مصادرها وطبيعتها وآثارها يسلم إلى نتيجتين:

الأولى: تهيم الإنسان إلى هذه الرحمة عبر صدقه مع الله سبحانه وتعالى.

والنتيجة الثانية: استحصال ذائقة خاصة لتعرف قيمة هذه

المعرفة، لتصل إلى منبع الحكمة الوجدانية أن ليس هناك إمكانية الحصول على المغفرة وحلاوتها إلا بعد أن ندعو الله سبحانه أن يغفر لنا، وفي تشخيص سماحة السيد الصافي لتحسس لذة المناجاة نحتاج إلى تجربة، لنلج إلى العمق القصدي للبحث يرى علماء الاجتماع أن المعتقد الذي يوحد الناس يعد الأخلاق شرطاً لنموه، وقضية الانقياد إلى الله سبحانه تعالى ليس بالأمر الهين، وليس بالأمر المستحيل ونتيجة الأفكار الإنسانية، تأتي لكسر الجمود واليأس والتردد، بينما القضايا الروحية والقيادية لا تحتاج إلى يأس من رحمة الله أو القنوط منها، وكسر نمطية الملل بالمناجاة تحتاج إلى تمرين شخصي وإلى مطاولة بممارسة الدعاء والمناجاة حتى يتلذذ بها، وأن يطلب العفو والمغفرة حتى يتحسس حلاوة تلك المغفرة، يرى علماء الفلسفة أن الإنسان يحتاج إلى المعرفة ليدرك ويفهم ويفسر ما يجري، والمعرفة العملية تبدأ من الإنسان باعتباره فاعلاً اجتماعياً يحتاج أن يعرف أن استعراض الذنوب أمام الله العالم بها، لا بد أن يحتاج إلى طلب العوض عن هذا الاستعراض، تبديل هذه الذنوب بالمغفرة والرضوان وعفو الله يسبق غضبه، يحثنا الدعاء

على التمسك بالله سبحانه تعالى وبناء قواعد لهذا التمسك الذي يجعلنا قادرين على محاسبة النفس قبل أن نتعرض للمحاسبة من قبل الله سبحانه فلنحكم على الأمر من دافع الاعتقاد، ومنه بناء موقف حقيقي مع الذات، يهبنا الله سبحانه الصحة وسلامة البدن والمال والعقل وكل شيء ويريدنا أن نستعين بهذه القوى في الامتثال لأوامره، وهذا الأمر يقودنا إلى عدد من المعرفيات منها معرفة الله سبحانه ومعرفة خبايا النفس ومعرفة حكمة العقل التي تجعلنا نطلب من الله سبحانه أن يعاملنا برحمته ولا يعاملنا بعدله؛ لأن الانسان يعرف عدم رجحان كفته أمام عدل الله لذلك عليه الاستعانة برحمته، والإمام السجاد (عليه السلام) لا يكتفي معاملته بالرحمة وإنما يرجو من الله تعالى «واجعني طليق عفوك»، يدرس سماحة السيد هذه الجملة بأسلوب التصوير الفني جعل المشهد المحسوس حيا تضافرت مكونات المشهد في وحدة جمالية متنوعة لتؤدي الدور - المشهد - الذي بدأ بإنسان أسير بذنوب الدنيا، ينقاد بسلسلة ولا يستطيع أن يفك القيد، يبحث عن يفك قيده، والله سبحانه تعالى يملك المفتاح، المشهد الثاني من هذا العمل الفني مالك الحق (جل

علاه) يقول عفوت، يتضح جمال المشهد من عنوانه البشارة، بشارة يوم القيامة ورحمة الله تحضر لتفك عنا الأسر برحمته، يصور لنا ساحة السيد الصافي مشهداً آخر من مشاهد الرحمة، يعلق الذنب سبع ساعات، وبعدها إن فاتت الساعات دون تدارك الأمر سيكتب لكن يبقى معلقاً فاذا تدارك الإنسان ذنبه بالاستغفار فان الله يعطل الحكم ولا يعذبه.

الصورة الأولى: الصفحة بيضاء.

الصورة الثانية: الصفحة مملوءة لكن الله تعالى لا يعذبه.

تأتي هذه المشاهد التصويرية حية تتنفس المشاعر والوجدان، الإنسان ينظر إلى الصحيفة وهي مملوءة بنقاط سود يرفع رأسه إلى الله يطلب الجنة زائداً الرضوان ورضوان الله مطلب في غاية الأهمية، لنصل إلى ذروة المشهد التصويري عبر مسعى نيل الرضوان بالصدقات ومساعدة الناس، وسلوك طريق عفوه والاستجارة بالله سبحانه أن يجعلنا نحيا الرفعة بالدعاء ويجعل لنا بصيرة في ديننا.





الإضاءة الخامسة والعشرون
«التوفيق لمناجاة الله»

الكتابة عن واقعة الطف المباركة تمثل الواقع الفكري بما تمتلك من رؤى إنسانية تضحوية قادرة على منحنا الفكر والحياة، كونها تمثل القيم الإيمانية التي استقينها من منهج أهل البيت عليهم السلام، وترتكز على مجموعة عناصر تتظافر فيما بينها لتمنح الرؤية قيمتها وقدرتها على إيصال الفكر القويم ومن أبرزها شخصيات الطف المباركة التي لها حضور في وجدان المتلقي، مثل شخصية الإمام الحسين عليه السلام والذي يعدّ هو الذات والموضوع والأثر الفكري الفاعل والمؤثر وجدانياً كونه أنموذجاً إيمانياً بتقوى الله تبارك وتعالى.

والإمام السجاد عليه السلام شخصية من شخصيات الطف الحسيني المبارك، البطل الذي حول قيم المواجهة إلى منهج فكري تربوي لتوجيه الأمة بالأدعية المباركة، والتي شخص سماحة السيد أحمد الصافي مضامينها العالية.

وجدير بمن ينتمي إلى مدرسة أهل البيت عليهم السلام أن يلج إليها؛ لأن الأدعية السجادية تمثل درر المعاني الروحية الإنسانية ومحور الأفكار والأحاسيس والآراء القويمة، واستشهد بجملة من جمل الأدعية السجادية «واكتب لي أماناً من سخطك» أسست هذه الجملة مفهوماً ارتكازياً يشطب كل الأمن الدنيوي الذي كان يلوح به الأميون لمن

يرتضونهم، ويوجه الأنظار إلى أن سخط الله أكبر وأضاح سماحة السيد الصافي عنواناً آخر من عناوين الإصلاح الروحي، حاجة الإنسان في كل عصر أن يكتب له الأمان من سخط الله سبحانه وتعالى، وهذا الأمان يحتاجه الإنسان مهما بلغ من العمل، يحتاج إلى الرحمة الإلهية وإلى العفو الرحماني وإلى العطف الرباني. حري بالإنسان ألا يتملق لأحد مهما كان شأنه الدنيوي، وعليه ألا يتملق إلا لله تبارك وتعالى وأن يتحجب إليه، لأنه سبحانه هو الخير الحقيقي والدائم.

إن البحث عن البصيرة هي المقوم الرئيس للدخول إلى عوالم الدعاء، والمناجاة بمعنى يلخصه لنا سماحة السيد الصافي بقيم الاستشعار في داخل النفس والتلذذ بها، ويعدها سبباً من أسباب التوفيق، يوفق الإنسان لمناجاة الله تبارك وتعالى ويوجه بصائرنا نحو دعاء ورد للإمام الحجة عليه السلام «اللهم ارزقنا توفيق الطاعة» ويتخذ مشروعه البحثي سبيلاً لإبراز قيم المضمون في الصحيفة السجادية المباركة، بما تحمل من سمات معرفية ودلالات سلوكية تجعل الطاعة في دعائه توفيقاً.

لو نظرنا إلى الموضوع من جهة علم النفس لوجدنا أن هذا التوفيق

يولد سعادة نفسية فيكون التوفيق وجوداً قائماً بذاته وله كيان يتعلق بالسلوك، ترتبط بفطرة الإنسان، شخصها السيد الباحث بالاستشعار.

استشعار اللذة الروحانية للتقرب لله سبحانه، هذا الاستشعار حمل عدة مميزات مرتبطة بالوعي الإنساني لمفهوم المناجاة.
أولاً: «إن ذلك لا يضيق عليك في وسعك» القدرة المتفردة التي لا يعجزها شيء.

ثانياً: «ولا يتصعدك في أناتك» أناة الله سبحانه واضحة لولا أناة الله وحكمته وصبره علينا لكننا نستوجب سخط الله، وقد أسس الدعاء لكسب تلك الأناة.

ثالثاً: «ولا يؤودك في جزيل هباتك التي دلت عليها آياتك» الله سبحانه وتعالى حريص على هداية البشر، ويفرح بتوبة العبد المؤمن، وفي فقرة «التعامل الاستثنائي مع الإمام الحسين (عليه السلام)» والمعروف أن دراسة أي شخصية تحتاج إلى النظر إليها من عدة نواحٍ.

أولاً: «الناحية النفسية» والحسين (عليه السلام) يمتلك العمق النفسي المؤمن والموقف الثابت الذي لم يتزحزح في أصعب المواقف، وهذا سر تميزه، وتعامل النبي محمد (صلى الله عليه وآله) والأئمة (عليهم السلام) وشيعة أهل البيت مع

قضية الحسين تعاملا خاصا.

الحسين عليه السلام شخص قوي جدا واستطاع أن يجذب قلوب العالم إلى موقفه الثابت في المعركة رغم التفاوت الكبير بين القوى جعل كثيراً من علماء النفس يشيرون بالبعد النفسي عنده وعند من معه من المقاتلين الذين تحدى بهم الموت دون أن تظهر عليه أو على أي واحد من أهل بيته وأصحابه أي انفعالات نفسية أو صراعات داخلية كان الجميع مطمئنا بالشهادة.

ثانياً: «المنظور الاجتماعي» باعتباره رمزا رساليا يمثل ثقل القيادة الرسالية، ابن بيت عرف بالمقاومة والشجاعة ضد أي انحراف رسالي لخط الإسلام، يحمل شجاعة الإمام علي عليه السلام وتفانيه في موقفه التي يعرف العالم مغزاها تعبيراً عن روح الانتماء، وأم شجاعة تحددت قوانين القبلية بشراستها، حتى حرقوا عليها الدار وما لانت غضبتها، هذه المواقف تشكل عند الناس ألفة عبر التاريخ لا تحدد بزمن المعاصرة.

التاريخ لا ينسى مثل هذه المواقف لذلك تجد في كل جيل هناك نصرة الله لأهل البيت عليهم السلام، ولمن تبقى منهم بعد معركة الطف مواقفهم العظيمة في التحدي ونشر رسالة الحسين عليه السلام، جعلت هذه المواقف الجليلة لهم حضورهم الاجتماعي، يمثل معنى الولاء، والتنامي عبر الأجيال.

ثالثاً: «المنظور المعرفي» لقراءة واقعة الطف وتنامي المساحة المعرفية أهمية فاعلة في فهم الأحداث/ الأقوال/ الأفعال لمعرفة شخصية الحسين عليه السلام عبر منهلين.

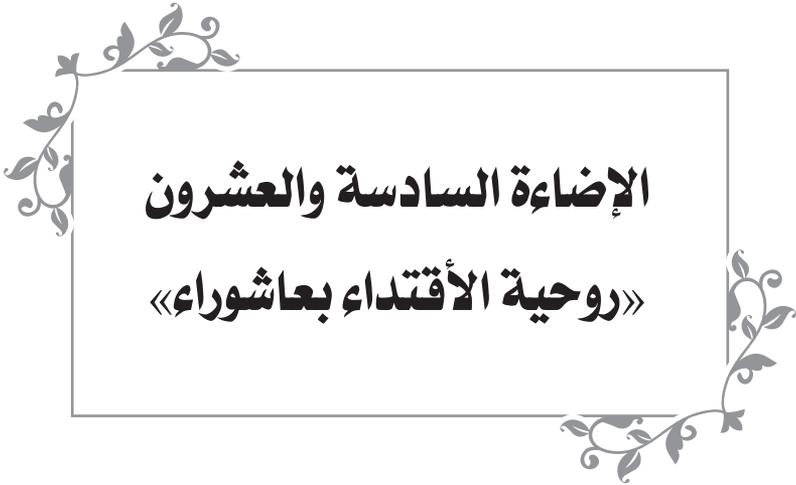
بعض المصادر المهمة من زيارة عاشوراء وبقية الزيارات، وإضاءات الأئمة عليهم السلام لبلورة المفهوم الأسمى لشخصيته عليه السلام، فتحوأ كوة من الضوء للزائرين عن عظم المصيبة وهذه الرزية التي عظمت عند أهل الأرض والسماء، لكننا نقف عند المنهل الثاني قضية العلاقة بين حقيقة الحسين عليه السلام والسماء مع الدم الطاهر الذي عرج إلى السماء فلم تنزل منه قطرة، يجعلنا نفهم الدور الفاعل لنهضة الحسين عليه السلام وانتفاء الحسين عليه السلام إلى السماء وما يمثله من الانتفاء الرسالي المحمدي ويقف سماحة السيد الصافي أمام جملة: «أشهد أن دمك سكن في الخلد واقشعرت له أظلة العرش»، وهذا يعني أن الحسين في الطف أظهر الارتباط الحي بين الأرض والسماء، وكأن ما حدث كان صراعاً بين قبائل من أهل الأرض مع نماذج من أهل الجنة، يبقى المعنى الخفي عصي على المعرفة الكلية وإنما نحن أمام مرتكزات بحاجة إلى تخمين وتأويل ومعتقد راسخ لا يحتاج إلى معرفة تفصيلية لا أحد يعرف شخصية الحسين عليه السلام حق معرفتها، الشخصية التي

غيرت مجرى التاريخ في هذه الأرض فاعلية مغايرة تميزت بفعل
أذهل الكون، وشيدت بدمه كربلاء.

سنستعين بكربلاء لنلج عبرها إلى عوالم نلج منها إلى عوالم شخصية
الحسين عليه السلام ومعناها الذي يقدر أن يعكس لنا شخصية الحسين
عليه السلام، صفاته، وأحاسيسه، وخصائصه، كونها مدينة لا تحد بمساحة
جغرافية بالكيلومترات بل تتناغم بين جميع أهل الأرض وبين جميع
أهل السماوات لنذكر أن شخصية الحسين سيد الشهداء عليه السلام شخصية
تجذرت في هذه الأرض، أثمرت تلك الشجرة المباركة الفكر الحسيني
فكراً متطوراً مبدعاً دخل الحرب بمعنى الصلاح وهذا المفهوم مخالف
لمصطلحات الحرب من حسم مباشر وتصفيات جسدية وبما أن
المساحة مفتوحة وليس هناك حسم مباشر فلا منتصر في الميدان سواه.
يرى سماحة السيد الصافي علينا ملاحظة أن الحسين رغم كل
الصعوبات لم يتبرم أو يعترض على شيء، ويرى أن النصر جوهر
معرفي بل يقيني يصوغ للعالم معناه.

والحسين عليه السلام محاط بشعاع رحماني أثر على كل من معه وكل من
عرف الحسين عليه السلام يعلم سر هذا التأثير الوجداني العامر في كل الأزمنة
والمعرش في الضمائر.





الإضاءة السادسة والعشرون
«روحية الأقتداء بعاشوراء»

دراسة الإرث الفكري لأدعية الصحيفة السجادية تقوم على بحث أبنية الوعي في فكر الإمام السجاد عليه السلام، وقيم الإصلاح المجتمعي التي لا يمكن أن تتحقق إلا من خلال توثيق الارتباط بمنهجية الثورة الحسينية النهضوية، وكتاب المصابيح لسماحة السيد أحمد الصافي يبين الأثر الروحي للنهضة الفكرية لمنهج الإمام السجاد عليه السلام، والسعي لبناء الوعي الإنساني وتعميق مفهوم النهضة الحسينية لبيان روحية الانتماء إلى الرسالة المحمدية، بمعنى التوجيه الخالص لسبحانه وتعالى، النظر إلى واقعة الطف ليس باعتبارات ما تحقق في المنظور الزمني الآني بل النظر إلى تحقيق الهدف المتنامي والأثر الروحي النهضوي في المجتمعات الإنسانية، لهذا نجد الإصرار الإنساني على بقاء هذه الشعائر المباركة المرتبطة بالحسين عليه السلام، هي قصة فيها جواذب فكرية وروحية تمثل حضور قيم الاستنهاض الحسيني، لهذا يسعى الناس في عموم العالم للبذل والعطاء من أجل الحسين عليه السلام وإدامة الشعائر.

نجد أن أهم محفزات دراسة ذلك الإرث المعصوم هو الانتماء إليه، والرمز الحسيني الذي يشد أواصر الهمم عند الناس في كل جيل يعتبرون الحسين عليه السلام رمزا لا يصلون إليه، ولو تأملنا في ماهية

هذا الاعتبار لوجدنا:

أولاً: واقعية هذا الاعتبار كونه شخصية تميزت بروحية الانتماء، ومعنى من معاني الايثار.

ثانياً: قوة الارتباط بمشروعه النهضوي الإنساني ونجاح هذا المشروع الإصلاحي.

ثالثاً: تهئية كل مستلزمات الديمومة بما امتلكت من منهجية اليقين الإيماني.

رابعاً: الإصرار على المسير نحو هدفه الإصلاحي وعدم وضع أي خيارات للتراجع عن النهضة الإصلاحية مهما تعقد الأمر.

خامساً: الإعداد لاستمرارية المشروع بإشراك السيدة زينب والإمام السجاد عليه السلام لنشر الثورة بمنهجية التحدي الزينبي وتأسيس منهجية بناء الإنسان حسب مفهوم القضية الحسينية لإنشاء مجتمع قادر على استيعاب فكر الثورة.

سادساً: تسخير مجموعة من المنهجيات تتحد لبناء الثورة الإصلاحية لإدامة التأثير الفكري والوجداني بتضحوية الحسين وأهل بيته عليهم السلام ندية المواجهة الزينية التي كشفت الزيف الأموي، ورسخت الوعي الفكري المثمر لمشروع الإمام السجاد عليه السلام لبناء

مجتمع قادر على استيعاب مضامين الإصلاح، هذه الأدوار القيادية للثورة الحسينية تجاوزت التصورات التقليدية وإلا لكانت واقعة الطف كأي معركة حدثت وانتهت لتصبح مجرد ذكرى في التاريخ.

حسنة كتاب المصائب أنه لم يتعامل مع الواقعة المباركة تعاملًا متحفيًا، بل سعى لبحث في المجال المعرفي، وقراءة الواقعة في حاضرها والتأمل في فكر واقعة الطف لترسيخ منهج النهضة عبر التحليل الدلالي والنظر إلى مضمون النصرة الحسينية ومعناها وتأثيرها على المسار الوجداني، كان عليه يجب مشاركة المجتمع في مساعي الثورة ولا توقفه نتائج الاستجابة أو عدمها.

كل واحد يجسد موقفه الوجداني ومكنون فكره وثقافته وتربيته، نجد أن زهير بن القين (رضوان الله عليه) استجاب لنصرة الحسين ليكون أحد شهداء كربلاء بينما «عبيد الله بن الحر الجعفي» رفض الاستجابة لنصرته، لنقرأ من خلال تباين المواقف دعوة الحسين عليه السلام للنصرة، من أجل أن تتخذ أسماؤهم مع اسمه الشريف.

في النصرة معرفة الحق ورفض الباطل والإيمان بمنزلة العصمة، والبحث في دلالات النصرة تأخذنا لأكثر من محور:

أولاً: المحور التعريفي: يقينا أن تعريف الحسين عليه السلام للأَنْصار فاق

كل تعريف مذهبي أو عشائري أو اجتماعي وأصبحت ميزة هؤلاء الشهداء الأنصار تحت سمات التعريف الحسيني «ولا أصحابا هم خير من أصحابي».

ثانيا: الخلود والبقاء عبر التاريخ بمميزات الرفعة إثر التضحية التي أبقتهم في جوهر التواصل الحسيني.
ثالثا: بلوغ الفتح:

مفهوم رسالة الحسين تحمل في مضامينها البيان الواضح «من لحق بي منكم استشهد معي ومن تخلف لم يبلغ الفتح» الفتح يعني البقاء الخالد دنيا وآخرة، وهذا لا يتحقق إلا عبر الاستشهاد دونه هناك موت ونسيان ذكر.

رابعا: ثمرة النصر تعني ثمرة النضوج الإيماني الذي يجعل من الشهيد الذي نال الفتح مضمونا قياديا بين الناس وقدوة حسنة نحمل نحن ثقل وجودها المطمئن داخل ارواحنا، لكونهم سيكونون شهودا على انتمائنا الحي إلى الحسين، وإلى ثورة الحسين، ارتبطت مسألة الانتماء إلى الحسين بمشاريع إحياء الشعائر الحسينية، لنضمن للناس انتماءها للركب الحسيني، والسير على هداه وإعلان الولاء لنهضته التي تجاوزت اعتبارات زمانها، وأصبحت عنوانا مهما من عنوانات

اليقظة المصيرية ومواجهة الطغيان في كل عصر ومكان، وأصبحت جذرا معرفيا بما امتلكت من مميزات منها انتخاب أصحاب النصره كونهم أدركوا معنى النجاة الحقيقي في خضم الشهادة، وكان حصيلة هذا الإدراك، هو زيادة المساحة التأثيرية في وجدان الانتفاء الحقيقي للحسين (عليه السلام)، ومواصلة تأسيس الظاهرة العاشورائية لنشر الثقافة والوعي وترسيخ مبادئ وقيم النهضة وحضورها في فكر التعازي والمواساة كالبكاء وإقامة المجالس الحسينية لتفعيل نداء «أحيوا امرنا»، استمرار الشعائر والتعبير عن الانتفاء وعن النصره، وتربية النشئ لصناعة ذاكرة حسينية، نستثمر قراءة سماحة السيد الصافي لتعيين المواقف الفكرية التي شخصها من خلال استعراض العمق الولائي لإقامة الشعائر الحسينية.

«الموقف الأول»: يتبلور المسار الفكري من انبثاق الوعي الإنساني كل إنسان يحفظ في قلبه ما ينجيه يوم القيامة.

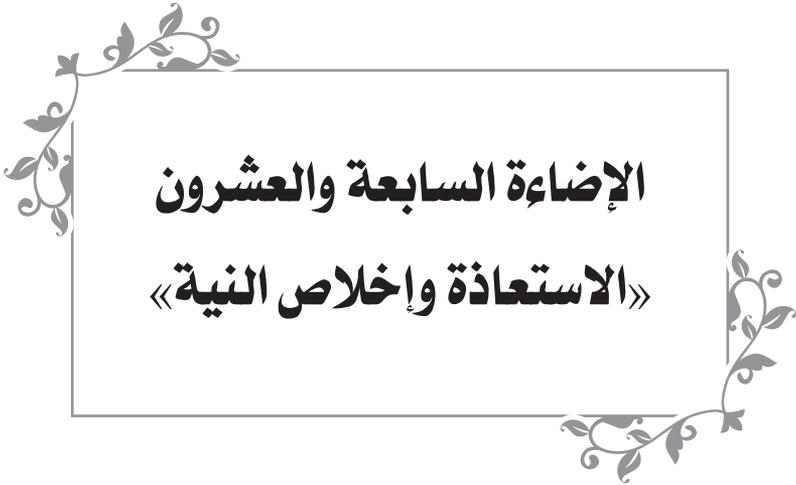
«الموقف الثاني»: إن انتقائية الحسين المنظمة لأنصاره مستمرة في انتقاء انصار الشعائر.

«الموقف الثالث»: عدم وضع حدود للبذل وللعطاء يجسد لنا الموقف الإنساني لسؤال العباس (عليه السلام) بكل ما قدمه هو الشعور

بالفارق بين ما قدمه الحسين للإنسانية وبين موقف الناصر وحجم
النصرة حتى لو كانت رأساً وعيناً وكفين ناموا على شاطئ الفرات.
«الموقف الرابع»: الإيثار بمنزلة النهضة العاشورائية ومقام إحياء
الدين وتمهية القاعدة الجماهيرية المبارك لاستيعاب منهجية الظهور
المهدوي المبارك.

«الموقف الخامس»: يرى أن الله سبحانه يمتحن بالحسين (عليه السلام) علينا
لا عذر لأحد منا يوم القيامة مادام الحسين (عليه السلام) موجوداً فهو الذي
أعطى وهو الذي صبر وهو الذي جاهد، والله سبحانه يبارك لنا
روحياً الاقتداء بعاشوراء وبفضائل النصر الحسينية.





الإضاءة السابعة والعشرون

«الاستعاذة وإخلاص النية»

الشیطان وما یمتلك من قدرات متمكنة على فعل الشر، یمتطیع استغلال ظرفی الزمان والمكان والوسائل والمعدات والتسلح بجمیع الأسلحة من أجل تحقیق الهدف الذي هو غواية الإنسان.

سعى الفكر العلمانی ل طرح المفهوم الوثنی فی صراع إله الخیر وإله الشر، وكأنهما قوتان متقابلتان من حیث القدرة والتمکن والتأثیر على تحقیق الأقدار، تظهر أهمية كتاب المصایب وتركیزه على أدعية الإمام السجاد فی عرض كثير من القيم الروحية التي تبين للإنسان أن الله سبحانه تعالی هو صاحب القدرة التي لا تضاهيها قدرة.

وسبحانه تعالی حصن الإنسان بمقومات كثيرة فقد منَّ الله على الإنسان بالعقل، ومن مميزات العقل الفطن الاستعانة بالله سبحانه بواسطة الدعاء والاستعاذة به من نزغات الشیطان، والنزعة تعني الطعنة واللسعة والوخز، والنزعة لا تحصل إلا بکید أو غفلة، لذا سعى الأئمة عليهم السلام لتنبیه الإنسان وعلى مرور الأجيال من خطر النزغ الشیطانی كي لا یتمكن من زعزعة إرادته، يرى سماحة السيد أحمد الصافي وهو يتأمل فی دعاء الإمام السجاد عليه السلام على إبليس بوجود مجموعة من التعالیم تجعل الإنسان فی يقظة واليقظة نور البصيرة، وهي أهم الأسلحة القادرة على دحر إبليس، تجعله عاجزاً عن النفاذ

إلى دواخله، لتكون سدا يغلق جميع المنافذ عليه مثل البصر الذي هو منفذ من منافذ إبليس، وجميع الجوارح هي منافذ لإبليس، الإنسان اليقظ هو الإنسان الذي يغلق هذه المنافذ، نجد أن التوجيه ضمن المحور الإبداعي يركز على الوعي في فهم الإنسان كذات وفهم مقدار المحسن الإلهي لتجاوز ذلك لأن الوعي سمة قادرة على إيقاظ جميع الحواس، جميع الجوارح، اليقظة تجعل التصرف بالنظر والسمع واللسان، وكل يعمل ضمن محفزات العقل المدرك، هذا التوجيه يمتلك قوة تأثيرية تستمد روح الدعاء، جوهر الإيمان بقدرات الله سبحانه تعالى، أنا نعوذ بك من نزغات الشيطان، التعوذ استنادا واطكالا، الاعتصام بالله واللجوء إليه، وبها نستطيع معرفة العلاقة بين العبد وربّه هو الملاذ عند الشدة، يمنحنا سماحة السيد الصافي مفارقة جميلة من حيث معنى النفوذ، هو اللجوء، بالمقابل هو فرار من شيء، الهروب من شر وسوء، هذا الذي نهرب منه لا بد أن يكون أضعف إمكانية وقدرة من المعتصم الذي نلوذ به فتبني فكرة موازنة الندية بين القوتين من أخطاء القصدية الغرضية، اللجوء إلى الله هربا من شيء، جهة نعوذ بها ونتمسك بها ونلجأ إليها، وجهة نهرب منها، أمام قضية المواجهة أو الهروب لا بد اللجوء إلى قدرة وحماية أكبر من

قدرة الشيطان، والاستعاذة بالله مضمون خلاصة المعارف الدينية في الاستعاذة، بل هي أرقى المناهل.

وهناك قضية مهمة أثارها سماحة السيد أحمد الصافي، قول للإمام علي عليه السلام في وصية لابنه الحسن «واخلص في المسألة لربك» الاستعاذة بالله لا بد أن تكون بإخلاص وإلا صارت لقلقة لسان، لذلك يلفت الانتباه إلى جوهر الاستعاذة «أعوذ بك من نفس لا تشيع، ومن قلب لا يخشع، ومن دعاء لا يُرفع، ومن صلاة لا تقبل».

يقول النبي صلى الله عليه وآله: «أول شيء يرفع من هذه الأمة الأمانة والخشوع» ويقول الإمام الصادق عليه السلام «نعم عون الدعاء الخشوع» وجاء في حديث المعراج «ما عرفني عبد وخشع لي إلا خشع له كل شيء»، سماحة السيد الصافي يلفت أنظارنا إلى فقرة التعوذ من الدعاء «وأعوذ بالله من دعاء لا يُرفع» وإلى عدة أمور أخرى منها:

- فرصة الدعاء: والدعاء فرصة قد لا تمنح غيرها بمعنى أنها قد لا تتكرر.
- الإخلاص في الدعاء: حسب وصية أمير المؤمنين عليه السلام أن يدعو الله تعالى فليقبل على الله تعالى.

- مكانة الدعاء: الكلمات لا تعني الارتباط مع الله تعالى فهي لا تعني كل شيء ولا بها تمامية الدعاء، الدعاء يحتاج إلى قلب خاشع،

إلى وعي بكل كلمة، إلى فهم مقام الله سبحانه تعالى، سبحانه يسمع دعاء العبد الخاشع.

- يقظة الدعاء:

البحث عن حقيقة «النزغات» التي ركز عليها الدعاء محذرا للتنبيه إلى خطورتها، نجدها تنتقل في صراعات الرغبة وتضارب الأفكار وارتباطها بالسلوك والموقف الانساني، فالرغبتان متعارضتان تدفعان الإنسان إلى وجهات نظر مختلفة بحيث يعجز عن اختيار وجهة معينة.

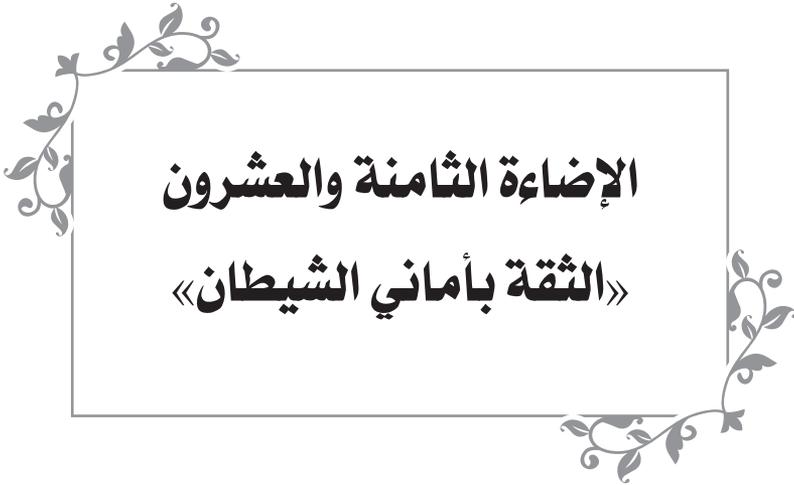
التفاته ساحة السيد أحمد الصافي إلى يقظة التوجه إلى الله سبحانه، وعدم تصديق الشيطان وعدم الرضوخ إلى ألفته، بل النفرة منه، والاستعاذة من النزغات، يعني أننا نستعيد بالله سبحانه من كيد الشيطان ومكائده وحباله وعلى المؤمن أن يوقف الشيطان عند حده وألا يلتفت إلى وساوسه، الشيطان (لعنه الله) لديه أساليب متمكنة وله القدرة على تجميل الفعل السيء ومنحه مميزات الفعل الحسن، يعرف الشيطان بمهارة نفسية الإنسان ومرتكزات عقله ونواياه، ويزيف التصور لدى الإنسان فيغير شكل الرؤية، يعد غنى وثناء المذنب رضا من الله، والله لا يتعامل مع العبد بانتقام بل يمنحه فرصاً.



حَسْبُكَ إِضَاءَةٌ كَمَا لِلصَّالِحِينَ

- العودة إليه: اليقظة تعني فهم أساليب الشيطان ومعرفة أبعاد تكوينه ومعرفة طرق نفاذه إلى قلب الإنسان، وإدراك معنى الاستعاذة بالله سبحانه، ولا يستعان بالصحة والرزق على المعصية، والحذر من أساليب الإغواء يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «شر الإخوان من زين لك المعصية» والوعي الإنساني يدرك الهفوات عند الناس لتصحيحها وإعادة التوازن النفسي والمعنوي للمجتمع.





الإضاءة الثامنة والعشرون
«الثقة بأمانى الشيطان»

اعتمد كتاب المصايح لسماحة السيد أحمد الصافي على تفعيل مفردات الصحيفة السجادية لخلق التأثير المقوم لسلوك الفرد والمجتمع بما تمتلك الصحيفة من فكر قادر على تحقيق عملية بناء اجتماعي إسلامي متوازن، وهذا هو الجذر المكون لمرتكزات نشر الأدعية والسعي لتصديرها إلى الوعي المجتمعي بعد انهيار منظومة الأخلاق لمجتمع قتل سيد الشهداء الحسين (عليه السلام).

ويصلح لبناء المجتمع الإنساني في كل جيل، يؤثر على دعم الانتماء الروحي للهوية الإسلامية الصحيحة، فنجده قدّم بعض المفردات الدقيقة التي رسمت ديمومة الدعاء رغم وجود المؤثرات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، مثل «نزغات» لتنتفح من خلالها على إمكانات الشيطان مثل الكيد-المكائد-المصائد والشباك التي يرمي بها بشتى الوسائل، حضور التفسير والشرح والتبسيط يجعلنا نصل إلى فكرة أن كل جيل يأخذ ما يناسبه ويتواءم مع تفكيره، ويعرفنا بطاقة الأدعية المعنوية والنفسية، ومعرفة وسائل الشيطان.

الشيطان يمتلك سبلاً متنوعة لاختراق الإنسان والتأثير عليه عبر الوسوسة والإغراء والدخول إلى تفكير الإنسان وحياته اليومية، بدقائق أموره فكان السعي لإدخال هذه الأدعية من جوانب وظيفية

وتوعية وخلق جواذب معرفية وأخلاقية أمام هذه الإغراءات الشيطانية.

هناك حصون مكن الله البشر لامتلاكها مثل العقل والبصيرة، فنجد أن الأئمة عليهم السلام يطلبون رأي من يحمل لهم مسألة ويطلب باستجابات العقل.

يرى علماء النفس أن الشيطان حقيقة كامنة فاللاشعور الإنساني يحول ما يهبه الله للإنسان إلى أوهام وهو اجس مريضة تسهل عليه افتراس الإنسان مثل الحسد الذي هو واجهة من واجهات الظلم، حتى يصل الأمر إلى أن يؤثث الشيطان الرغبات الإنسانية ليصدرها إلى الخارج للنيل ممن هو أجدر وأكثر استقامة ويستفحل الشر ليفسر الإنسان صبر الله على البشر بالرضا، وعدم الانتقام من أهل الشر بالقبول، يرى سماحة السيد الصافي ان التعامل بهذه القناعات النفسية التي ليس لها حظ من الواقع، إنما هي تسويلات إبليس، والاسقاطات النفسية التي تعرف بمفهوم القصور الإدراكي، وهناك من يرى أن كل غنى وثراء هو قبول إلهي بينما هناك عملية اختبار إلهي وعملية استدراج، وبهذا يصبح الإنسان بعيدا عن وعيه الوجداني، ويتعد عن يقظته فيسقط في شرك الغفلة.

القضية تحتاج إلى وعي وإلى استعداد دائم لتحصين كل المنافذ النفسية التي يدخل منها الشيطان بوساوسه المريرة، لهذا نحتاج الإيمان دائماً والتقرب لله سبحانه وهي محاور التحصين الروحي. وللشيطان مغريات تكسر حواجز هذا التحصين، تشخيص الإمام عليه السلام «اللهم إنا نعوذ بك من نزعات الشيطان الرجيم وكيده ومكائده ومن الثقة بأمانيه»، فتلك الأمانى قادرة على تضليل الإنسان وتتمي قابلية الوسواس والهلع والتوتر والرعب والتشاؤم ويسهم في تفاقم هذه الأعراض ومنها ما شخصه الإمام عليه السلام «إياك والاتكال على الأمانى فإنها بضائع النوكى» أي الحمقى الذين يستجيبون بسهولة لتغيير معظم المفاهيم ليجعل لهم كثيراً من المبررات على ارتكاب كل انحراف مثل الرشوة والسرقعة، ويحمل الأفعال السيئة تبريرات تجمل الفعل الشيطاني.

سماحة السيد الصافي يصف الشيطان بأنه قاطع طريق، والإنسان إما أن يكون معه أو عليه، حتى يصل بعض أنصار الشيطان من الناس درجة الشيطنة، ليكون أسوأ من إبليس نفسه، لهذا يصفهم بأنهم شياطين الإنس، ويعتد الإنسان الذي يتقمص لباس الشيطان بالويل يرتكب المحرمات

ويكون مجلبة لكل سوء، ولكل عار ولكل مثلبة ولكل شر،
الله سبحانه تعالى جعل للإنسان حماية في سورة «النساء/ ٧٦»
يبين قوة الشيطان الحقيقية عندما يصل لساحة المؤمن: ﴿إِنَّ
كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾، القوة التحصينية للإنسان هي
الإيمان والحماية تحتاج إلى تسليح كامل من الورع والعلم
والاتكال على الله.

أشار البحث إلى بعض النقاط المهمة في جوهر التحريم الالهي:
أولاً: إن كل حرمة حرّمها الله جعل مقابله أبواباً من أبواب
الحلال.

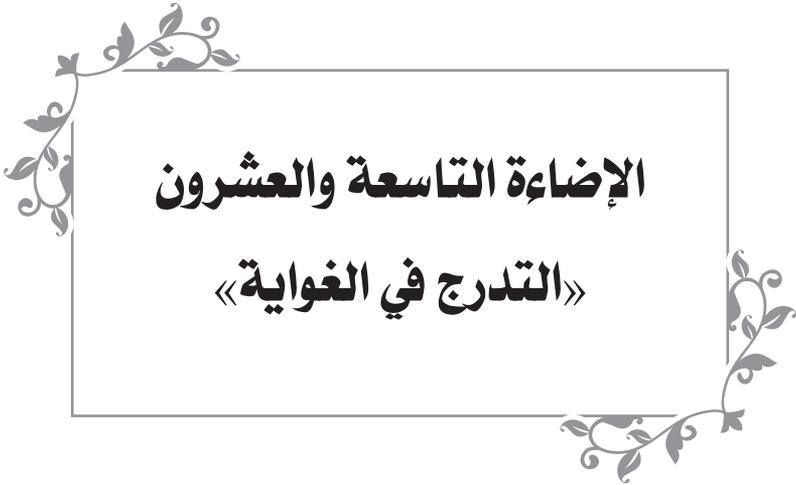
ثانياً: إن الله سبحانه تعالى لم يحرم الأشياء تضييقاً للعباد، وإن قضية
التحريم هي تهذيب للنفوس.

ثالثاً: حرم الأشياء لمصلحة، وإن الله سبحانه لا يحرم شيئاً إلا
لحكمة.

سعى سماحة السيد ببحثه في الصحيفة السجادية للتنقيب عن
القضايا المهمة في تكوينها الفكري والمعنوي، ولا بد من تسليط
الضوء على فكرة.

يقول عنها الإمام السجاد (عليه السلام): «وَأَنْ يُطْمَعَ نَفْسَهُ فِي إِضْلَالِنَا عَنْ

طَاعَتِكَ وَامْتِهَانِنَا بِمَعْصِيَتِكَ» يخلق ما يمكنه من الاغواء، والسبب الأهم هو أن يمكن الإنسان شيطانه منه، ومن أمثله موظف لا يرتشي وهو مؤمن بما يفعل ومصمم على إطاعة الله يغلق الباب على جميع المحاولات، وآخر لا يرتشي لكنه يتراخى في المنع ويترك الأمر للمزايدة فيكون مكانا للطمع منه يستحكم عليه الشيطان ومن غير المعلوم أنه سيتوفق مثل هذا الإنسان ليكسر هذه القيود، لهذا يستعين الإمام (عليه السلام) بالله من أن يطمع الشيطان نفسه في إضلالنا عبر التسويف والمغريات وعدم الردع، وينمو التسويل في ضمائر الأشياء، وتسوف التوبة، ومن هذا التسويف أن تنظر بعض العوائل على أن الشباب لهم حق التمتع بشبابهم لكونهم لم يروا شيئا في حياتهم بعد، وهذا التسويف هو تحذُّرٌ لله تعالى وهذه بعض الأمثلة التي تجعل الشيطان يطمع نفسه فينا وهو يبحث عن طريقته، ويقول الإمام (عليه السلام) نعوذ بالله سبحانه أن نكون نحن قد مهدنا الطريق وجعلناه يطمع في إضلالنا عن طاعة الله سبحانه.



الإضاءة التاسعة والعشرون

«التدرج في الغواية»

يتحدث كثير من الباحثين والإعلاميين عن أزمة الخطاب المعاصر وتقرأ التحليلات المعاصرة بأزمة التأويل، وللجواب عن هذه الإشكالات يقدم سماحة السيد أحمد الصافي "دام عزه" بكتابه المصابيح وهو يعلمنا أن سبب الأزمات المصطنعة للخطاب التوجيهي الإسلامي، هو عدم وجود وضوح في المرجعيات المعتمدة في الخطاب وعشوائية المصادر والتي كانت السبب الرئيس في تخبطنا هو ابتعاد الخطاب الديني عن منهج أهل البيت عليهم السلام ضيع الرشاد، وفتح باب التأويلية للإجابة على الأسئلة التي طرحتها المرجعيات البعيدة عن الرشاد الرسالي المحمدي، ولا بد من فهم إمكانية إنقاذ الخطاب الديني من خلال العودة إلى المنهل المرجعي المعصوم، المستمد من المشروع الرسالي المحمدي، تكمن الخطورة الحقيقية بأن مشاريع الحداثة المعاصرة هي رفض تدريجي للرسالة المحمدية ونزع روح القداسة عن الموروث اشغال الفكر العام للابتعاد عن منابع الفكر الإرشادي.

اعتمد سماحة السيد الصافي بمشروعه على تقديم الصحيفة السجادية للإمام علي السجاد عليه السلام، لتبني المضامين الفكرية والإنسانية وكشف القيم الإنسانية في الصحيفة السجادية،

لو تأملنا في الفارق الزمني بين زمن القراءة وزمن الإنشاء لأدركنا عظمة المشروع.

يركز البحث على مفردة اليقظة، واليقظة هي مرتكز تأسيس الأبعاد العقلية والأخلاقية للحكمة وهي دليل العقل والضمير، لذلك تعب الشيطان.

يرى سماحة السيد أن الإنسان لا بد أن يكون في هذه الدنيا على يقظة وحذر والسبب هو العمل لإنقاذ النفس من تسويلات الشيطان الراصد لنا في كل تصرف، واليقظة بمفهومها المعرفي هي الاستعداد لمواجهة محاولات الشيطان تؤدي اليقظة الروحية إلى الفطنة المدركة لماهية عمل الشيطان وغوايته وإضلاله فهو يبتكر سبل الغزو الإنساني واليقظة الروحية، تعني الإيمان بقيم الله سبحانه تعالى والعمل الصالح الذي هو مرتقى النعيم، ومن مفهوم اليقظة يأخذنا سماحة السيد إلى قضية الإعداد النفسي، لتحصين الإنسان من الهلاك.

لينطلق البحث في قراءة النص السجادي من أجل كسب المتلقي ثقافة روحية ومعرفية تحصن له الفكر، سماحة السيد

يركز على مفهوم «العلم وحده لا يكفي» ويعد مثل هذا العنوان جذاباً من الجواذب الفكرية في مساراته المنوعة، فالكل يعلم أن الغيبة حرام، ما فائدة أن تعلم ولا تعمل بما تعلم، العلم لا بد أن يقترن بعمل.

ويذهب سماحة السيد إلى مرتكز آخر يهدف إلى إلفات نظر المتلقي لإقران العلم بالعمل وهو الطريق الأوضح إلى الصلاح، ما نفع أن نعلم ماهية التسويولات الشيطانية ولا نحصن أنفسنا منها؟.

يميل سماحة السيد الصافي إلى إظهار تفاعلات بعض المضامين المهمة عبر صياغاتها كومضة فكرية أو شعار جذاب يترسخ في ذهنية المتلقي مثل هذه الجمل:

«العلم لا بد أن يردف بعمل»

«كل لذة لم تكن لطاعة الله ستكون عقاباً عليه»

«لكلمة تخرج تقتل أمة بكاملها»

«ورب كلمة تخرج فتعصم دماء كثيرة»

من مميزات البحث هي السمة التحذيرية التي تعمل للحفاظ على إنسانية الإنسان، من الوجود الشيطاني المتمرس

على الافتراس، لذلك كانت الخشية من التعود على ممارسة الفعل السلبي «الذنب» وتكراره يخلق ألفة نفسية مع الذنب، بل يغير المعايير ليصبح الفعل السيء حسنا، وركز البحث على المحيط الاجتماعي ودوره في المواقعة والرفض، يصل التحذير من الموبقة أو الخشية منها إلى منحنا تصورا أعمق في التماثلات الوعظية وأن يصل الإنسان إلى مرحلة لا يملك الإنسان نفسه ولا يقدر أن يتما لكها وعدم امتلاك النفس ينتج عدم امتلاكه القدرة على التمييز بين الفعل الحسن والفعل المسيء، حتى تكون سجية يورثها لأولاده، ومثل هذه القضية تذهب إلى عدة محاور منها المحور الاجتماعي والمحور النفسي والمحور الروحي.

فيصبح الإنسان عديم الحضور أمام نفسه وأهله، ويصبح بلا تفاعل وهذا السقوط في حبال الشيطان لا يأتي بدفعة واحدة نقطة مهمة نبه عليها سماحة السيد الصافي تحت عنوان التدرج في الغواية، اشتغل على مجموعة من التخريجات الفكرية الساعية لتقريب مفهوم التدرج في الغواية ويلحق بهذا المفهوم مفهوم آخر هو المواءمة الشيطانية، مواءمة الرغبات

المحاولات الإغرائية تبدأ بحسابات دقيقة تغري من يجب المال بالمال ومن يجب الظهور بالظهور والألفة ومن يجب السلطة يغيره بالسلطة، وهذه المواءمة تحولت إلى ظاهرة اجتماعية، لا بد أن يتعايش الموظف مع أهل الخلل الوجداني، سرقة، رشوة، اختلاس.

والموظف الذي يرفض التعايش معهم يعامل تعامل المختل، وهذا هو بسبب التعود والتدرج ومنها يصل إلى التهادي. أفكار اجتماعية عالية القيمة يستخرجها سماحة السيد الصافي من الصحيفة السجادية المباركة في هذا العمل المميز.



الإضاعة الثلاثون
«الغزو الشيطاني»

يعد الخطاب الفكري في العملية الوعظية من أهم أنواع الخطاب، لما يمتلك من تأثير وجداني على متلقيه، سعياً لإرساء المبادئ والقيم الإسلامية، وهذا السعي بدوره يحتاج إلى بناء القنوات التي دونها لا يمكن من إرساء تلك المبادئ. العملية لا تخلو من التغيير في الفكر أو تصحيح في المعتقد أو العبادات، لهذا نجد أن سماحة السيد أحمد الصافي يستثمر معطيات الصحيفة السجادية، التي وفرت له الكثير من المساعي الجوهرية للخطاب في كتاب المصابيح.

أولاً: ضمان المنهل المحمدي الصحيح.

ثانياً: ما تحمل الصحيفة من بنى ثقافية فكرية مؤسسة لإصلاح الإنسان والمجتمع.

ثالثاً: تحليل الخطاب ضمن مستويات الفكر المعاصر والثقافة المعاصرة.

رابعاً: الارتكاز على البنى التحليلية لبناء العلاقة بين الإنسان والإنسان، وبين الإنسان والقيم الدينية القادرة على عمران السبل التواصلية بين الإنسان وربه.

خامساً: تبنى الشواهد الدلالية المستمدة من القرآن الكريم

والمنهج الرسالي.

سادسا: السعي لتقريب وجهات النظر بين الرؤية القصدية والناس لوجود أجيال من الناس بمختلف اللغات والفكر والبنى المجتمعية التي تعاقبت على زمن الصحيفة السجادية. سابعا: استطاع كتاب المصايح أن يتميز ببعض الاستنتاجات المعرفية ومقدرته الفائقة على استحضار البنى الفكرية التي نحتاجها اليوم للإفادة منها، مع دقة التتبع والقراءة اليقظة والاستقصاء.

ثامنا: تقديم بعض الآراء التفسيرية والمعرفية والأبعاد الاجتماعية.

يرى سماحة السيد الصافي أن الحرام لا يلون بلون آخر غير الحرام، تحتوي هذه الجملة المكثفة على الكثير من الدلالات العصرية.

فيها الكثير من معطيات التحليل النفسي التي تجعل الإنسان يكيف لذاته الحرام فهو يلونه بالقبول ليرضي ذاته المريضة، فهو مثلا يرى الرشوة هدية ويراها بتفاعلاتها الاجتماعية المعتادة في هذا الزمان كونه ليس أول من يأخذ

الرشوة ولا آخرهم، ويجد الوانا أخرى من التبريرات يزين بها الحرام، وفي الجملة مغزى سلوكي يعمم من رسالة الصحيفة السجادية المباركة.

الدلالة الأهم.. بث روح الوعي لتمييز عمل إبليس فإبليس ليس له عمل سوى الحرام، وظيفته بث روح الحرام بين الناس فهو لا ينصح أحدا ولا يجب النبي (صلى الله عليه واله وسلم)، ولا يجب أمير المؤمنين (عليه السلام)، ولا يستسيغ المؤمن، علينا أن نعرف السبل التي يختارها إبليس لغزوه الإنسان، هناك عدة تصورات ذهنية يضعها سماحة السيد الصافي:

التصور الذهني الأول: إن لإبليس سبل شتى يستحكمها لغزو الإنسان، ويأتيه من أبواب مختلفة متنوعة، على الإنسان أن يغلق كل الأبواب بوجهه.

التصور الذهني الثاني: إن الله سبحانه تعالى ليس بينه وبين أحد قرابة، إذا تبع الإنسان إبليس فإلى جهنم، وإذا أغلق الإنسان الأبواب كلها بوجه إبليس وجنب نفسه المهالك سينجو ويكون مسعاه رضا الله سبحانه.

التصور الذهني الثالث: إن الصلة لا تنفع مهما كانت قريبة، فابن نوح لم يؤمن بوالده، مع جهد نوح لهدايته، وهذا الأب نوح حاول أن يعتصم بجبل فلم يفلح، ولم تنفعه صلته بنوح (عليه السلام).

التصور الذهني الرابع: الاستغفار هو السبيل الصحيح للتخلص من نزع الشيطان، والاستغفار من التقوى ومن الطاعة ومن الوعي الإيماني المترسخ، لا ينفع الاستغفار لمن يكون هو من جنده ومن اتباعه، والإمام (عليه السلام) يحذر أن يقع الإنسان في مثل هذا الفخ.

التصور الذهني الخامس: إن الإصغاء لفتنة إبليس لا يمكن أن تكون فريدة أو أن تكون الإطاعة لعمل واحد أو مرة واحدة، الإنسان إذا أصغى لإبليس مرة سيصغي مرة ثانية، وسيصغي له ثالثة خصوصاً إذا انفتحت بعض الأمور أمامه، التصور الذهني السادس: هنا حكمة إلهية ركز عليها الإمام السجاد (عليه السلام) بأن الله يمهل ولا يهمل، أي بمعنى ألا تتعجل على العصي العقوبة، أو نتمرد إذا وجدناه نينعم براحة، لأن الزمن عند الله معدوم.

التصور الذهني السابع: إن عمل الإحسان من فعل حرام يستوجب الحذر منه، سلط كتاب المصايح الأضواء على الاهتمام بالصحيفة السجادية من قبل الساسة والمفكرين والتربويين وعلماء النفس والاجتماع في ظل الانفلات الأخلاقي العام، وتمكن الماكنة الإعلامية العلمانية بالولوج القسري إلى عوالم التأثير على الشباب ورسم معالم الغواية. الغرب يمثل صورة الشيطان يخاف من الخطاب الإسلامي المعزز باليقين والعدل والإنسانية، الغرب ينوع لنا سبل الغواية فهو الذي يشجع على تنامي التطرف عند المسلمين ويدعي محاربه بنفس الوقت الذي يبذل له الكثير من الامكانيات، إبليس يجد في النوال يتوغل في قلب الفرد المسلم، يتوغل فيه التبرير اللاإنساني لجعله سائغا في المفهوم العام العجز في وعن الصلاة، خلق الملل في حياة الصائم ليوزع ذاته بانشغالات الحياة ولذتها فيبطل مشروع الصوم ويصبح الصيام شكليا ثم يخلق اللا أهمية في ذاته، هذه هي مهمة الشيطان، وظيفته، يكره المعروف، ومن يقرأ القرآن يعد معقدا في نظر المجتمع الممسوس بالشيطنة، يعتبر متخلفا

عن عصر الانترنت والفضائيات وهناك الكثير ممن يروج لهذه الأفكار وتسويلات ابليس.

الإمام (عليه السلام) ينبهنا، هناك قواعد ثابتة لا تبدد باختلاف الأزمنة، مثل الواجب والحق والحلال والحرام والمكروه والمستحب، أمور لا علاقة لها بمسارات التغيير أو التطور.

خلل في التفكير كمن يربط إحدى هذه الأمور مع المتغير الحياتي، هذه التسويلات التي لا بد للإنسان أن يكون على هبة الاستعداد، أغلب المحاور التي ركز عليها البحث في كتاب المصاييح هي القضايا النفسية التي يكون محورها الداخلي منعكسا على التعامل الخارجي.

مثلا منافذ إبليس وعمليات التلقي التي هي المرتكز الأساسي للعبادة، الذي يدعو الله فيه أن يطرد الشيطان، هو ليس من الأمور المشخصة كونها هو اجس نفسية، أغلب مشاكل الإنسان المجتمع هي نفسية، الذي نحتاجه في ثقافتنا اليوم هو نشر الوعي عبر الخطاب والمعنى والمغزى والقيمة الانسانية والحكمة التي نتعايش بها مع الأزمنة المفتوحة،

ويرى علماء اللغة أن الخطاب الوعي الذي يتناغم مع نفسية الإنسان، هو الخطاب الذي تتوفر فيه الميزة البلاغية، وهذا الخطاب يؤدي إلى عمق الحكمة والتفرد داخل هذا العمق، مثلاً التركيز على معنى الحمد لله، الإمام (عليه السلام) يرى أن الحمد مرجعه إلى الله تعالى هو مالك الحمد، في كل حسنة تستوجب منا الحمد، لا بد أن نعتمد على وضع الحمد في أرواحنا، في تعاملنا اليومي مع أنفسنا والناس هذا الانفتاح بالحمد سيغلق الباب على وساوس الشيطان، نحمد الله ونستعين به وهذا الحمد والاستعانة نصر الإنسان على عدوه، من يحب الله سيغض كل شيء لا يحبه الله ولا يمت إلى الله بصلة، هذه المعاني هي من أهم الأسباب التي بها الأثر الفاعل في نشر قيم أدعية الصحيفة السجادية المباركة.



الإضاءة الحادية والثلاثون
«التفكير والتدبير»

سعت مصانع الثقافة العلمانية إلى عزل الثقافة الإسلامية والتي هي النموذج الأسمى للدين والأخلاق والإنسانية في مدرسة أهل البيت الفكرية والثقافية وتحييدها وإبعاد قدرتها التأثيرية من خلال إيجاد البديل الانبھاري بالفلسفة الغربية. والقضية ليست حديثة بل بدأت منذ عصر الإنجاز الفكري لأهل البيت عليهم السلام، فصار هناك ضرورة التركيز على الإرث التوعوي لهذه المدرسة.

وكتاب المصباح لسماحة السيد أحمد الصافي «دام عزه» له أثر مهم لإعادة مرتكزات التوجيه وتوظيفها بما يخدم تشكيل الوعي الإنساني عند المجتمع وقدرتها على تحقيق بناء المجتمع الإسلامي بمقومات الدين، والقيم الاجتماعية السليمة لتحقيق عدة مناح مهيبة منها التسامي على المؤثرات السياسية القسرية بتأثير معطيات الواقع السياسي والتردي الاقتصادي والاجتماعي.

والمُنحى الآخر كشف عمليات التحريف لوقف الامتدادات الداعية للخطاب وأهم تلك المناحي هو المحافظة على إنسانية الخطاب، المعصوم ورقته في التعامل الشعوري الوجداني بين الإنسان وربّه، بما يرسخ مفهوم وسيلة النجاة، ومنها تحليل العلاقة القائمة

بين الاستعادة من الشيطان وبين البقاع الطاهرة والديانة المقدسة. مثلا ترسيخ العلاقة بين فريضة حج بيت الله الحرام ورجم الشيطان، وهي من أركان الحج لتذكير الإنسان بعوده الأبدي هو مصدر الضلالات، لا بد أن يكون الصراع قائما إلى نهاية العمر، فهو عداء ديني، والإمام السجاد عليه السلام يبين مقام اليقظة من الشيطان والدعاء يحتاج إلى وعي، ومن مرتكزات هذا الوعي تحديد هدف الدعاء، واختيار الزمان والمكان وهذا توضيح مهم لفاعلية الأثر الروحي لامتدادات الحج والرجم زمانيا ومكانيا، زمنية الحج جعلتنا نهتم بالزمان مثل الأعياد والأحداث الدينية والمناسبات التي تقربنا الله تعالى، مثل مواليده أهل البيت عليهم السلام ووفياتهم وأما الامتداد المكاني، بالأمكنة المقدسة لمراقدة أهل البيت عليهم السلام، لتعزيز حالة العداء الإنساني مع الشيطان لتعزيز الرجم، وهذا يعد من حسنات الآداب مع الله سبحانه وتعالى، من حمد الله وذكر النبي وذكر الحاجة، وأفضلها الساعية للاستقامة في أمر الدين والتقوى ومن بعض مستلزمات التقوى هو فهم الطلب بهذا الوعي الذي يعني حقيقة المعرفة، وإثراء روعي لقضايا وجدانية،



تؤثر في حيثيات الفكر الإنسان

مثلا التركيز في الخطاب على العمل، وتأثير العمل لإنقاذ الإنسان من براثن الشيطان يأتي بمحورين:
الأول: هو محور الثاني وهو الأهم في الوقاية تجنب الذنب، وهذه أفضل من الثواب.

المعنى البليغ في الصحيفة السجادية تظهر أعماق الوجود الإيماني المحصن بالدعاء، أشياء مرتبطة وجدانيا بمطالب نفسية يقول الإمام عليه السلام «واشغله عنا ببعض إعدادك» دعاء للتخلص من براثن الشيطان.

وهذا الدعاء له أبعاد متعددة أو لنقل ركائز شخصها الباحث بالعزيمة والإرادة وقوة العقل لسد مداخل الشيطان ولذلك يلحق القلب بالعصمة والرعاية وتعني المنع من الزلل، والعصمة من الذنوب، وجوهر الانتماء هو العصمة من الزلل وميزتها تناميها وتفاعلاتها الروحية لتصل لحد الملكة فلا تتفاعل مع أي سبب من أسباب الذنب، وهذا هو رقي العلاقة بين النفس وجوهر الايمان، سعى البحث لاحتواء يقيني فاعل مع القدرة الروحية، الإيمان عبر عدد من التصورات التي تجسد المضمون الايماني، ومنها الحب الذي



يتوقف على إدراك الحالات النفسية التي يتفاعل معها الإنسان من محبة ويكون مرجعه إلى اليقين الشعوري، يمنحنا الالتزام معتمداً على الاطمئنان والثقة.

بعض علماء النفس يعتقد أن هذا الاطمئنان باعث إلى اللذة، ويناقد ساحة السيد الإيجابية في قضية التدبر والتفكير جاء في كتاب مرآة العقول في شرح أخبار الرسول، بأن قضية التعقل هي السبيل إلى الاتزان من الله تعالى «تفكر ساعة خير من عبادة ستين عاماً» الأمر يرتبط بإيمان الإنسان وقدرته على الوثوق بالقدرة الإلهية، وهذا هو مبعث الأمل الإنساني وإلا فالسقوط في محور اليأس يعني الابتعاد عن الله، واليأس يعد من الكبائر، ويدل على عدم اليقين الإيماني، والسعادة لا يمكن اقامتها إلا على أمر يقينا من الشيطان، الشيطان الذي استطاع أن يدخل إلى قلب زوجات الأنبياء كزوجة نوح ولوط (عليهما السلام) وعجز عن زعزعة إيمان زوجة فرعون، وهذه دلالة من دلالات الرعاية التي يدعوها الإمام لتجنب شرور ابليس، والنتيجة الطبيعية أن اليقين يبعد عن الإنسان شر الشيطان، أي غدره ويجعله متمكناً عليه، من خلال ابتعاده عن الرياء الذي هو السبيل الأسهل للفتك بالإنسان والمعاذ بالله.





الإضاءة الثانية والثلاثون
«الدعاء سلاح المؤمن»

أهمية وجود كتاب المصايح جاء إثر الفعل التواصلي المميز بنقل مفردات الصحيفة السجادية إلى المتلقي وتوضيح مقاصدها بشكل يحافظ على دعم القوة التأثيرية، والجذب الشعوري، لتفعيل المحتوى المضموني، أي بمعنى أقرب إلى الخطاب في كتاب المصايح تجاوز عملية الإخبار، بل ذهب إلى التأثير والجذب، فهو يفسر ليوصل الفكرة على أسس التداول لوجود الفارق الزمني والاجتماعي والثقافي بين زمن الرسالة إلى زمن التلقي.

مثلا شرح مفاهيم الاستعادة وهذا يدل على وجود عدو ينازع الإنسان ليبعده عن هدفه الإنساني، هو إبليس له جهد مثابر للإيقاع بنا، ويعمل لإذلالنا، لا بد من الحذر، يوضح لنا الخطاب أسس هذا الحذر.

أولا/ معرفة أساليب الشيطان:

فهو يزين ويسوف ويعد ويرى الأمور بغير واقعها لخلق عادة، تجذب الناس إليه، والحذر من وساوسه لا بد من المعرفة بأساليب الغواية.

ثانيا/ استمرارية المواجهة وعدم الاستكانة:

لا يمكن للعداوة أن تنتهي ولا يمكن الجلوس مع صاحبها للمصالحة، والتفكير الدائم بهذه المواجهة هو السبيل للانتباه من المكائد وترصين المقاومة لوقاية أنفسنا.

ثالثا/ معرفة أساليب المواجهة:

نقرأ الدعاء «أمتعنا من الهدى بمثل ضلالتك، وزودنا من التقوى ضد غوايتك» نلاحظ قيم التضاد لتقريب المعنى إلى ذهن المتلقي وخلق معالم جذب.

الهدى × الضلال

التقوى × الغواية

التقى × الردى

يشير إلى أن ضلال إبليس لا ينتهي، وهذه الاستمرارية تلائم مزاج الإنسان وعواطفه، يدغدغ مشاعر النفس.

نجد في كتاب المصابيح وتحت عنوانات كبيرة «الدعاء سلاح المؤمن»، بعض النقاط الجوهرية التي يستخدمها لمرتكزات تحقيق المعنى وترسيخ المفهوم.

١- «ران»: حالة الرين هي الصبغة التي تغلف القلوب بسبب تراكم الذنوب، تفقدهم النظرة الصحيحة للأمر فيظنون أن كثيرا مما يقدمون عليه صحيح على الرغم من أنه ليس كذلك.

٢- «الزحزحة»: غير الدفع، يحتاج إلى مؤونة زائدة عن الثانية، هذا الجهد بسبب وجود وتجزر نشاط إبليس في النفس من خلال إضلالها، الذي يحتاج إلى جهد تعلقه، الإنسان عندما ينغمس في الضلال يصبح قلعه صعبا.

٣- «الضلال»: مشروع شيطاني، يمتلك الاستمرار والثبوتية في النفس إثر الاستجابة.

٤- «زوادة الطريق»: الزاد ما يحمل للطريق في سفر الدنيا وأصبح سفر الموت أطول من سفر المسافر وأوحش ويحتاج إلى الزاد في الطريق كي لا يكون لدينا قلة زاد.

٥- «التقوى»: بضاعتنا التي سنعرضها أمام الله تبارك وتعالى ليقوم أعمالنا، كلما تزودنا من التقوى حسن الزاد.

٦- «الاعتراف بالتقصير»:

الاعتراف بالتقصير لا يفي حق الله سبحانه تعالى لكننا مطالبون بالاعتراف مهما أطعنا الله سبحانه نحن مقصرون، هذا الاعتراف

يمنحنا التعود على الالتفات لنعمة سبحانه ويمنحنا سمة الابتعاد عن المعاصي، والتحصن ضد الغواية، هذا المفهوم التواصلية المؤثر هو مشروع كتاب المصاييح لرسم بؤر التمرکز الفكري في خطاب المولى الإمام السجاد عليه السلام في الصحيفة السجادية، وإمكانية ترميم وعي الإنسان الحديث وتوازنه النفساني، لتدارك كل عمليات اختلال التوازن، الفعل التواصلية لإعادة الخطاب المعصوم الذي يعامل مع الإنسان بمعناه الإيماني.

خصص سماحة السيد أحمد الصافي في مشروعه المصاييح بحثاً في مفهوم التوافق الفكري بين المرتكز «وعي المعصوم عليه السلام والوعي العام» ومثل هذا المشروع يطلب وعياً وجهداً وإرادة قادرة على مواءمة خطاب من الموروث الإنساني إلى الواقع المعاصر بكل مستويات الوعي الإنساني الفكري والاجتماعي مثلاً موضوع: «أدوات الغواية»:

عبر مفهوم الأداء وإجراء التحليل والتفكير وفق لغة معاصرة، يبحث في معنى الغواية للتعريف بها فالغواية وظيفة الشيطان الوحيدة، وشياطين الإنس تشجع الآخرين على المنكر وإطاعة الشيطان.

الإصغاء: من أصغى إلى مخلوق فقد أطاعه، ومن ينطق بغير الحق نطق عن الشيطان.

«جهات الغواية»:

لا تتحدد جهات الغواية بجهة، ولإبليس قدرات متنوعة ويحتاج إلى مجاهدة النفس للابتعاد عن غوايته.

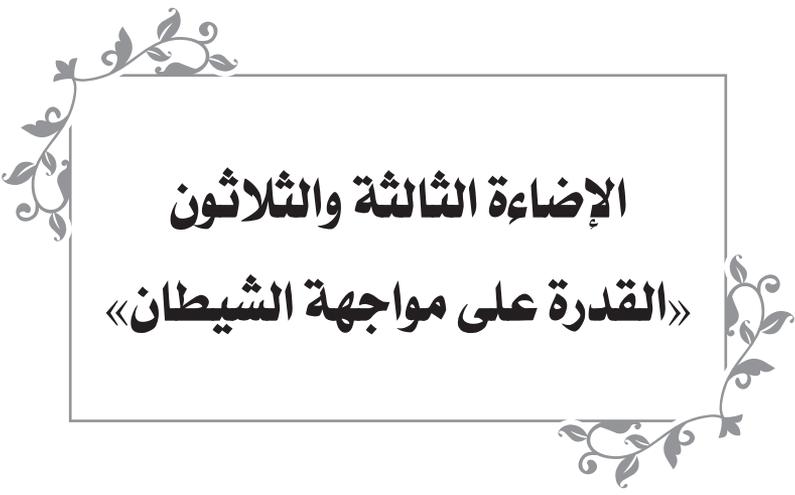
القضية الأولى: إن عملية الانتصار عليه لا تكون عبر الأمنيات دون الأعمال بالإرادة والاستعادة بالله سبحانه.

القضية الثانية: الشيطان هو محل وجهة الغواية يقول الإمام السجاد (عليه السلام): «واسلك بنا من التقى خلاف سبيله من الردى» يعني أن طريق الله سبحانه يختلف عن سبيل الشيطان.

الردى = السقوط من الأعلى إلى الهاوية.

القضية الثالثة: المبررات لعملية السقوط مبررات وهمية عند المذنب، ومنها شعارات تحريضية لبقة مثل «هناك توبة فلم نخاف الذنب؟»، لذلك أهل الفطنة يقاطعون طريق إبليس واثقون بأن الموت قادم، والسبيل إلى الخلاص هو التقى الذي يخالف سبيل المخلوق.

أمام النص المقدس تنصهر الآراء من بوتقة موروث المعصوم المرتكز على النهج القرآني المبارك.



الإضاءة الثالثة والثلاثون
«القدرة على مواجهة الشيطان»

تمتلك الذات الإنسانية وعيا بإمكانية وجودها، وإيماناً بأن الله سبحانه وهب الإنسان القدرة على فهم كثير من المعاني كمعنى الصراع المستديم والمستمر مع الشيطان واليقظة على مواجهته، والاستعانة بالله للنجاة، وهذا الصراع له حيز كبير في الضمير الإنساني وله أشكال متعددة ومتجددة، مواجهة إبليس هي هوية إنسانية، وحرص على الانتماء لله سبحانه وتعالى الذي منحنا هذا الوعي ومكنه، البحث عن معنى الوجود الإنساني هو البحث في العبادة ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ «الذاريات/ ٥٦»، ومن صيغ التأمل الإنساني هو النظر إلى الفهم الحقيقي، الجدوى من الفكر هو النضوج.

سماحة السيد أحمد الصافي «دام عزه» يركز قوام العبادة العقل، هو الدليل الذي يرشده إلى وجود الله تبارك وتعالى، العبادة من العاقل غير العبادة من الجاهل، وضوح الرؤية يقوّم لنا سلامة المنهج، القوة الحقيقية تتمثل في معرفة الله سبحانه تعالى وإلا عبادة من لا يعرف الله حق معرفته عبارة عن حركات فيها أكثر من شبهة، وعبادة العالم تحتاج إلى كثير من الضوابط النفسية المهمة.

مثل التثبيت على القيم الإيمانية والسيطرة على النفس من أجل الظروف، لتمكنه من مواجهة مجموعة من الأخطار، مجموعة من العقبات التي تعمل لثنيه وأخطرها عقبة الشيطان. استقطب موضوع اليقظة اهتمام كثير من الدراسات الفكرية في ترصين الوعي ليقظة عامرة، تواكب جميع الحالات التي يعمل الشيطان على اقتحامها في مرابع النفس الإنسانية، أولها تغييب العقل ليعمي البصيرة فيكون الإنسان سهل الانقياد، لهذا نجد أن دعاء الإمام السجاد عليه السلام: «اللهم لا تجعل له في قلوبنا مدخلا» الدعاء فطنة معرفية للكشف عن أبعاد المواجهة، منها حماية القلب لكونه مركز السيطرة، ومدخلاً من المداخل التي يسعى إبليس للتمكن منها، البصيرة الواعية تدرك معنى احتلال القلب من قبل إبليس.

التمكن عند إبليس يعني تجنيد الإنسان لصالحه ليحوّله إلى إبليس آخر، هذا مغزى الانتشار الشيطاني، النخر في عقلية المجتمع من خلال الإنسان نفسه بعد ما يتمكن الشيطان منه.

قراءة سماحة السيد الصافي تذهب إلى مغزى أعمق، إلى مساحة تأملية تكشف لنا مسارات قبول الانحراف الشيطاني بعد تجنيد

الإنسان لأساليبه الماكرة يجعله من دعاة الإعلام السلبي، يعمل على تمويه الرؤية الإنسانية عبر موارد اليأس والتركيز على عدم نفع التوبة، وذلك من أجل زرع الإحباط في نفسية المؤمن وإبعاده عن ساحة الله سبحانه، لكن القضية التي لا بد أن نتحاور حولها هل المساحة فعلا مفتوحة لإبليس بهذا التمكّن؟ لنلتمس رؤية الله سبحانه حول الموضوع ﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾ «القيامة/ ١٤» الله سبحانه منح الإنسان قدرة المواجهة التي تبدأ من منطلق التمييز بين الصحيح والخطأ لبناء قاعدة التفاعل الإيجابي.

الكشف عن مسار الشيطان يبدأ من الإنسان نفسه، الذي يهمل عدة المواجهة مثل الإيمان والقيم وبهذا تكون هناك قاعدة تقابلية التفاعل السلبي، تسقط القيم تدريجيا عند الإنسان السلبي نجده يتقمص دور إبليس، ويمارس الإضلال وتارة يكون ضالا ومضلا، قيم الذات الإيمانية يرسخ جوهرها الإمام السجاد عليه السلام: «لا تجعل له في قلوبنا مدخلا» خطاب الترجي مع الله سبحانه تعالى، ثم يستمر مشهد الترجي في الدعاء «ولا توطن له فيما لدينا منزلا» بعد المدخل يحل التوطين، وفي مرحلة الاستيطان يبدأ التملك

وسيكون للشيطان بيت ملك ومستقر.

سماحة السيد الصافي يأخذنا إلى رؤى فكرية تلج عمق البنية النصية للمعالجة الحقيقية.

السؤال: هل الدعاء يمتلك القدرة على التفاعل الحقيقي لتحسين الانسان؟ طبعاً لا، لأن عملية التحسين لا تأتي لمجرد العلم وإنما بالممارسة العملية للرفض، يوضح لنا أن لا قيمة للكلام والأخلاق ليست بالبيان، وليست بالتنظير.

عمدة الأخلاق الفعل الخلاق، نجد أن القراءة مخصصة لتجسيد عملية التحسين الروحي، هذا هو المنهج الذي يعتمد عليه خطاب الإمام السجاد عليه السلام، وحتى من يمارس العمل الشيطاني يدرك أن مصير الشيطان إلى جهنم، من أبرز القضايا التي تركز عليها توجهات الإمام السجاد عليه السلام، إن عملية توطين إبليس داخل النفس الإنسانية ستؤدي إلى تردٍ نفسي ينتج الانهزام الداخلي، فيعجز حينها أن يدرك معنى التوبة.

تبدأ مرحلة اللبس الشيطاني بسبب الإحباط والذوبان في الإرادة الشيطانية، لتتعم الصورة في ذهنه فيرى الأمر بأشكال متعددة ترسمها العادات والقيم الزائفة والمعارف المبهرجة والتي

لا تمتلك سوى ثقافة التبرير، قدمت قراءة سماحة السيد الصافي محورا مهما على اعتبار التأمل في فقرات الصحيفة السجادية يعزز لنا مفهوم الدعاء ويقدم النموذج الفكري الواعي، تركيز الإمام السجاد (عليه السلام) على نظرتي المدخل - الاستيطان.

هل فعلا استطعنا أن نحصن أنفسنا من توطين الشيطان، حال الإنسان اليوم وسط مجتمع يدل على نفاذ الشيطان، دخل ونفذ واستوطن فأذى الصديق لصديقه وعقوق الابن لأبيه وخيانة الجار لجاره وأكل مال الناس في غفلة، أو اغتياب الناس والفواحش والاستهزاء بمؤمن، كلها أمور تدل على الانقياد إلى الشيطان، السؤال الذي يكون المضمون المحوري لعملية القراءة، هل هذه الأباطيل لها دلالة من دلالات الإيمان؟ هل تصح أن نتقدم بها لتمثلنا يوم الورد؟

هذه البضاعة مرفوضة؛ لأنها مغشوشة، فيها الزيف والباطل، لو بحثنا عن قصيدة الخطاب الخلاق لأدركنا مفهوم الحصانة والتحصين، والذي يعني الصلابة، من أين تتكون مفردات اليقين من مكونات التفاعل الجوهري.

أولا: محاسبة النفس في كل يوم وفي كل ساعة، القضية تحتاج

إلى تأمل لإدراك خصوبة التربية، والأثر المعصوم يمهد لنا مشروع الحصانة الروحية.

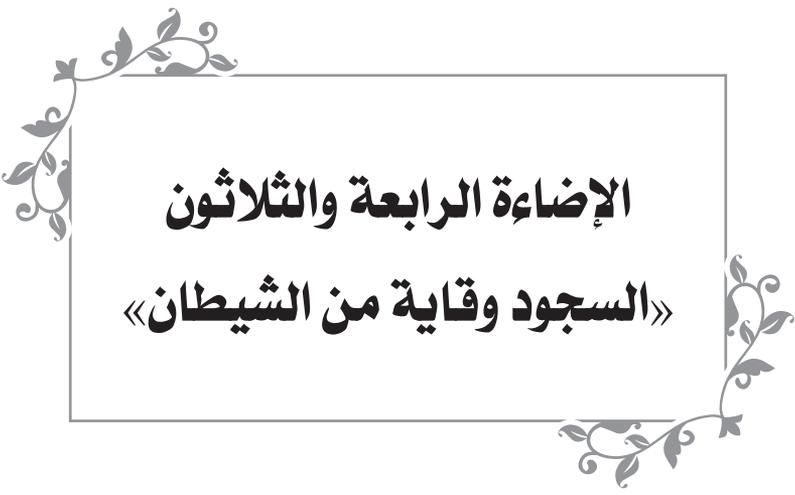
ثانيا: المقامة ومصدرها الشعور الدائم بوجود الله سبحانه ومعرفة الخصم والاستعداد له والتهيؤ.

ثالثا: التسليح هو باب من أبواب المواجهة، الإمام عليه السلام يقول: «اللهم وما سول لنا من باطل فعرفناه» أهم الأسلحة الدفاعية المعرفة، وإمكانية الوقاية منه والوقاية والتقوى هي من أفضل الأسلحة.

يوضح سماحة السيد أمر الكيد، وهو من حالات الاستدراج الشيطاني، الذي لا بد أن نقف أمامه ونبني جبهة صد، علينا أن نحذر الكيد، ونحن أمام حالات معينة شخصها الباحث. الأولى: السلم والعاقبة الحسنة، ألا يفسح للشيطان مجالا، يكون دائما على أهبة الاستعداد.

ثانيا: العلاج، عدم استغلال الثقة والنظر إلى الموقف الأخرى بجد، لا بد أن يفكر الإنسان جديا لتغيير الموقف ما دام الأمر ممكنا. والانتصار على الشيطان ليس صعبا إلى درجة العجز، عدم اليأس من رحمة الله والتوبة ثورة الداخل الانساني.





الإضاءة الرابعة والثلاثون
«السجود وقاية من الشيطان»

يشتغل الخطاب الوعظي على بث روح الوعي بين الناس، ولا يمكن أن يكون الخطاب صالحاً لهذه المهمة دون امتلاكه القوة لفعل التأثير على الناس، تركز هذه القوم على قاعدتين مهمتين القاعدة الأولى.

المادة التاريخية المرجعية والمصادر وكتاب المصايح يستمد مادته من النصية من منهج أهل البيت عليهم السلام وخاصة الصحيفة السجادية المباركة، وهذه القاعدة التي هي مرجعية الخطاب لها قبول جماهيري واسع لا يرتبط بزمن معين ولا بتاريخ فهو مؤثر وفاعل عبر الاجيال.

القاعدة الثانية:

الأساليب التوصيلية المرتكزة على فن الإقناع، أفضل أشكال التواصل الفكري والروحي، فن حوار مفتوح مع متلقي شمولي بعنوانات متعددة المضامين تصب في مسرى الاستبصار.

«معرفة الذنب»

العنوان الثانوي الأول:

لو تأملنا في مفردات هذه الفقرة لوجدنا مجموعة من

المفردات التي يطلبها الإمام السجاد (عليه السلام) من الله سبحانه في هذا الدعاء، يفرز سماحة السيد أحمد الصافي تلك المفردات ليكون لنا معرفة الخصائص المؤثرة في عمليات التواصل المعرفي.

١. «المعرفة»: «اللهم وما سؤل لنا من باطل فعرفناه».

٢. «الإجارة»: «وإذا عرفناه فقناه» أي بعد المعرفة أجرنا من الباطل.

٣. «البصيرة»: «وبصرنا ما نكايده به» أي الشيطان.

٤. «الإلهام»: «وألهمنا ما نعهده له».

٥. «اليقظة»: «وأيقظنا عن سنة الغفلة بالركون إليه».

٦. «الإحسان»: «أحسن بتوفيقك عوننا عليه».

هذه مكونات العمق الفكري للتعامل مع خطاب المعصوم يرى سماحة السيد أحمد الصافي «دام عزه» أن المعرفة تساعد على الوقاية من الشيطان، ومعرفة الحق تعرفنا سبل العبادة، معرفة قدرة الخالق سبحانه، لو وضعنا فكرة نقيضة لهذا المنحى لغاية التوضيح، ماذا تمثل للمتأمل العبادة بلا معرفة، فهو يعبد الله يصلي ويصوم، لكن الجهل يفقد هذه العبادة فعل التأثير التقويمي للذات، لتصبح العبادة بلا تأثير.

المعرفة هي القيمة الأسمى لفهم العبادة، تقوي وظيفة الإدراك الذي يؤمن للإنسان التحصين الذاتي.

كيف يمكن أن يؤثر بالناس وجدانيا من فقد التأثير الذاتي لتحصين نفسه من الشيطان، بأي وسيلة يستطيع أن يتجنب شروره، لا بد من معرفة الشيطان تصل إلى قدرة التمكين ومواجهته.

يعتمد المنجز المعرفي لكتاب المصايح على تحليل المعلومة فبرز الإمكانية الأسلوبية بموهبة البحث الوافي، البنية المعرفية عند الباحث تستوحي عملية التكامل المعرفي، والعلم بلا عمل سيخل بالغاية المعرفية ويزيد الشمولية وإلا فالعلم بلا عمل وبالأ يضيف إلى المتاهة قصدية الانحراف والقصدية أسوأ من الجهل، ما نفع عالم يعمل خلاف علمه؟
الجهل أفضل من علم بلا عمل، جوهر العلم يمنح على الأقل حصانة الذات.

«الشعور بقبح الذنب»

العنوان الثانوي الثاني: يعطي الباحث المتمكن جميع أوجه الموضوع لهذا نجده ينتقل من المعرفة، الإدراك إلى الشعورية عبر مفردات الاشتغال الشعوري.

١ - «نكايد»:

البحث عن وسائل وتحصينات تسلح بها عبر تلك المعرفة،
نبتعد عنه ونكيد له، نحن نصب له الحيل لنخلص أنفسنا
من الوقوع في مصيدته.

٢ - «التحصين الذاتي / الامتناع»:

تأخذنا المعرفة إلى سبيل ذلك الامتناع بإعادة التجربة،
أو الوقوع بها أساسا ما دمنا ندرك منافذ الشيطان، وهذا
التحصين نكسبه بالتجربة، بإعادة محاولات الابتعاد عن نتانة
الشيطان ولا نشتم هذه الرائحة.

يمنحنا السيد الباحث التصور الدلالي لمعنى المكايدة،
الروايات تقول أن للذنوب روائح نتنة، الفكرة التي طرحها
الإمام السجاد عليه السلام أوجدت لنا عطرا زاكيا تجعلنا لا نشم
نتن الذنوب أذيقول «عطروها بالاستغفار».

- «السجود وقاية من الشيطان»:

العنوان الثانوي الثالث: عدة مفردات مهمة تمنحنا
الحصيلة وتعرفنا بمعنى طرد الشيطان:



١- «الابتعاد» عن طاعة الله سبحانه.

٢- «التمرد» على طاعة الله تعالى.

٣- «الاختبار في السجود»: سجود إبليس للنبي آدم، مدلول المواجهة جعل الله سبحانه أقرب ما يكون العبد من الله «عز وجل» وهو ساجد، فالسجود هو وقاية من الشيطان.

- «وسائل الوقاية»:

العنوان الثانوي الرابع:

غلق منافذ الشيطان، وفهم معنى الاستعاذة بالله من الشيطان، اللجوء إلى الجهة القادرة من ردع الشيطان، وهذه الجهة هي الله. الله والشيطان لا يجتمعان، عملية الامتناع عملية الارتكاز على مناطق القوة عند الإنسان، الإيمان برقابة الله سبحانه، جملة «الله يرانا» وسيلة مهمة من وسائل التصدي بمكائد الشيطان.

- «مجاهدة النفس»:

العنوان الثانوي الخامس:

توجيه الاهتمام تحليل معنى الإلهام ومعنى اليقظة في تحصيل الذات، واستنهاض فكرة الاعتصام بالله وضبط النفس عبر المجاهدة، في جميع المضامين الحياتية بمعنى أن قدرة الإعداد



النفسي تنشأ من المعين التربوي لرسم معالم الحياة عبر صون النفس.

- «إعداد النفس»:

العنوان السادس «الإدراك»:

قيمة معرفة الله سبحانه تلهم الإحساس للعصمة من الزلل وتحصنه من نكبات الشيطان، النبي يوسف عليه السلام أعد نفسه إعدادًا وكان الله معه، عصمه الله وهياً له أسباب النجاة.

أولاً: إن الله سبحانه ليست له عداوة مع عبده.

ثانياً: إن الله سبحانه يريد أن يرى عبده.

ثالثاً: إن الله سبحانه يهيئ أسباب النجاة.

من أهم سمات البحث عند السيد أحمد الصافي «دام عزه» يعمل على اتساع أفق التفكير، والذي هو شأن من شؤون التواصل الشمولي، بما يمتلك من معطيات فكرية الإلهام في مفهوم الإمام السجاد عليه السلام، هو الإعداد لمحاربة الشيطان، ويغلق جميع المنافذ عليه مثل منفذ الحسد، والعقوق، والغفلة.





الإضاءة الخامسة والثلاثون
«اللفظ الالهي»

البحث عن العمق المعنوي يثير الدهشة عند المتلقي، وكتاب المصباح لسماحة السيد أحمد الصافي يبحث في حيوية الصحيفة السجادية الفكرية ومقومات حضورها في المسيرة الإنسانية لترسيخ القيم الايمانية بفاعلية توجيه الإمام السجاد عليه السلام، وفق النهج الرسالي المحمدي، بما يحمله من أفكار وما يحمل هذا المنهج من مفاهيم ورؤى مصيرية تدخل في تجسيد المقاومة الروحية لمواجهة الشيطان فكر الإمام السجاد عليه السلام شمولي يتجدد عبر كل زمان، يحث على التأمل وعلى زيادة قدرة الإنسان على خوض حرب الشيطان بتمكن، باعتبارها حرباً مصيرية لا توجد في نهايتها أي فرصة تعويضية شخصاً سماحة السيد الصافي مرتكزات مهمة للوجود الإنساني «تفكر - تأمل - تبني موقف»

الفكر بصيرة، والتأمل إدراك، أبواب التوبة لا تتم إلا من خلال التأمل الحقيقي لاستيعاب المشكلة .

معرفة مقومات الصراع بين الإنسان والشيطان والدعم الإلهي للإنسان الذي لا بد من استثماره، ومن ثم التعالق مع المفردات في تشكيل التقصي الجمالي منطلقاً من اشتغالات المفردة، مثلاً جاء عند الإمام جملة «اللهم وأشرب قلوبنا

إنكار عمله» ثم يقرأ لنا مفردة «أشرب» حالة إملاء، الدعوة إلى الامتلاء عبارة عن موقف هو إنكار عمل الشيطان، الرؤية المؤثرة في هذا الخطاب هي نكران القلب لأموال الشيطان يستوقفنا سماحة السيد عند جملة «لا إله الا الله» التي هي حالة من حالات الانكار وحالة من حالات الرفض، بحيث يشرب القلب بالإنكار لأي إله وهمي، لا يوجد في القلب شيء «لا إله» نثبت «إلا الله» والنكران من القضايا القلبية التي تحتاج للعزم وتحتاج للعقيدة، نقطة الارتكاز هي تفسير لقراءة «وأشرب قلوب» أي املاً قلبي بهذا الإنكار ولا تجعل في قلبي أي ميل إلى عمل الشيطان، تقريب النص الدعائي إلى مفهوم الناس هو مسعى تواصل يوصل الرسالة والاهتمام بالنص لإضاءة أبعاده ودلالاته، فيرى أن هناك تفاوتاً في رغبة الإنسان اتجاه الأفعال المحرمة، فهناك ما يوافق الرغبة لكن الوعي يجعله يجبس نفسه، وهناك ما لا يوافق الرغبة مثل أكل الدم ولحم الميتة.

التعامل مع الإدراك الإنساني التوجه العام بمميزاته الفكرية مثل خشية الكثير من ارتكاب الحرام، ألا يسقط في

أعين الناس لا لكونها معصية من معاصي الله سبحانه تعالى
جمالية العرض في هذا التشخيص يعتمد على الاقناع والاقناع
فكر تواصل يرسخ لنا المفاهيم، ويقرب لنا المعنى الشمولي
للعودة إلى نقطة الارتكاز «واشرب في قلوبنا إنكار عمله».

هذا الإنكار لا يجزأ، جميع أعمال الشيطان مرفوضة، الدلالة
النابعة من مضمون الطلب، رفض الفعل الشيطاني ليكون ملكة
عند الإنسان، سيكون حينها ترك المعصية من الأمور الاعتيادية
يتمسك السيد الباحث أحمد الصافي بأدب الصحيفة السجادية
باعتباره يحمل روح المعالجة المثلى لكل مشاكل الإنسانية في صراعها
مع الشيطان، يقول الإمام السجاد عليه السلام «وَالطُّفُ لَنَا فِي نَقْضِ حَيْلِهِ»
هذا هو البعد الدلالي الفاعل، فالنقض لا يأتي إلا بعد إبرام وإحكام
العهد، كيف أبرم عقد العلاقة؟، في هذه القفشات الفكرية تكمن
بنية الموضوع، الشيطان يحتال علينا ليبرم صفقته معنا، يبرم ويحكم
الأفعال والحيل في سبيل الامتلاك

كشف ودراسة الظاهرة الإنسانية في تعاملها مع العوامل العينية
المتغلغلة في النفس البشرية، تحتاج إلى تصور يدلنا على فعل الإبرام،
أو الحيلة التي يبني بها إبليس مواقفه بهذه الخبرة، مثلا يرينا معروفا

حتى يمنعنا من معروف آخر، وقد يرينا سيئة ليجرنا إلى سيئات، ويبين هاجسا يدفع الإنسان للمعصية، لا أحد يرى، وهاجس يحذره من الذنب، فإن الله يراه وهو الشاهد والحكم، يتدخل الشيطان عبر موقف آخر، إذ يسهل قضية الذنب أمام وجود الغفران الإلهي، ويقدم الذنب على بساطة المحتوى، من خلال هذه الأفعال المكونة لوجود الميل الروحي عبر سبيل من تلك السبل، يتحول الإيمان بالله سبحانه إلى موقف يصد الشيطان، فيتضح لنا معنى اللطف الإلهي حينها يفرع الإنسان إلى الله تعالى، إلى القرآن الكريم إلى الصلاة، ويفزع إلى الزيارة، ليقوي بصيرته على الشيطان وهذه هي المعرفة لبلوغ الانتصار، هذا هو الثراء الروحي، والبصيرة إدراك فاعل للكسب المعرفي، واكتساب عناصر الفوز على الشيطان وكسر حواجز الإغواء ومحاولات التسلط .

دراسة العلاقة بين وجود الشيطان في العالم الإنساني، هو ضعيف لأن الشيطان لا سلطان له على الإنسان، لهذا يتبع الإغواء، ودعاء الإمام عليه السلام «اللهم حول سلطانه عنا» ملخص فكرة الخطاب هو اللجوء إلى الله سبحانه، وإنهاء محاولات الإغواء بالفشل. الحضور مع الله تبارك وتعالى يغلق منافذ الشيطان.





الإضاءة السادسة والثلاثون
«ميزان الآخرة»

العلاقة بين كتاب المصايح وبين الصحيفة السجادية
المباركة علاقة مترابطة تشغل مهمتين:

أولها: تنشيط الذاكرة وترسيخ النصوص الفكرية والروحية.

وثانيا: وسيط معرفي ينقل محتوى الصحيفة إلى الناس بعد

شرح فقراتها وتفسيرها لتوضيح مفهوم الرسالة.

كثير من الناس يقرأون الصحيفة السجادية دون أن

تستوقفهم الدلالات، وكتاب المصايح اشتغل في إفهام

المتلقي على إدراك المضمون النصي للمعصوم عليه السلام، وتحليل

النص يكون بلغة شمولية مستعملة متداولة اجتماعيا عند

الناس غير غريبة ليتفاعل معها المتلقي.

تتنوع العنوانات الفرعية في كل جزء من الخطاب، وتلقي

حيث قصدية المضمون.

ينظر سماحة السيد أحمد الصافي نحو موضوع العلاقات

الاجتماعية، والبحث في مرتكزات تأثيرها كالبحث عن

الزوجة الصالحة والولد الصالح، المعنى الأهم في قصد قضية

الجانب التربوي والتركيز على محصنات تربوية قبل انعقاد

النفطة، تحصين روحية الولد بالدعاء، وهذا يكشف أهمية

الصلاح في الجوهر التربوي الإسلامي، وحتى على مستوى المحيط الاجتماعي، كونه يؤثر تأثيرا مباشرا في المجتمع كثير من الناس باعوا بيوتهم لسوء خلق الجار، والإنسان الصالح يعمل لنشر الخير.

نجد أن نص المعصوم له تركيبات دلالية تجعل العبارة لها أثر تقويمي وعظمي، وهذا الأثر تحصيني، يحصن الإنسان نفسه فيمنعه من ارتياد الأماكن التي فيها التهتك والابتذال. أي فرض رقابة غير رقابة القانون الوضعي، رقابة من الداخل يشعر أن الله سبحانه تعالى يراقبه.

نجد أن الخطاب الداخلي يعمل على إثارة القضايا القريبة عن نفسية المتلقي في كل زمن ومكان يثير المقاربات الدلالية فيوسع أثر التحصين من تحصين الذات والدعاء للنجاة إلى إشراك الناس في الدعاء، القضية تخدم الواقع النفسي؛ لأن التفكير بالآخرين مزية الانسان، والانسان الذي لا يفكر بالآخرين بعض الروايات تبعده عن الانتماء الإسلامي، الهوية الإسلامية محبة الناس وليس من شيمة أهل الدين حب الأنا.

ولا بد للمؤمن النظر بأفق أوسع من أفق نفسه، يسعى الخطاب

إلى التفاعل، والتأثير وهو جزء مهم من المسعى التواصل، ودور كبير فيما يحدثه الخطاب في الذات والمجتمع، بعض المناهل التي يحصل فيها التوفيق مثل الحج - الزيارة، العبادة - الصوم - الصلاة لا بد أن يستثمرها الإنسان لإثبات قيمته الإنسانية.

يرى سماحة السيد الصافي أن الوعي الإنساني للمؤمن ينعكس على صيغة الدعاء، يدعو للجميع بالمحبة والصلاح، توجهت عناية الخطاب إلى إنسانية الإنسان، إلى الجهد الاجتماعي في تكوينه الحياتي، الوحدة والعزلة عن المجتمع ترفع من شأن الأنا وتستصغر الناس، وهم في المقابل يستصغروهم الناس.

حدد لنا سماحة السيد الصافي مفهوم الأفق الضيق الذي يصل بالإنسان للأناية ومحبة المال، هذه الأمور تنشئ محبة الإنسان لنفسه لتقوية أسس الأنا المتجاوزة.

قمة الأثر أن يهتم الخطاب بما يعني الناس وبما تعني الهوية، والانتفاء، ومحبة الناس تحتاج إلى رؤية، الإنسان يريد لنفسه الخير، وهذا الخير تقوى صلته بالناس الخير يعني مساعدة الآخرين وكسب رضا النفس، لكلمات المعصوم في الصحيفة السجادية أثر في دلالات الجملة ومفاهيمها مثلاً:

يريد الإنسان أن يثقل ميزان حسناته في الآخرة، كيف نضع الحسنات في هذا الميزان؟

أن يضع الإنسان في الميزان أعماله في الدنيا وفي الآخرة، وهناك موازين متنوعة عند الله سبحانه، ميزان الصلاة والصوم، ميزان لحسن الخلق، تشخيص تلك الموازين، ولا شك أن الخطاب توزع الى بؤر مضمونية، نفسية واجتماعية تركز على خطاب العقل، الله تعالى أعطى الإنسان عقلا وقال له «بك أثيب وبك اعاقب» ويبحث عن الاستقرار النفسي في الابتعاد عن الشيطان.

الاستقرار هو الإيمان في كل ظرف ومزاج بعيدا عن الانفعالية، الراسخ في روحية المؤمن تعميم الخير للجميع وهذه خصوبة وعي وإدراك، ليشمل هذا الخير للأهل والناس، نحن ندرك أن بعض الأمور أصبحت لدينا معروفة ومفهومة، وهذا يعود إلى دور قادة فكر الأئمة عليهم السلام في تقويم كثير من المبادئ، فالإمام السجاد عليه السلام يؤكد على منزلة الجار. ساحة السيد أحمد الصافي يعمل على تطويع النص لبيان أهميته وأهمية محتواه، ويعمل على إيجاد المؤثر الحياتي القادر على التغيير الجاد عند الإمام السجاد عليه السلام، كالأهل، الأب والأم



حَسْبُكَ إِضَاءَةٌ كَمَا لِلصَّائِحِ

والإخوان، يقول (عليه السلام) «وألبسهم منه جننا واقية» والجنة لغة بينها سماحة السيد الصافي بأنها درع واقية، والجنن الدروع الواقية، تصور لنا الدعاء بأن معركة كبيرة بين الإنسان والشيطان والأسلحة منها هي من عمل الطاعات، الإنسان بالطاعة يرد كيد الشيطان، لا بد للإنسان أن يدعو الله بأن يجعل أهله والأقارب والجيران في حرز حارز وحصن حافظ من شر هذا العدو اللعين.





الإضاءة السابعة والثلاثون
«الإخلاص بالوحدانية»

تشكل البنية الفكرية في الخطاب التوجيهي وسيلة إقناع قادرة على بناء المنطقة التأثيرية المؤثرة في سلوك المتلقي. والمتأمل في كتاب المصايح يجده يرتكز على نصوص الصحيفة السجادية عملاً على ترصين الخطاب وتوظيف الثقل الوجداني للإمام المعصوم (عليه السلام)، الذي يسهم بشكل فاعل في بناء الأفق النصي، عبر انسجام عنواناته الفرعية المرتبطة بالعنوان الرئيس لكل جزء، خصصت الحلقة لعنوان رئيس.

«الشهادة بالربوبية عصمة من الشيطان»:

يتفاعل الجوهر الفكري بما يعلق في ذهنية المتلقي ليكون قريباً عن نفسيته، ومن هذا الأثر يولد التأثير. الدعاء يحتوي على قضايا روحية منها وقع شرور العدو «الشيطان» والاستفادة، ليس له تفرد بل يتجاوز التكوين العائلي ويصبح الاهتمام عاماً، والشعور بالمسؤولية تجاه الناس، ويوضح لنا بقية المكونات الأخرى.

المكون الأول: العناية العامة

توجيه الخطاب نحو المتلقي الجمعي للتأثير الإيجابي القائم على التوافق ومفاهيم الصلاح، التي تبين لنا أدب أهل البيت عليهم السلام.
تصميم الدعاء والإخلاص بالوحدانية والاستظهار المعرفي، بالإضافة إلى انسجام أفق المتلقي بتحقيق التواصل مع الدعاء المعنوي، وهذه وظيفة إنسانية من الطبيعي أنها تزكى بقبول فطرة الإيمان بالله، وإيمان الاستدلال ويرجع إلى الفطرة والثبات على روحية الانتفاء.

المكون الثاني: طاعة الله سبحانه تعالى

يعد النص الدعائي نشاطاً تواصلياً مؤثراً، ومضموناً دلاليّاً تعم به الفائدة، السعي لتحصين المؤمن من مكائد الشيطان، ويلوذ بالدعاء، وهذه هي أسس التربية.
يرى سماحة السيد أحمد الصافي أن المعصية جرأة على مصدر الخير، وعلى مصدر العطاء والرحمة وفيها جرأة على هذا الوجود ورحمة الله سبحانه تدعو إلى الإطاعة.
يشير النص إلى وجود بعض الومضات الفكرية وهي تكسب الإنسان ثقافة المودة:



- ١- إن الله سبحانه لا يستحق المعصية.
 - ٢- المعصية لا تضر الله بشيء.
 - ٣- موجبات المعصية غير موجودة، هو المنعم، الخالق، الرحمن، الرحيم.
 - ٤- موجبات الطاعة للشيطان غير موجودة وهو الضعيف المطرود، وأول مخلوق خرج على القانون.
- يعتمد المنجز على الأدب التوجيهي، المنقول عبر التناسل المباشر من الصحيفة والموجه عبر الشرح والتفسير والانتماء الموضوعي بما يوائم قضايا الإنسان النفسية، وقوف الإنسان بينه وبين نفسه، يريد أن يزن تصرفاته وأعماله، استهداف المتلقي بأثر معنوي يوضح له وجود الحق وجود الباطل، معبر الحق يحتاج للوعي، ويحتاج للعقل والإيمان.
- دون الوعي سنصل إلى ضعف قدرة التمييز، حينها يمتلك النص البحثي أكثر من رؤية، رؤية الإمام المعصوم (عليه السلام)، ورؤية السيد الباحث.

سؤال وجيه ينظم مدارك القراءة: هل ضعف قدرة التمييز سببه الرئيس العقل؟ جواب سماحة السيد الصافي



يبين بأن سبب نكوص القدرة التمييزية لا يقع على العقل، وإنما في حجب العقل، وقد شخصها الله تعالى ﴿بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ «المطففين/ ١٤»، الإنسان إذا عاش المعصية تحجب عن نفسه المقاييس، الدعاء يطلب به الإمام السجاد (عليه السلام) تحصيل المؤمن.

المكون الثالث: الإخلاص في الدعاء

نتأمل في بنية النص، هناك حوار داخلي يبدأ من «الأنا» إلى «ال نحن» وهو الجزء الفعال من التواصل مع الناس، مرتكز الثقافة الإنسانية، يوضح لنا ساحة السيد الصافي، معنى الإخلاص، وعرفه لنا بمعنى العمل لوجه الله تعالى.

- ١- إن الله سبحانه دائماً مطلع على عمل الإنسان.
- ٢- الله سبحانه دائم المراقبة لكل عمل يقدمه الإنسان.
- ٣- غير غائب عن الناس، وحرصه على نجات الناس أقرب.
- ٤- جعل أعمال الإنسان كلها إليه.

وهذه النقاط الجوهرية تفرز لنا العديد من النتائج:

النتائج الأولى: فرض رقابة شديدة من نفس الإنسان على

نفسه.



النتائج الثاني: عدم الخروج عن دائرة الرقابة.

النتائج الثالث: إذا لم ينتبه الإنسان لهذه الرقابة سيربك حضوره بين يدي الله سبحانه تعالى.

النتائج الرابع: البحث في جوهر هذا التواصل يعمل لعناية التقارب مع الله سبحانه بوعي ورشاد، وليس مجرد عمل اعتاد عليه الإنسان فيكون فاقداً لروح المعنى.

النتائج الخامس: التركيز على فهم معنى الابتلاء، تقريب هذه الفكرة ليس من باب الانتقام الإلهي بل من باب التمحيص وصولاً إلى تركيز مسألة الوجدانية.

البحث الدقيق في هذا المكون يؤسس لنا التعالق الروحي مع قضية التوحيد والنظر إليها بمنظار اجتماعي، فحدث فيه انحراف اجتماعي كبير.

تأهيل الناس في هذا الزمن لفهم المرتكزات الفكرية للإمام المعصوم السجاد عليه السلام.

نص المعصوم يتعامل مع كل الأجيال، ومن المعروف أن لكل جيل له معناه الخاص به، القضية التي عرضها سماحة السيد الصافي قضية مهمة جداً، صاغها لنا عبر سؤال:



- هل الأجيال مؤهلة لاستيعاب خطاب المعصوم، الإيمان بأن الله سبحانه هو الرازق، هذا المفهوم معروف ومتداول في أدبيات الحوار، يحتاج إلى التوكل على الله سبحانه والسعي لرضا الله. كثير منا لا ينتبه لهذه القضية الحساسة، الإنسان الذي يتأمل بأن الرزق متوقف على رضا إنسان ما، يعمل على التذلل له من أجل الزلفى لفلان من الناس، فمن يؤمن بأن الرزق بيد الله لا يحسد أحدا، والفارق كبير بين الدعاء الذي يحثنا عليه المولى السجاد عليه السلام، وبين الحسد، عملية الإخلاص هي ترصين الإنسان بالملاذ الإلهي الخلاق والاخلاص بالوحدانية.

المكون الرابع: مراجعة النفس ومحاسبتها

الجوهر الفكري لهذا المكون هو أن أعمالنا بحاجة للمراقبة، ونتائج هذه المراقبة قد يصعب الاعتراف بها لأحد من الناس لكن ليس مع الله سبحانه تعالى وهو المفزع. ملاحظة/ أحلنا هذا النص التوجيهي إلى فكري لوجود تأملات فكرية تحتاج إلى التأمل، إلى التحليل إلى حصيلة الحكمة، فالإنسان حين يؤمن بالوحدانية وعينه تذهب صوب حب الثروات والمال والسلطان والوجاهة، هذا المعنى



حَسْبُكَ إِضَاءَةٌ كَالصَّابِغِ

يَعِدُهُ سَمَاحَةُ السَّيِّدِ شَرِكَا مَتَعَمِّدَا، إِذْ وَضَعَ لَهُ شَرِيكَاً مَعَ اللَّهِ
سَبْحَانَهُ فِي مَسْعَاهُ، فَفِي سُورَةِ «الْأَسْرَاءِ / ٩٦» قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:
«قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا»، وَمَنْ يَجْرُؤُ أَنْ يَكْذِبَ اللَّهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
وَمَعَ هَذَا جَعَلَ الْمَلَائِكَةَ، وَجَعَلَ جَوَارِحَنَا رَقِيبَةً عَلَيْنَا، لِيَصِلَ
إِلَى حِكْمَتِهِ الْبَلِيغَةِ، إِنْ الْخُلَاصُ فِي الْإِخْلَاصِ، وَجَعَلَ اللَّهُ لَنَا
عَصْمَةَ أَهْلِ الْبَيْتِ (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) عَصْمَةً نَلُودُ بِهَا إِلَيْهِ.





الإضاءة الثامنة والثلاثون
«الخطاب الأخلاقي»

كتب الإمام السجاد عليه السلام في كتاب الصحيفة السجادية منهجا شاملا في علم الأخلاق، من أجل خلق حصانة روحية عند المجتمع، عبر نشر القيم الإيمانية الفاعلة ومقاومة الإغواء والإضلال الشيطاني.

قدم كتاب المصابيح لسماحة السيد أحمد الصافي دام عزه تلك الأفكار والرؤى القائمة على العقل والإيمان، ومن أخلاق خطاب المعصوم الدعاء ومشاركة الأولاد والأقرباء والجيران وكل من يقرّ بالوحدانية. ومثل هذا الإجراء يخلق مساحةً تأثيرية لمشاركة أوسع في الخطاب الروحي «الدعاء» والعمل على تمكين المتلقي من استيعاب المنهج الأخلاقي وانتقاء مفردات عامرة بالمعنى لتوضيح مزايا الخطاب مثل:

«عقد»: تعبير الإمام عليه السلام «أحلك ما عقد» الشيطان يعقد ويكيد ويحتكم على سبل مختلفة، منها دغدغة المشاعر ليتوصل إلى مآربه ببعض الشهوات الحسية وبعض المكاسب، وترك لنا ومضات نقية في الدعاء تعطينا مقاربة لمفهوم الحصانة الأخلاقية على مستوى الفرد - المجتمع - ونسير لجوهر الإيمان وتفسير بعض الظواهر الاجتماعية مثل

السرقه، الرشوة، والمال الحرام، والنظر بمنظور تأملي لتلك الومضات، إذا استعان الإنسان بالله تعالى دائماً، فالله لا يمكن أن يخذله، ولا يمكن أن يتركه.

الإنسان إذا وثق بالله تبارك وتعالى لا شك أن الله يكون عند حسن ظن العبد المؤمن، هذه السمات المميزة للمعرفة الأخلاقية، لمعرفة مناطق التمكّن الإنساني، ضد المكيدة واستحكامات الشيطان، واليقظة توفيق الهي، يظهر لنا الحجم الحقيقي للشيطان، فهو أضعف طاقة من الإنسان، الإنسان أقوى لو تجاوز الغفلة.

«الفتق والرتق»: مثل هذه البنى الاستهلاكية تشكل مغزى الهدف التضاد بين الفتق والرتق، هو المعنى الكامن لتفسير جملة الدعاء «وافثق ما رتق» الرتق حالة من حالات اللحم، وجعل الأمر يبدو متماسكاً يصعب اختراقه لقوة استحكام الشيطان، التركيز على المبنى الظاهري لقوة الاستحكام، للتماسك الذي هو غير حقيقي، يظهر الدعاء «اللهم أفتق ما رتق» قدرة الله سبحانه وتمكنه من رعاية المؤمن.

قراءة ساحة السيد الصافي تبحث في أخلاقيات المنهج

المعصوم، وقدمت مفهوم الإدراك لتحقيق الذات الإنسانية وترسيخ تلك القيم والسلوكيات، رسالة النبي محمد ﷺ بعظمتها اعتبرها البعض سحراً، والبينة النبوية والدليل لا يزيدهم إلا عنادا أو صلفاً؛ لأن الشيطان استحکم على عقولهم. والخطاب الأخلاقي اليوم يحتاج إلى تحليل الأزمة الاخلاقية أولاً، التي لا ترى فيما تعانيه أزمة لذلك هي تصدر التهم ضد أمير المؤمنين علي (عليه السلام)، من أجل التعبئة والاستقطاب وترميته بالزهو، ومن أجل تحليل هذه البنية تجد أن سماحة السيد الصافي تعامل معها على أنها حالة من حالات الحسد، ويكشف لنا مفهوم الحسد بأنه مسعى شيطاني.

إن الحسد ليس من الله سبحانه، تبدأ النصره من انتصار الإنسان لنفسه إن تخلف منه الحسد، الشيطان لا يأتي إلى العبد بعنوان المعصية، بل لديه مبررات لارتكاب الفعل، والخطاب الأخلاقي للإمام السجاد (عليه السلام) يبحث عن يقظة أخلاقية.

يشعر الناس أن الأزمة التي يعيشونها وليدة هذا الغياب، غياب الأخلاق، لا يمكن أن يقدم الإنسان للتناول على الإنسان، والسعي لإسقاطه من أعين الناس بدافع الحسد،

إلا بعد أن يحسن الشيطان له الصورة فيكشف سماحة السيد الصافي العقد المكبوتة التي لا بد أن يتخلص منها الإنسان، وهي ناتج من عدم الوقاية وعدم تحصين الذات، بعضهم جعل الأخلاق أكثر مادة لحديثه لكونها غائبة عن سلوكه. «إهمال النفس وعدم التنبيه»: جعل الله كثيراً من المنبهات التي تحثنا على اليقظة لكننا لا ننتبه، قد يتحدث الإنسان عن الحرية وهو يمارس الاستبداد، ويدعو إلى المساواة وهو يعمل بمنهج مخالف لما يقول، وينحرف عن المقاومة الروحية مع الأساليب الشيطانية بل الخشية الحقيقية هي أن يتعود على أكل الحرام، على الجليل الجديد أن يعي أن اللسان يوم القيامة يتبرأ من الإنسان، وبهذا المنحى نحتاج إلى منبه يكسر لنا نمطية الممارسات العبادية التي تؤدي بلا روح حقيقية، الصلاة نعم المنبه، وما عبد الرحمن إلا بالعقل فهو نعم المنبه، الله يغلبنا في الخصومة دائماً؛ لأنّ له الحجة علينا، والانتباه مطلب حسن يتنافس عليه العقلاء حين يكتمل الرتق الشيطاني أي يتماسك الإنسان بقوة النسيج، تتحول القضية إلى تعالق روحي مع الرتق، يحتاج حينها الإنسان للاستعانة بالله سبحانه لفتق الرتق.

«تسوية التوبة»: لكل مثابة من تلك المثابات التي ينطلق

منها سماحة السيد أحمد الصافي إلى حكمة جديدة، ومعنى آخر من معاني الأخلاق نقف عند التوبة.

١- نحن نحتاج إلى التوبة وعلينا أن نتعامل معها بحرص.

٢- الله سبحانه تعالى لا يحتاج إلى توبتنا.

٣- تسويف التوبة هي السذاجة.

٤- الموازنة بين حاجات الإنسان الخاصة وبين الفوز الحقيقي وهذا الأمر له علاقة بالعقل وبالحكمة فمن لا يحسن التصرف لا يحسن أن يرتقي سبل النجاة.

ومضة فكرية يشخصها لنا سماحة السيد الصافي، إن الإمام زين العابدين (عليه السلام) يحذرننا من عملية الإصغاء إلى إغواءات الشيطان، الإنسان يدعو الله سبحانه بينه وبينه، لا أحد يسمعه كيف يزن العلاقة بينه وبين الله من جهة، وبين الشيطان من جهة أخرى، الإنسان قادر على أن يميز العلاقة بينه وبين الله من جهة وبينه وبين الشيطان من جهة أخرى، الإنسان قادر على أن يميز العلاقة في الدنيا.

ممكن أن يصحح لنفسه درجات الميل، درجات اليقظة، الانتباه إلى محاسبة النفس، لمعرفة النتيجة، وهذه فطنة جوهرية منها ينطلق التغيير الحقيقي والذي هو نعمة من نعم الله سبحانه أنعم بها على الإنسان.



الإضاءة التاسعة والثلاثون
«الصراع مع الشيطان»

سعى سماحة السيد أحمد الصافي «دام عزه» في كتابه المصباح لخلق رؤية متكاملة عبر ما يحمل من تراكم معرفي، جعل اهتمامه بالصحيفة السجادية المباركة للإمام السجاد عليه السلام يتعدى العرض التدويني ليدخل لعمق مشروعه الفكري، وتكامل الرؤية في أصل المشروع، وأرضية المنجز التاريخي، مبتعداً عن السعي التلقيني والحفظ النصي إلى فهم حقيقة الصحيفة المعنوية.

والثقافة تؤسس دائماً على فكرة كلية تكون الأساس الفكري للقراءة والمعلوم.

إن نهضة السجاد عليه السلام الفكرية تشكلت عقب النكسة الأخلاقية لمجتمع قتل الحسين عليه السلام.

لتأمل عمق المعنى ولنعرف كم وصل التدني الروحي لهذا المجتمع الذي فقد الرشد، وفقد الرسالة، وعاد لقبليته المقيتة.

كانت فكرة التأسيس إعادة بناء المجتمع روحياً وترميم العلاقة الوجدانية بينه وبين الله سبحانه تعالى، التي دمّرها الشيطان وسعاة الشيطان، وكشف متبنيات مشروع الإضلال التي هي من ممتلكات الشيطان «لعنه الله» ليصور لنا معركة مستمرة بين الإنسان وما يحتويه من عقل وضمير، وتجربته الإنسانية مع الشيطان وحزبه، يعتمد

تفسير النص المعصوم على عدة مرتكزات، منها إنه نصّ تاريخي مرّ بأجيال كثيرة، ولكل جيل لغته وفهمه الخاص بلغته، والمرتكز الوجداني في عالم الماديات التي جُبل عليها الجيل، تحتاج لخلق بعض المقاربات الإفهامية، والارتكاز على بؤر أساسية في النص الدعائي، والتركيز على مميزاتها الدلالية، لنقرأ: «اهزم - ابطل - اهدم - ارغم» ليصوغ منها الخطاب الفكري، نقرأ جملة الإمام عليه السلام في الدعاء:

«اللهم واهزم جنده»:

أي موقف معرفي يضعنا أمام إنتاج المعنى الدلالي بأن هناك لإبليس جنداً مجنّدة، سواء من الجن أو الإنس، ومفردة هزيمة تدلّ على وجود مبارزة، رفض، ممانعة، ووسائل ومعدات حربية يتسلح بها كل طرف من طرفي النزاع.

إبليس لديه وسائل إضلال متنوعة يعمل بجد من أجل الانتصار على الإنسان، الغريم الذي كان السبب في إخراجه من الجنة، والإنسان يدرك معنى الحرب وهو بحاجة إلى عدة، ويحتاج إلى مكنة وتدبير الوعي مقابل الإضلال، الوقاية وهزيمة الشيطان، القضية واضحة الرؤية، مشروع الصراع والحرب مشروع كامل شامل.

محاور فكرية طرحها الإمام (عليه السلام)، مثلاً خطورة الفراغ على الإنسان؛ كونه يتسبب بتصورات سلبية وبعض الأفكار «كمائت» أو أشبه بشباك الصيد، وأصدقاء السوء يزينون له المعصية، والموارد كثيرة منها الموارد المالية وموارد الإضلال الأخرى التي تكون معينا على الضلالة، الوعي الحقيقي الذي يجعلنا أمام الحقيقة بكل ما تملك من مرارة.

سماحة السيد الصافي يرى أن شياطين الإنس في بعض الحالات أخطر، تلك هي الخطورة التي لا بد من إدراكها. فضلا عن إدراك أن أمور الإيمان بالله ورسوله واليوم الآخر، تمد المؤمنين بقوانين السلوك الصحيح.

«وأبطل كيده»: من أهم القوانين الأخلاقية للإسلام هو الاتكال على الله والتوجه إليه: «اللهم أبطل» وأبطل فعل أمر خرج لمعنى الترجي: «والكيد» فعل الشيطان يحسن للإنسان ظاهر الأمر، ويبطن له القصد السيء، والكيد تحسين صورة الفعل المشين حتى يجعله يتماهى، ويستدرجه للإغواء الى الحد الذي تصعب عليه التوبة، الإنسان عندنا يعرف معنى المراوغة الشيطانية، ولعبة الصيد التي يمارسها الشيطان وأنواع

السبل المتقدمة، لنبداً مرحلة جديدة من مراحل الدعاء.
 «واهدم كهفه»: الحكمة حين تكشف عن محتواها المعبر عن
 الحرص ومضمون الحرص، صيانة القلوب والألسن والوجدان
 بصورتها الذكية المعبرة عن الفكر والإيمان والأمل برحمة الله
 سبحانه، يتطلب الدعاء هدم كهف الشيطان، الحصن الذي يأويه،
 حين يلهمنا الله سعة الوعي لتحصين أنفسنا من الشيطان، يتمكن
 الإنسان بطاعة الله سبحانه تهديم حصن السلطان.

«وارغم انفه»: تبنى الدعاء كل أنواع البناء الإنساني
 العاطفي والقوة الواهبة العلية سبحانه تعالى، ليكون لنا
 الإنسان من خلال هذه الجملة الوجدانية إلى العقل الفعال
 والحكمة الالهية، التي يلجأ إليها الإنسان «اللهم وأرغم
 أنف الشيطان»، والإرغام لغة التراب، تستعمل هذه الجملة
 بهذه الصيغة لتعميق حالة الإذلال، الأنف عند العربي هو محل
 الكرامة ومحل العزة، فهو تعبير لتمييز حالة الإذلال الحسن،
 إذلال العبد لربه حين يمرغ جبينه بالتراب وإذلال السيء هو
 تعبير مجازي؛ لأن الشيطان ليس له أنف ويستعمل لحالة
 الانكسار، والله أرحم الراحمين.





الإضاءة الأربعة
«المفاهيم المعرفية»



حَسْبُكَ إِضَاءَةٌ مِنْ كِتَابِ الصَّائِحِ

عندما يلجأ المفكر إلى تفسير نصّ المعصوم، يعدّ هذا الفعل الإبداعي من أولويات وجود الاهتمام بمكانة النص المنجز؛ كونه نصّ إمام معصوم.

سماحة السيد أحمد الصافي «دام عزه» جعل منطقة اشتغاله الصحيفة السجادية وما فيها من قدسية العصمة. هناك لغة وهناك انعكاسات دلالية وتجليات المعنى والفهم والتفسير، بما يتواءم وفكر الإنسان المعاصر وقابليته ووعيه ليجسد لنا الرؤى ذات القيم الإرشادية القادرة على منح المتلقي صاحب الاختصاص كثيراً من المفاهيم المعرفية التي هي من توجيهات الإمام علي بن الحسين زين العابدين السجاد عليه السلام، فهو يحذرنا من الشيطان باعتباره العدو الأول، ولا بد أن نتسلح بمجموعة من الأمور، لتأمل في مفردة «نتسلح» والتي تعني التحصين بقدرة الله سبحانه تعالى، وبما وهبنا من معرفة وصبر وإيمان، وأن نحصن أنفسنا بالمنع؛ كي لا نقع في مكائده، هناك سمات مرتبطة بالإنسان وفكره ووعيه وثقافته وإيمانه، وهذه السمات يركز عليها الخطاب في فهم دقائق التواصل مع القيم الإلهية. مفردتان تأمل فيهما سماحة السيد الصافي «اجعلنا - اعزلنا»،



وبينهما نجد مفردة «الموقف» نتابع مفهوم الموقف بين المفردتين، من أفعال الأمر خرجت إلى الدعاء، الجعل إرادة الله في جعلنا من أعداء الشيطان وعدم قبوله بمعونة الله سبحانه تعالى، والعزل عن عداد الصحبة والولاء مع الشيطان، تبدأ قاعدة «الموقف» الذي استند اليه السيد الصافي كمفهوم يحتاج إلى أن تظهر إشارات هذا الموقف، وخصوصا إذا كانت القضية تتعلق بدنيا وآخره، تتعلق بطريق العدو، أو بطريق يبعد الإنسان عن الله، والموقف فلسفة في دلالة التفسير، من حيث الوضوح بمعطيات الموقف، لا بد من اتخاذ هوية لإنسانيته وانتمائه فهو أمام ثلاثة خيارات كما حددها سماحة السيد الصافي.

إما أن يكون مع الموقف أو ضده أو الخيار الثالث هو الإشكال الحقيقي في عالم اليوم أو أن يكون مع كلا الموقفين فهو لا مع الحق ولا مع الباطل ولا يوجد مثل هذا الموقف ويعد من التخاذل والهروب من ثقل الحق وإنما هو انجراف نحو الباطل، رسائل عاشوراء هي رسائل واضحة فيها عمق معنى الموقف.

الإمام الحسين عليه السلام في واقعة الطف الحسيني هو إمام جهة ناصرة وجهة معادية، أي جهة تقف في الجهة الثالثة ليس لديها

سوى التخاذل، بعدد من التبريرات والذرائع غير المستساغة، فهو تخاذل ونكوص.

نجد أنفسنا أمام مصطلح جديد شخّصه سماحة السيد الصافي تحت باب «مقاييس العداء للشيطان» هذه المقاييس معبرة عن أخلاقيات وأساليب الانتفاء إلى الحق، إلى الرحمن (جلّ في علاه)، المقاييس هي المعيار الحقيقي بين القول والفعل، من يقول: أنا عدو الشيطان، المعيار هو العمل، المقياس في قضية الانتفاء هو الموقف الذي يمكن أن يصحح نقائصنا ونقائص المجتمع، الموقف الحسن يمنح الإنسان القدرة على تدارك الأخطاء، على العمل الذي يتحمل بوعيه مسؤولية الحفاظ على المروءة وحرمة الناس، الادعاء يحتاج إلى موقف يزيكه.

هناك قضية مهمة، هوية الموقف نفسه، بعضها ظاهرية، إذ يدعو بعضهم الله البراءة من الشيطان، وهم لا يعون حدود هذه البراءة فيكون الواقع العملي، هو المعيار الأسلم للانتفاء إلى سبيل الله، وهناك مرتكز مهم من مرتكزات «الجعل»: «اللهم اجعلنا»، الجعل ليس عملية مؤقتة مرتبطة

لوضع خاص أو بحالة معينة وإنما «اجعلنا» دوام الحال إلى أن تكون طبيعة، هي بغض الشيطان وتكوينه وبغض عوالمه، هذا «الجعل» غير المرتبط بزمان يجعلنا نرفض الفعل الآني والدائمي، مهما كانت نتائجه دنيوية أم أخروية، تميز أسلوب الخطاب بمستوى تحليل الجملة، وإظهار قيمة معنى القاعدة الفكرية في مفهوم «العاقبة» عاقبة النكوص لمن يتبع الشيطان وعاقبة الفوز لمن يتبع طريق الحق.

نجد في عاقبة النكوص واقعا نتنا، واقع نار وقبح وسراب وقطران وعذاب واهانة، وعاقبة الفوز نجد الجنان ورضى الله تبارك وتعالى، وفيها ما لذ وطاب.

هناك تفسير علم النفس الذي ينطوي على التفاعل الحاصل بين الطلب لمن يكون من نظم الأعداء والواقع بين الدعوى والوقائع الخارجية، المناعة التي يمتلكها الإنسان لخصانته من رفقة العدو وأتباعه، رغم محاولات الاستدراج، بمعنى هناك مقدرة نفسية أنشأها الإيمان بالله سبحانه لتحميه من غدر الشيطان تتحدى الحوافز النفسية التي يزرعها الشيطان كمحاولة للإطاحة به، ويتحدى الحوافز الأخرى ليصون نفسه.



نحن أمام عملية تبسيط المحتوى وتوظيف الدلالة ومعطيات جديدة ملحقمة بالجعل وهي مفردة «العزل»: «واعزلنا عن أعداء أوليائه»، هذا العزل سيعرفنا قيمة الموقف، هو وضوح الموقف، مراجعة النص لمعرفة الجانب النفسي في عملية اتخاذ الموقف.

هل كان هناك وضوح في الصورة؟ هل هناك إيمان بقيمة الموقف؟ هل هناك حالة عداة موجودة، يرتكز سماحة السيد على قراءة الواقع المعيش، فهو يحمل كثيرا من التجارب التي استوضحت المسألة، لكنها فقدت الجرأة على معنى الوضوح.





الإضاءة الحادية والأربعون
«جوهرة العلاقة مع الله»

تعدّ مدرسة الإمام علي بن الحسين زين العابدين السجاد عليه السلام من المدارس التي اعتمدت على تحليل الأمور النفسية لإظهار تواشج العلاقات النفسية من أجل تهذيب الحالات الانفعالية عند الإنسان. وفي أدعية الصحيفة السجادية، يلاحظ امكانية خلق التأثير المتميز في نفسية المتلقي وفكره، مرتكزات هذه الأدعية الايمانية تحوي الأدب والعقائد والأخلاق، وفضائل كثيرة تتصل بالأثر الشعوري المتفاعل من جوهر النفس الانسانية كالحذر والوقاية من السيئات والذنوب وتأمل في مساعي الدعاء والتي هي عبارة عن خطة نفسية توازر الإنسان لضمان فعل الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم، وهذا الأمر يجعلنا أمام حقيقة عقلية مدركة، معرفة العدو تعني معرفة الأساليب التي يتهجها الشيطان، امكانات تسليحه وأسلحته، أساليب عملها، والاصغاء الروحي لهذه المعاني يمنحنا لذة المتابعة الشعورية، الرغبة في تعلم مناطق القوة، القرآن الكريم يحذر من سوء العاقبة وسوء العاقبة تعني اتباع الشيطان، الدعاء بمضمونه الوجداني يعرفنا بإمكانية الشيطان، وهذه المعرفة هي أفضل السبل للحذر من الشيطان، امتلاك الدعاء لمقدرة استمالة قلب الإنسان الى الشعور بجوهر العلاقة بالله سبحانه وتعالى وإمكانية هذا التواشج

الوجداني، عبر حضور الخاطر الشعوري وإمكانية الطلب الواعي، التأمل ببعض المفردات تمنحنا التمعن في قراءة تلك المفاهيم «وأعدنا - وأجرنا - واسمع لنا - واعطنا - وصبرنا» أفعال أمر بصيغ الدعاء، الدعاء يلائم النفس ويحفز الخواطر، ويستنهض الهمم، سماحة السيد الصافي يرى أن استنهاض النفس تكون بعدة محاور:

المحور الأول: تمجيد الله سبحانه تعالى قبل بدء الطلب وعلان الحاجة، وهذا بحد ذاته أمر نفسي يدعم الصلوة، صلوة الإنسان مع ربه الكريم.

المحور الثاني: هو استفتاح الدعاء بالصلاة على محمد وآل محمد.

المحور الثالث: هو طلب الحاجة وفق الشرائط التي تذكر.

في هذه المحاور توجد مساحة تأملية قادرة على فهم التوافق النفسي العام رغم اختلاف مراتب القوة والضعف واختلاف الطباع، لكن تتوحد النفس البشرية عنده، ومن يتخلف عن هذا الدعاء غير معني بهذا الشمول، والاستعاذة تعني الركون الى الله تعالى والاطمئنان بما عنده، الأثر النفسي في الدعاء يظهر قوة الثقة بالله سبحانه تعالى، بقدرته، وبكرمه وهذه كلها دعائم نفسية، وألذ تلك الادعية ما يقرب الانسان الى الله سبحانه والى الناس، وهذا

الامر يجعل من غايات الدعاء أن يبعث عاطفة تجمع الإنسان بالناس دون التفكير بأي مغنم من مغنم المصلحة، يعزز الدعاء تلك العلاقة بالأسرة وبالأرحام وبالجيران والمحلة والسوق، لذلك تجد الدعاء بصيغة الجمع «أعدنا» محاولة إشراك الآخرين بالدعاء للناس، حثّ أئمتنا عليهم السلام على الدعاء للناس، ولأن من يدعو للناس عمل عملين صالحين، سيؤجر بمثل ما دعا، قدّم لنا سماحة السيد أحمد الصافي فقرة بعنوان بارز «الاهتمام بالآخرين مشروع اخروي» يرى اننا نحتاج الى أن نصاغ صياغة جديدة وفق تربية أهل البيت عليهم السلام، العملية ليست صعبة أو عسيرة لكن الأمر يحتاج الى ارادة حرة، والمقصود معنى مفردة صياغة، كيفية رؤية الآخرين، وفق تربية أهل البيت عليهم السلام، الشعور بأن الإنسان ليس وحده، مشاركة وجدانية تعدّ الدعاء بظهر الغيب جزءاً من الحسنات، فيرى الآخر مشروعاً الى الآخرة، عبر إصلاح الذات، وإصلاح العلاقة مع الآخر، وحفظ كرامته والإحسان اليه، نتحدث دائماً عن الآخرة والآخرة تتوقف على التعامل الانساني مع الغير، كثير من المحرمات تتعلق بالغير، الغيبة تتعلق بالغير، والاعتداء، والكذب يتعلق بالغير، والسرقه تتعلق بالغير، والاعتداء على اعراض الناس تتعلق بالغير، لماذا؟ لأن الغير

مشروع من مشاريع الإنسان الى الآخرة، الإخلاص للناس جزء من الاخلاص للعقيدة، وهذا دليل على ان الايمان الحقيقي والصلاح الحقيقي يمد الجسور بين المؤمن والناس، ساحة السيد أحمد الصافي يوجهنا الى قضية مهمة، بأن عمل الخير للناس، والسعي لقضاء حاجة الناس واغاثة ملهوف، أفضل من العزلة، الوعي هو إدراك يجعل الإنسان جاداً في استيعاب الموقف الرهيب موقف القيامة، النتيجة الحقيقية لعملية البناء الروحي، تثير فينا العبرة لما ينتظرنا من العاقبة، لندرك أن لا أمان للشيطان فهو قاسم آدم وحواء حلف لهم « إِنِّي لَكُمَا لِمَنَ النَّاصِحِينَ »، والنتيجة اذا فهمنا هذا الذي حصل مع آدم وحواء، سنحصل على استقرار نفسي ومعنوي، والشيطان (لعنه الله) أقسم «لأغوينهم أجمعين» يقسم بالغواية، يبقى أمامنا مشروع أهل البيت عليهم السلام التربوي والذي يستلهم المواقف الفكرية عرضوا لنا مشروعاً تربوياً، هو التفكير قبل النوم حين يضع المسلم رأسه على المخدة يفكر بالأعمال التي عملها، ليدرك وقع الاساءة التي وجهها والاستهانة بالآخرين والتخلص من تبعات هذا الأمر، اهانة انسان قد يعجز عن أن يقتص من المعتدي لكن كيف الوقوف أمام الله سبحانه ويسجل عنده كل شيء والله سبحانه لا يمزح وله موازين



غير التي نتعامل بها، والاستعاذة بالله تعني الاستمالة الى قوة الله في محاولة عدو يحاول اصطيانا.

من ضمن الدروس التربوية المتصلة بالمضمون الانساني ومشاركة الناس بالدعاء يورث الإنسان ثقة بالنفس وستغير كثيراً من القضايا النفسية والشعورية، الإمام السجاد عليه السلام أحب الناس ودعا بالنيابة عنهم، ومن حق المؤمن على أخيه المؤمن أن يكثر له الدعاء ومن أجمل ما تعارف عليه في الإسلام جملة «اسألك الدعاء»، ومن واجب الإنسان أن يستجيب لهذا الدعاء ويسأل الله حسن الاستجابة وقبول الدعاء.





الإضاءة الثانية والأربعون
«المنهج الشطاني»

الحكمة في دراسة الصحيفة السجادية المباركة كونها تحمل النظرة الكلية للإيمان من خلال بناء العلاقة السليمة لإصلاح الذات والمجتمع، والذي يركز على تحصين تلك الذات من الإغواء، عبر كثير من المكونات الأساسية في التفكير والإيمان بالله سبحانه تعالى، هو المولد الفاعل لفكرة المواجهة مع مرتكزات السلب بأي هيئة كانت، التحصين الذي ينبثق من معرفة حقيقة الوجود التي تصل بنا للعديد من الحقائق منها:

أولاً: عدم السماح بعقد اتفاق هدنة أو صداقة، مع الشيطان لاختلاف سبيل المنهجية لكل التزام.

ثانياً: إدراك سعة المنهج الشيطاني بما يمتلك من مناحٍ متنوعة ومتعددة مع إمكانية اقتحام حياتنا.

ثالثاً: من النتائج الخطيرة التي يسببها الشيطان باختراقه ذواتنا وهو المسلح بالخبرات الشريرة القادرة على إعاقة كفاءة الإنسان للمجاهدة وإرباك عقلية الإنسان.

رابعاً: وجود فعل التحصين يمنح الإنسان قيم الانتماء الحقيقي للوجود الإلهي المبارك، يعينه على الاستعانة بالله سبحانه تعالى وإدامة اليقظة والحيطه والحذر وتهيئة الروح لمراجعة النفس بين

الحين والآخر ليتأكد من متانة العازل بينه وبين قوى الشر خشية حدوث أي شرخ ليلجأ إلى الصيانة.

خامسا: السؤال الاستفهامي هو وسيلة من وسائل المعرفة وصولاً إلى اليقين، من اليقين إبعاد التيه عن الإنسان، الضياع يأتي من عدة طرق ومنها الجهل والوهم والصلف والغرور، الأسئلة تعزز قوة البناء النفسي، وتقوي المعنى الكامن بإنسانية الإنسان.

هل استطاع الشيطان أن ينفذ من خلال نقاط ضعفي أم لا؟
هل حاولنا أن نقوي نقاط الضعف وندعم نقاط القوة بالاستعانة بالله سبحانه تعالى، هل ندرك أن التربية الصالحة معين عذب، وقوة تزود الإنسان بالعلم والمعرفة والايان، هل تمسكنا بالدعاء؟ والدعاء أهم حائط من حيطان الصد.

سادسا: موازين الإجابة، يتميز الفكر الإيجابي بتزكية السؤال، وتنزيه أهل الدعاء من الشوائب الدنيئة كشرط من شروط الاستجابة عند الله سبحانه تعالى، حقيقة الدعاء أن يكون من ابن حلال، خبزة حلال لا ترتبط بمصدر حرام، ومن أجل ترسيخ أخلاق الدعاء علينا كما وضح سماحة السيد أحمد الصافي «دام عزه» الانتباه على الأمور



المهمة:

١ - التهيئة:

من الأمور الفكرية الداعية إلى توقيف مشروع الدعاء العامر بين العبد وربّه، أي أن يهيئ الإنسان اللقاء بالله تعالى، الدعاء خطاب الله، وعندما يكون الخطاب مع رب العزة يحتاج الإنسان أن يكون متهيئاً حتى يسمع الرب الدعاء.

٢ - استيعاب المعنى:

قراءة الجملة في أدعية المصابيح تحتاج إلى استيعاب المعنى مثلاً: عندما نقرأ في بعض الأدعية «اللهم إني أعوذ بك من دعاء لا يسمع» هذا يدل على وجود أدعية غير مجابة يهملها الله سبحانه تعالى لا يمكن أن يسهو عن دعاء، وهذا يعني أن الإهمال الإلهي لبعض الأدعية إهمال قصدي، لا بد أن يكون الإنسان في الدعاء عند خطابه مع الله بكامل إنسانيته ووجدانه وفكره وروحه، وأن لا ينشغل بأمور الحياة وينسى مشروع الخطاب.

٣ - الحضور القلبي:

الله لا يتقبل دعاء ألسنة عبثت بمصائر الناس ثم نتجه إلى الله دون قلب وفكر وما هي إلا لقلقة لسان والذهن منشغل بأمور لا تنتمي



لمشروع الدعاء، كلمات مجرد كلمات تقال، والدعاء في حقيقة الأمر قضية وجدانية مع الله لا بد أن تكون في قمة الصفاء.

سابعاً: يشتغل سماحة السيد أحمد الصافي على العمق المعنوي للمفردة، لا يجعلنا نمر من عندها دون أن نعرف المعرفة اليقينية، ما يدور في ذهن هذه المفردة «واسمع لنا ما دعونا به» فما معنى اسمع فعل أمر بصيغة الدعاء، هل يعني أن الله لا يسمع بعض الدعاء، نركز أولاً على معنى (اسمع) التي تعني (استجب) الذي دعونا به، هذا توجيه آخر لمقصد الاستجابة أن لا يحتجب الدعاء، ارتقاء معرفي يدلنا الى معنى (أن الله لا يحتجب عن عباده) فيكون المعنى الأرشد هو أننا نحن من يحتجب عن الله سبحانه لكن لا تحجب الدعوة بل هي تحتاج إلى النوايا الخالصة لله، وبقلب مقبل لا يرتضي أن يشارك الشيطان خطابه ويدخل بينه وبين الله سبحانه تعالى، بعزته وجلاله، وعدم الغفلة وانشغال الفكر بأمور تترك مسار الدعاء، والفتنة تعرف تنقية المسار بقدسية الخشوع لله سبحانه.

والإمام عليه السلام يعرف حقيقة المعرفة التأملية، الله سبحانه وتعالى يدعو إلى سعة الرحمة لتجاوز الغفلة عند الإنسان، وهذه حقيقة الإسلام، حكمة الدين، وجزء من عقيدة الانتفاء.

سماحة السيد أحمد الصافي يدلنا على عمق الاستدلال الفكري لسعة رحمته، الإمام (سلام الله عليه) يؤدبنا بأداب المثول بين يدي الله، يشذب لنا بعض السلوك النفسي كجوهر إدراكي بمعنى:

أ- الاطمئنان النفسي: إن الله سبحانه سريع الإجابة حتى وإن غفلنا أو نسينا الإجابة الإلهية موجودة، وبمعنى توقير نعمة الدعاء ليكون بمنزلة العبادة.

ب- وجود الدرجات: للمصلحين، ومراتب للمؤمنين، والتفاوت الذي يحدث في آليات السؤال، يجعلنا أمام تفاوت في الذهن، وفي استعمال العقل، والعبادة، وينتج تفاوتاً في مقامات الرجل الصالح، وحقيقة الصلاح.

ثامناً: الارتقاء بالإيمان، الأسس المنطقية للارتقاء تسهم في بلورة مميزات أصل الدعاء، لو تكشف عن بعض البؤر الفكرية.

الارتقاء الأول: أن يكون الرجاء بالله تعالى غير محدود، هذه أولى مراحل الإيمان، وما تعززته التربية عند الإنسان من وعي، وأن يعمل الإنسان ويرجو من الله سبحانه، لا يمكن للمؤمن أن يحدد رجاء الله تعالى، الإيمان اعتقاد بعظمة الله تعالى وسعة رحمته «وسعت كل شيء».

الارتقاء الثاني: لفظة الإيمان أو المؤمن تشعر الإنسان

بالطمأنينة، المعنى الجميل يسري في اللفظ يزيد إيماننا،
والمؤمن هو الذي يصدق قوله عمله.

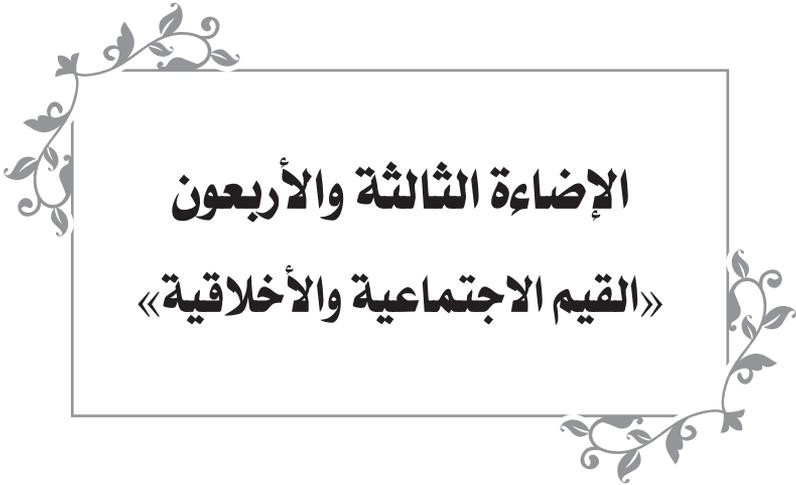
الارتقاء الثالث: يلخص سماحة السيد أحمد الصافي هذا المرتقى
بوجوب تهذيب النفس أولاً، الإنسان عندما يأمر الناس بالبر لا بد
أن يكون قد أمر نفسه بالبر أولاً.

الارتقاء الرابع: في إحدى مناجاة النبي موسى عليه السلام لربه
سبحانه قال:

- حاجتي أن تكف ألسنَ الناس عني، قال سبحانه تعالى: تلك
خصلة لم أتخذها لنفسي، ولأن الله سبحانه تعالى لم يسلم من الناس،
على المؤمن أن يصبر ويتحمل ولا يخرج عن إيمانه .

الارتقاء الخامس: الحسين عليه السلام يدعو عبيد الله بن الحر الجعفي، أن
يكون رفيق الحسين عليه السلام في الجنة، ليكون من الأصحاب الذين يقول
عنهم سيد الشهداء: «إني لم أر أصحاباً كأصحابي» لكنه لعدم رعاية
الدين والحفاظ عليه خسر، فر ولم يستجب له، علينا نحن الانتباه
والحرص على أنفسنا كي لا يأخذ الشيطان أكثر مما أخذ.





الإضاءة الثالثة والأربعون
«القيم الاجتماعية والأخلاقية»

«دراسة القيم الاجتماعية والأخلاقية في دعاء مكارم الأخلاق»
 احتلت القيم مكانا واسعا في مذهب أهل البيت عليهم السلام، مذهب إلهي إنساني يرتكز على الخير والأخلاق، وأعد سماحة السيد أحمد الصافي تلك الأدعية منهلا من المناهل المعرفية.
 وقفة متأملة متفكرة عبر المفهوم الحياتي في المعاش اليومي «مسألة الرزق» في آفاق المستورد المعرفي اليوم، ظاهرة ربط القيم الاخلاقية بالشعب وبحالات الترف، بمعنى أن هناك توجهاً للعامل الغريزي في حياة الإنسان، الإمام عليه السلام ركز على الحصانة الأخلاقية وتحصين المعاش، أعد الإسلام الحنيف لهذا التحصين مجموعة من الضوابط، والحفاظ على حدود تلك الضوابط بين الجواز والعدم.
 ولد «فقه المعاملات» ليعبد المجتمع عن متاهات الفوضى.
 تكفلت الرسائل العملية رسم الحدود الفقهية في العبادات أوفي المعاملات، وهي من أحكام القيم والأخلاق، وقاعدة من قواعد العلم تسعى لخلق القيم، وترسيخ المعايير الأخلاقية يعتبرها سماحة السيد الصافي :
 «أولا» دستوراً مصغراً للمعالجة بعض المشاكل التي يمر بها الفرد.

«ثانيا» حلولا وقائية قبل أن تقع المشكلة.
 «ثالثا» يجب ألا يخلو أي بيت وأي مكان من أمورنا الحياتية من الرسالة العلمية للفقيه الذي ترجع إليه في التقليد.
 «رابعا» الرسالة العملية قضية ضرورية، وللبحث عن أسباب تلك الضرورة، نجدتها تتعلق في سلوكية التفاعل مع ذلك الدستور، بمعنى التلاؤم البصير كون الرسالة العملية ليست كتاب قصة.

ينظر سماحة السيد أحمد الصافي «دام عزه» إلى قضية تكييف النشئ مع القرآن الكريم والرسالة العملية، وخلق الوعي في التفاعل مع علمية تطبيق الرسالة العملية.

ويرى علماء الاجتماع أن القيم الأخلاقية تنشأ نتيجة المواقف التي يقفها الإنسان من المستقبل، الخير عندهم تخلص الإنسان من ورطته وإنقاذه من موقف مريبك، وسماحة السيد الصافي ينظر إلى وجود جانب مهم وهو الجانب الأخلاقي والتربوي من قضية الأرزاق، ومعالجة الأمور نفسيا، يقول النبي ﷺ «حب الدنيا رأس كل خطيئة» هذه القاعدة تكشف لنا أموراً كثيرة، فكثير من الأفعال هي في ظاهرها من الحلال، لكن



حَسْبُكَ إِضَاءَةٌ كَمَا لِلصَّابِحِ

عندما ينساق الإنسان معها توجد مساحات فيها حب الدنيا، سيأخذ المال حيزا كبيرا في مسألة التقييم، هذا التشخيص المهم يجعلنا نؤمن أن العقل أداة الرقي في الحياة، والقناعة برزق الله هو وعي يبعد الإنسان عن سوء الظن بالله تعالى.

وهذا يصل ساحة السيد الصافي إلى قضية مهمة تربك النشاط الفكري التنظيري فهو يرى أن مسألة الرزق وتحصيل المال، تجعل الإنسان قلقا يحمل الهلع وعدم الاستقرار والرسالة العملية تحدد كيف يكون هذا الفعل، وأعطانا مثلا بين الربا والمضاربة ليكون فارق الفهم حدا بين الجنة والنار، ومن طريف البحث أنه يأخذنا إلى ما وراء السطور، دغدغة مشاعر وتنبئها إلى أشياء أخرى .

الأئمة الأطهار عليهم السلام هم مقام النصح لوجود الحكمة، معناها من يسعى لطلب الرزق كأنه جاهد مع رسول الله صلى الله عليه وآله، هذا الأمر يحفز الدور التربوي لاستجابة مفهوم الرزق عند الناس، فهناك مواطن تحصيل الرزق بغير الاكتساب، البخل حالة من حالات عشق المال، يمنع المعروف، وبهذا يهمل الجانب التربوي ونفقد إنسانيته، وتحدث مشاكل أسرية قد يكون



البخل هو السبب.

يرى ان البخل لا يتعارض مع بعض المسائل الشرعية لكن يفتح أبوابا كثيرة لمشاكل أخرى، الأئمة عليهم السلام يقدمون النصيحة بعنوان الدعاء وخاصة عند الإمام السجاد ومسايعها الاجتماعية، لخلق روابط أسرية جيدة، وتنمي المودة والالفة، وذكر عليهم السلام كثيراً من المعالجات الاجتماعية بصيغة الدعاء، يرى علماء الاجتماع أن التربية هي عملية تطبيع اجتماعي، الإنسان ابن المجتمع والنظام التربوي يرتبط بالنظم الاجتماعية بعلاقة التأثير، والأئمة عليهم السلام يمتلكون مقومات التأثير بالمجتمع، بين السعي للرزق والتخلي عن الماديات السقيمة.

القضية التربوية تحتاج إلى ترويض وتمرين، ولا تحتاج إلى الموعدة السهلة العابرة التي تفقد فعلها التأثيري، إلا أن يتعامل معها تعاملًا حسيًا.

يرى سماحة السيد الصافي هناك مجموعة من المواعظ والنصائح ومجموعة من الأمور التي تحصن الإنسان كي لا يقع في أحضان الحرام، لأن الحرام يعيق الإصلاح، ويعيق العلاقات الاجتماعية ويسبب خلخلة بالعلاقات الإنسانية في المجتمع.

الأدعية المباركة تعالج الأساليب التربوية التي مهمتها معالجة المشاكل، عندما تتمحور مجموعة من المشاكل، ستجد هناك مشكلة رئيسة البخل فيها عامل مشترك بين جميع المشاكل. وبطبيعة الأمر أن تشخيص الإمام المعصوم أكبر من قدراتنا لتشخيص المشاكل، هناك كثير ممن يريد أن يعيق حركة الإصلاح الاجتماعي لأن الإصلاح يحرمهم من العبث بقدرات الناس، وظيفتنا الأساسية في الحياة العبادية، الخطر يكمن في الذي يستلذ بالأموال التي ستكون وبالاعليه، وندعو الله تعالى أن لا يخرجنا من الدنيا حتى يرضى عنا.



الإضاعة الرابعة والأربعون
«توفير النية»

تمثل الصحيفة السجادية مشروعاً فكرياً إسلامياً لتأسيس ثقافة الدعاء، مشروع مقاومة بكل ما تحمله من مفاهيم، تسعى لإعادة بناء الإنسان بعدما تعرض المجتمع لعملية فقدان الوعي وانحراف بالدين إلى قيم دنيوية، شخّص لنا كتاب المصايح لسماحة السيد أحمد الصافي «دام عزه» بعض الأمور المهمة، التي لا بد أن تستثمر لصالح الوعي والإصلاح، وعرف لنا وظيفة أهل العلم، تكمن وظيفتهم في معنيين «الأول» تربية النفس، قول نسب إلى أمير المؤمنين (عليه السلام): «أن تربي النفس أولى بالتبجيل من أن تربي الناس».

والمعنى الثاني، أن الله سبحانه أخذ عهداً، وأهل العلم تعاهدوا على أن يزكوا العلم، لو تأملنا في المعنيين ما بين تربية النفس وزكاة العلم، لوجدنا المعنى الحقيقي لاهتمام العالم بالصحيفة السجادية، وما أثارته من فكر خلاق عبر الأجيال بما تمتلك من خطاب فكري إنساني يوائم الطبيعة الإنسانية، من أولى مهامه تهذيب النفس الذي هو كمال الإنسان العاقل الباحث عن الكمال، والذي لا يتحقق إلا من خلال التمسك بعلم أهل البيت (عليهم السلام).

اشتغل سماحة السيد أحمد الصافي على بنية الدعاء في الصحيفة السجادية، بالبحث في عمق المعنى، وقدم قراءة تحليلية في موضوع

العلاقة بين العلم والعمل، يصل بنا إلى معنى خطاب المعصوم عليه السلام.

«١» كل كلمات الأئمة عليهم السلام من منبع واحد.

«٢» تمتاز بدقة التشخيص وبعظم الهدف، الذي يسعى من أجله

الداعي ويحققه من خلال وقوفه بين يدي الله سبحانه.

«٣» فهم كلمات الأئمة لغاية الاستيعاب الشمولي العام.

التأمل في معانيها ومحتواها استثماراً لاحتواء علم أهل البيت عليهم السلام

وخلق عوالم التأثير الروحي.

«٤» مرحلة العمل، لا بد أن نعلم ثم نعمل.

هناك كثير من المجسات المعرفية لبناء قوة المعنى، سماحة السيد

الصافي يرى أن الجهل ليس عيباً في الإنسان لكن العيب الاستكانة

إلى الجهل والبقاء فيه، لأن الجهل يفقدنا معنى الدنيا، وكذلك يفقدنا

النعيم في الآخرة، ومن العار أن نذهب إلى غير الجنة، ونجد من كان

يغرينا يتبرأ منا، الشهوات، الأنفس، الشياطين، كلها تتبرأ منا ولا

ينفع الندم، قوة المعنى الإنساني في قوة البصيرة المدركة لوجود الله

سبحانه، وجود الموعدة لتحرير الإنسان من الفساد ومن الانحطاط

ومن فقدان الإنسان لمعناه.

الإيمان بأن الأجل مصير، الإيمان بالقاعدة وهذا الإيمان هو قمة

الوعي والفهم، القاعدة تقول كل شيء هالك، كل شيء يفنى إلا الله تبارك وتعالى، هذا التبصير في عوالم الغيب هو اليقظة، معالجة التحصين الروحي لإدراك حقيقة وجودنا «الله تعالى خلقنا أوجدنا في هذا الزمن كلفنا وهو الذي يحاسبنا» هذه القاعدة هي هوية الإنسانية، المفهوم واضح ولا لبس فيه لا بد أن تكون لكل مراجعة ولحظة تأمل، شوق لله تبارك وتعالى وللعالم النقي.

ونحتاج إلى شفاة عمل دؤوب، تحت قيادة روحية، تأخذنا إلى المعالم الحقيقية، ولهذا نحتاج وجود الأئمة عليهم السلام، ونحتاج الصحيفة السجادية لرسم المنهج الحي، مكارم الأخلاق.

كثير من الأشياء المهمة في حياتنا الفكرية تمر دون أن تستوقفنا تحت عنوان «مفتاح الإجابة»، دراسة معنى المفتاح، نجد فيها روح الوعظ الهادئة التي لا تحتاج إلى النغمة الخطابية، ولا للأوامر والنواهي المباشرة، وإنما استخدام الشعوب توسيع أفق الفهم وتحريك الفكر. أعطى سماحة السيد الصافي لوجود رباعية جوهرية في دعاء مكارم الاخلاق، مبنية على أفعال أمرية بصيغة الدعاء «صلِّ / بلغ / اجعل / انتهِ».

١. «اللهم صلِّ على محمد وآل محمد»:

هناك حديث للإمام (عليه السلام) والأئمة المعصومين ومعناه «ليس من المحبب أن يفاجئ الإنسان ربه بمسألة وإنما لا بد أن يقدم مقدمة، والمقدمة هي الصلاة على محمد وآل محمد».

وبين الإمام (عليه السلام): «إذا كانت لك إلى الله حاجة فابتدئ بالصلاة على النبي وآله»، وبين أهمية هذا المفتاح «فان الله سبحانه تعالى أكرم من أن يُسأل حاجتين فيقضي إحداهما ويمنع الأخرى، باعتبار أن الصلاة على محمد وآل محمد هو دعاء وحاجة «طلب الحاجة» هذه عملية تربوية نحتاجها لاستجابة الدعاء والتقرب إلى الله تعالى.

٢- «وبلغ بإيماني أكمل الإيمان»:

التركيز على القوى الفاعلة في حيثيات الدعاء تمنحنا الفكرة التي أطلق عليها سماحة السيد الصافي سمة «النكته»، إن الله سبحانه تعالى له يد في تصرفاتنا ويطلب الإمام من الله سبحانه، أن يوصل إيمانه إلى أكمل الإيمان.

٣- «واجعل يقيني أفضل اليقين»:

هذا التشخيص يقربنا لمفهوم الإيمان مراتب، والطلب أن يبلغه حالة الإيمان الكاملة، والوصول إلى التكامل مرتبة عالية، لا يرى شيئاً إلا الله تعالى، وهذا هو اليقين الذي عبر عنه الإمام علي (عليه السلام) «لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا».

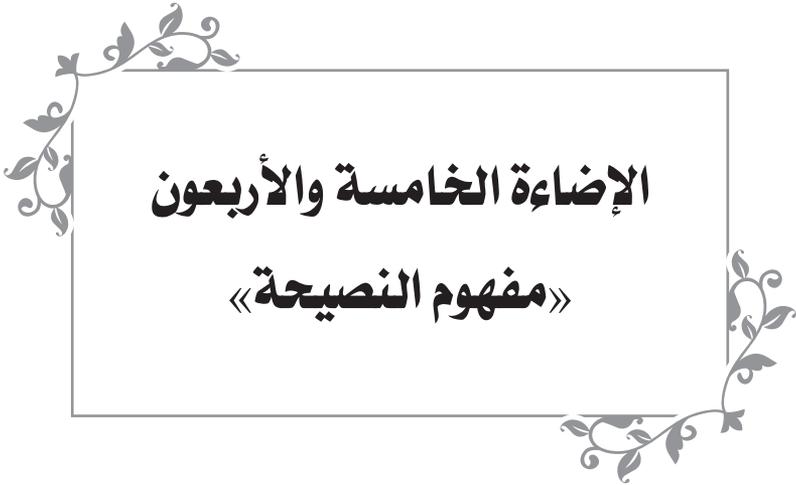
الإيمان الكامل يرسخ عقيدة الإنسان، ومراتب الإيمان تحتاج إلى جهد وبصيرة وتعب وأن يلح على الله تعالى في تحصيله، نعود إلى مفهوم الرباعية هي حقيقة تدعم فاعلية الدعاء وتقوي القناعة للتوجه الحياتي نحو أهمية الدعاء.

٤- «وانته بنيتي إلى أحسن النيات وبعملي إلى أحسن الأعمال»:

نجد أن هذا البحث عمل لاكتشاف البنى العميقة، مستندا على قراءة المعنى معرفيا.

التركيز على المبنى الروحي، فكثير من النيات جمع «نية» تبدأ لله تعالى وتنتهي لغير الله سبحانه، من أجمل الأشياء أن تبقى نية الإنسان خالصة لوجه الله سبحانه تعالى.

يطلب الإمام السجاد عليه السلام من الله تعالى أن يكون عمله أحسن الأعمال، إذا اجتمعت النية والعمل ومن قبله إيمان كامل يبقى الإنسان على هذه الحال العمر كله، قراءة واعية لإرث الامام السجاد عليه السلام.



الإضاءة الخامسة والأربعون
«مفهوم النصيحة»



حَسَنُ إِضَاءَةِ كِتَابِ الْمَصَائِحِ

يتنامى أدب الدعاء في كل زمان، وتتجدد قراءة الصحيفة السجادية لتكون علما ومعرفة في المجالات الحياتية كافة وقيما تربوية تهدف للارتقاء الإنساني، وكتاب المصايح لسماحة السيد أحمد الصافي «دام عزه» ركز في الجزء المخصص لإصلاح النفس على بنية المعطى التربوي لمنهج أهل البيت عليهم السلام، والتزود بالطاقة المعرفية، لتحقيق التوازن الإدراكي، عبر مفهوم النصيحة، ولكي نفهم قيمتها التربوية علينا أن نتأمل في تشكيل الارتباط الإنساني بالله سبحانه تعالى، حيث عرض لنا في المقدمة أربعة أفعال أمرية بصيغة الدعاء: «وفر - صحح - استصلح - اكفني»، ثم الحق بها الطلب:

«وفر - بلطفك - نيتي،

صحح - بما عندك - يقيني،

استصلح - بقدرتك - ما فسد مني،

أكفني - ما يشغلني»

وهذه المقدمة توضح لنا قوة الخالق وضعف المخلوق، وتبين لنا مساحة الدعاء ومؤثراتها الإنسانية، ننظر إلى دقة الأثر بما يهدف إلى توفير وتصحيح واستصلاح واكتفاء، وهذا



يدل على أبعاد أخرى تلج العمق المعنوي للقضية، إن الإنسان يسعى لطلب المعونة من الله سبحانه ليؤدي التكاليف المفروضة باستقامة، فهو يبحث عن سلامة النية والتي لا تكتمل إلا بلطف الله تعالى، واليقين الذي لا يكتمل إلا بتصحيح ما عند الله من حق وعلم وقيم الثبات ليقوي بها يقينه، ويستصلح ما فسد منه بقدرة الله سبحانه والاكتفاء بفيض رحمته.

ويذهب سماحة السيد أحمد الصافي إلى أبعاد أكثر غورا في النفس، ليضعنا أمام مجموعة تكاليف تمس صفاء النوايا، وعمق اليقين الإنساني والإصلاح بجميع نواحيه ومعانيه والاشتغال الفكري بالإيمان به ووسع رحمته، ومن هذه العوالم سيكون التفاوت في الاستجابة، ويظهر قيم الفكر بأن الله سبحانه وهو المدرك، لا نريد أن نبقى في النهج التفسيري لظواهر الجمل بل نريد أن نلج العمق المضموني المعد على عدد من الرؤى المهمة.

١- رؤية الله سبحانه تعالى في أدق تفاصيل الحياة.

٢- الخوف من الله تعالى قبل الخوف من أحد.

٣- استحضر الله تبارك وتعالى في كل خطوة.



- ٤- أن نكون ممن يأمر بالمعروف ويفعله، ولا يفعل غيره.
٥- ونوصي بالتقوى وفعل كل ماله تقاوة ونقاوة وصلة برحمة الله تعالى.

ويشكل البعد الإنساني محورا رئيساً وأساساً للاتجاه الوجداني في أدب الدعاء، والارتكاز على «النصيحة» بما تمتلك من قدرات وجدانية تبعث على الوعي والتغيير والتألق بإنسانية الجوهر الإيماني، لتحقيق السمو السلوكي والأخلاقي للوصول إلى أعلى مراتب الالتزام.

«النصيحة الأولى»:

يرى سماحة السيد أحمد الصافي في مصابيح، علينا ونحن نقرأ تلك الأدعية ونستمع لها أن نستحضر الإمام عليه السلام وكأنه هو الذي يقرأ لنا الدعاء بروحه وبحرقة العصمة التي تتوقد فيه، ستكون القضية أعمق وذات بعد نفسي ومعنوي، ووجه من أوجه النشاط التأثيري الذي له أبلغ التأثير وواقع الأثر في النفس، وهذا الفعل المؤثر يبين مدى جدية بعث التصورات النفسية لتكون المحصلة فكرية، والاعتماد على الواقع الذهني، وتصور حضور الإمام يزيدنا قوة ارتباطنا بالله سبحانه تعالى، وهذا ما نحتاجه.



«النصيحة الثانية»:

الأثر التربوي لدعاء مكارم الأخلاق يجسد لنا فاعلية مكانة الإمام عليه السلام، كونه من الأدعية المهمة التي أوصى بها أئمة أهل البيت «عليهم سلام الله»، وعلما الشيعة (رضوان الله عليهم)، وطلبوا التأمل فيه، وقراءة محتواه والعمل بمعانيه. استطاع الإمام السجاد عليه السلام، أن يصل إلى جميع مفاصل الحياة سواء أكانت فردية أم اجتماعية وأن يأخذ بيدنا إلى الحق ويوضح لنا ما خفي عنا ويبين لنا معالم الطريق من خلال هذه المجموعة النفيسة من الأدعية.

«النصيحة الثالثة»:

إن التربية في المنهج التربوي لأهل البيت عليهم السلام، تؤسس العديد من المفاهيم التربوية الراسخة في المجتمع، من خلال بث روح الوعي، كلما ازداد الإنسان علما حسن دعاؤه، وحسن الدعاء يتطلب من الإنسان أن يعرف خباياه النفسية ويعرف قبل كل هذا المديات الواسعة لرحمة الله تعالى، ويدرك أبعاد احتياجه ليكون الطلب أمام مواءمة الإعانة.

هناك نقطتان مهمتان لطلب الإعانة من الله سبحانه تعالى، وهما:

الأولى: للأمور الدنيوية أهدافها ومتطلباتها وتسهيل الأمور الحياتية.

الثانية: الإعانة على بلوغ الآخرة، وتوجيه الاهتمام إلى ما يتصل بالجوانب الروحية.

الإمام عليه السلام يركز على مسائل قد تخفى علينا، هذا جانب تربوي مهم معرفة قدرة الوعي المحدد عند الإنسان تجعله لا يستطيع احتواء جميع الأمور ورؤيتها بوضوح، لذلك تعطينا كثيراً من القيم غير المدركة؛ لأن قدرة الإنسان على الفهم تتفاوت من إنسان إلى آخر، من وعي لوعي آخر، وهذه الأمور التي تفوتنا بالتأكيد هي لا تخفى على الله سبحانه، وهذا هو جوهر النصيحة، أن يطلب من الله تبارك وتعالى أن يتدارك هذه المسائل.

هناك قضايا حسية وجدانية، ونعني مقدرة الله سلطة على أن يوفر لنا نيتنا إلى خير، ليستقيم العمل النافع والذي هو قربة لله تعالى، لإدامة الركائز النفسية التي تدعم قوة الإيمان عنده، ليكون الوعي منتجاً للصلاح ودافعاً مؤثراً نابعا من الإحساس الإنساني، واستقامة الأطر المعرفية لتحصين الذات ضد الأهواء

الشيطنية الساعية لصرف الناس عن النوايا وجعلها منفلة غير مرتبطة بأصل العمل.

«النصيحة الرابعة»:

كل فلسفات العالم لا تنفع الإنسان وكل النظريات والمفاهيم لا يمكن أن تنقذ الإنسان من سوء المصير دون وجود الإخلاص، لا فكر إيجابي دون الإخلاص، لا عمل مثابر دون الإخلاص، لا صلاح دون الإخلاص، ويؤكد سماحة السيد هذا التوقيع، بأن الذي ينجو من العاملين هو المخلص، وهو يحتاج إلى أن يتداركه الله سبحانه تعالى.

«النصيحة الخامسة»:

هناك تصور عقلي ينمي الشخصية الإنسانية، وهذا التصور هو منبع الإيمان، وإذا جفَّ هذا المنبع اختلفت النوايا، أساس هذا التصور أن يكون العمل قربة لله تعالى فعلا وليس قولاً، بعضهم يرى أن فضل العمل الصالح بثناء المجتمع وهذا مرتكز من مرتكزات الإحباط.

يجب عمله بنفسه، العمل الخالص لا يحتاج إلى فرجة لنوال الاستحسان والثناء من الآخرين.

«النصيحة السادسة»:

العقيدة السليمة للعلم والمعرفة حسنة تعرفنا بالحضور الالهي، عبر الفارق الملحوظ بين قبول الله تعالى العمل وبين الرغبة الشخصية في أن يقبل الله تعالى عمله، لكون موازين القبول الإلهي والتقييم الرباني الخاص قد لا يشكل في أعين الناس قبولاً كما يناله عند الله سبحانه تعالى، الإمام السجاد عليه السلام يريد إن يؤسس لشيء تُقبل فيه الأعمال، وتجعل المنة لله سبحانه تعالى، والاستعانة بالله تعالى أن يتم النية، حتى اليقين يحتاج الى يقين.

«النصيحة السابعة»:

من الممكن اعتبار الوعي هو فكرة استثمار الجمال والمنفعة الروحية ليكون هذا الوعي فاعلاً، وحاسماً في اختيار الزمن المناسب واستثمار الوقت المناسب ومنها وقت المناسب للدعاء، وأن ندعو بدعاء يُعيننا في الدنيا والآخرة.



الإضاءة السادسة والأربعون
«استثمار الوقت بالدعاء»

يمكن قراءة المنجز من عدة أوجه منها اللغوي والدلالي والنفسي والاجتماعي، باستعمالها عن طريق التأثير والتأثر لتحقيق التواصل وكشف مدى قابليته على التأثير في المتلقي.

قدم لنا سماحة السيد أحمد الصافي «دام عزه» طريقة وأسلوب الإمام علي السجاد عليه السلام في استثمار الوقت بالدعاء، والدعاء هو توجه روعي إلى الله سبحانه وتعالى، ندعو الله أن يقينا بالدنيا والآخرة، والدعاء له القدرة على التوهج الروحي الذي يخلق السعادة، ويستنتق شواهد ودلالاته وتتفاوت النظرة إلى الدلالات باختلاف الوعي، وكل واحد له غايته، منهم من يدعو لشيء والآخر يدعو لشيء مختلف وربما يكون نقيضه، هذا قصور في الفهم، وقد نخون السياقات بقراءة تخل بالمعنى المطلوب.

المؤمن يحتاج إلى التركيز في اختيار كلماته؛ لتدل على المراد القصدي، أي بمعنى معرفة مواطن التوفيق، يقتضي التأمل في قول الإمام السجاد عليه السلام «واستصلح بقدرتك ما فسد مني»، المضمون إن الصفاء من النفس والاصلاح من الله سبحانه وتعالى، ونفهم أيضاً إن عملية إصلاح النفس مهمة جداً، وهذا المعنى يجعلنا نبحث عن مواطن التوفيق:

أولاً: أن نتدارك النفس قبل فوات الأوان.

ثانياً: أن يكون للإنسان من نفسه واعظ.

ثالثاً: العمل المقبول، وهذا المعنى له مديات واسعة من حيث الإدراك والتأمل في معنى القبول ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ «المائدة/ ٢٧»، والتقوى من أهم المفاهيم الأخلاقية، والدينية في الإسلام ومعناه وقاية النفس من عصيان الله تعالى ونواهيها وما يمنع رضاه، وقد سئل الإمام جعفر الصادق عليه السلام في تفسير التقوى فقال: «أن لا يفقدك الله حيث أمرك ولا يراك حيث نهاك»، السعي المتواصل مع الناس هو إقامة صلة مع الفهم العام واختلاف قيم المتلقي يجعل بعض الأمور تحتاج إلى تبسيط المعنى، أو توضيح المقصد، ففي الإصلاح يرى سماحة السيد أحمد الصافي عدداً من المفاهيم:

المفهوم الأول: هو المفهوم الطلبي، الطلب من الله سبحانه تعالى أن يُصلح الفاسد.

المفهوم الثاني: إذا أصلح الإنسان نفسه كان نواة خير في إصلاح المجتمع.

المفهوم الثالث: لا يمكن للإنسان أن يُصلح المجتمع قبل أن يصلح نفسه.

المفهوم الرابع: الزلل الحقيقي حين يُنصب الفاسد من نفسه معلماً ومصلاًحاً للآخرين وهو عاجز عن إصلاح نفسه، سيفسد المجتمع ولا يصلح نفسه، القضية تكمن في دلالة المعنى، سماحة السيد أحمد الصافي وجهها إلى عنوان مهم من سيرة الأنبياء «عليهم أفضل الصلوات»، ويرى إن هناك رعاية سماوية ولدت أشياء كثيرة ومنها صلاح الأنفس فهي صالحة خالية من الحسد، وهذا الصلاح أنتج اليقين فتكون الخطوات متيقنة، نحن أمام الصلاح وما ينتجه من يقين وما يمنح اليقين من الثقة العالية بالنفس الساعية إلى استصلاح ذاتها، لينطلق منها إلى إصلاح المجتمع، فكان النبي محمد ﷺ لا يأمر بشيء إلا وهو يفعله ولا ينهي عن شيء إلا وينتهي عنه، هكذا هي سيرة الصالحين الذين نقتدي بهم، وقضية الاقتداء من القضايا المهمة، والتي تعد من منطلقات البصيرة تعكس رؤيتها على المتلقي، ولا يمكن لأحد أن يأمر بالتوبة وهو غارق في الذنوب من دون توبة، وسؤال الإنسان نفسه هو سؤال حكمة الإصلاح، سؤال وعي ومعرفة ووجود يجعل الإنسان أمام تأريخ وجوده الإنساني، ما الذي فعله بينه وبين الله سبحانه تعالى في لحظات لا يعلم بها إلا الله ولا يراه أحد إلا الله تعالى يسأله: هل أصلحت نفسك؟ ومن

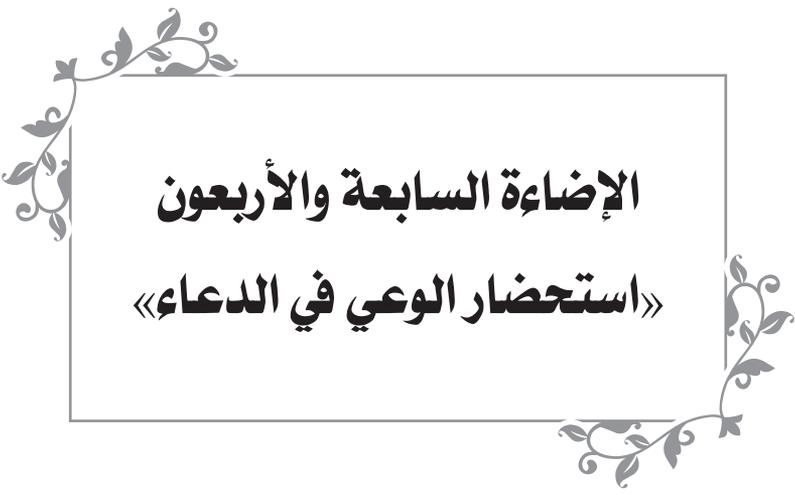
خلال هذا السؤال يبدأ البحث عن اليقين والاطمئنان معرفياً، هل يستطيع الإنسان في مثل هذا الوعي أن يقول نعم؟ «فإن الله عز وجل لا تخفى عليه خافية»، وإن قال لا فلم الانتظار، والموت على الابواب يطرقها، هل هناك أحد في الوجود يعرف متى الأجل؟ لماذا يسوف الإنسان ويراكم حوله السيئات فيسود قلبه حتى تنقلب الموازين فيرى المعروف منكراً ويرى الوضيع شريفاً والشريف وضيعاً موازين خاصة نشأت من عدم إصلاح الإنسان نفسه، إن ما يعطي العلم قيمته المثلى هو البحث الفكري المعنوي ليصل إلى فهم المعنى الكلي، يقول الإمام السجاد عليه السلام: «واستصلح بقدرتك»، تعد القراءة محركاً لفكرة، ونشاط ذهني يسعي لاحتواء المعنى.

سماحة السيد أحمد الصافي يرى أنها إشارة إلى أن الأمر ليس بالأمر الهين، ويوجهنا إلى حقيقة باذخة المعنى، ميدان الإنسان الأول هو المقدرة على النفس، ليكون الإنسان على غيرها أقدر، وإن عجز الإنسان عن هداية نفسه، أكيد سيكون على غيره أعجز، البحث أيضاً في سمة الإنسان المستنير بالهداية والسلوك القويم تبقى هذه السمة بحاجة أن يباهي الله بها الملائكة، يحملها الإنسان القويم محل الاطاعة مرتكزاً يقف



عند موارد الرضا، وينتهي عند موارد النهي، ويأتمر في مواطن الأمر ويقف عند موارد الشبهات، أما موضوع الابتلاء جعلنا نعيش معناه ونقف عند جملة: «وأكفني ما يشغلني الاهتمام به، واستعملني بما تسألني غداً عنه»، أن نجعل الاهتمام بالأشياء الضرورية التي من أجلها خلقنا، استنطق سماحة السيد أحمد الصافي «دام عزه» جميع الشواهد والدلالات ومواطن التوفيق، والاهتمام بمواضع الابتلاء كانت مجموعة كبيرة من السجناء في عهد الطغاة يتمثلون بقوله تعالى: ﴿السَّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾ «يوسف / ٣٣»، حالة يكتشف الإنسان بها نفسه أمام أربعة جدران يتوجه إلى الله تبارك ويطلب من الله سبحانه أن يتولى كل شيء.





الإضاءة السابعة والأربعون
«استحضار الوعي في الدعاء»

يفتح المعنى على العديد من الأساليب التعبيرية، منها ما يبحث في الفكر عبر صياغات ذهنية تفسيرية وتأويلية.

كم جيل مر على الصحيفة السجادية؟ فمن الطبيعي أن يكون لكل جيل قراءته، ولكل قراءة مستواها لتواءم مع الحاجة الاجتماعية النفسية والفنية.

سأحه السيد أحمد الصافي «دام عزه» في كتابه المصابيح، يعرف هذه الأدعية بأنها عبارة عن تربية روحية ونفسية، المجتمع المعاصر وإنسانه اليوم بحاجة إلى تلك التربية الروحية والفكرية، ولمدرسة أهل البيت عليهم السلام.

أفكار لها خصوصية التعامل مع الأدعية المباركة كونها انطلقت إلى الناس وإلى المجتمعات وإلى التاريخ وجدانيا، لتشد أو اصر المنهج التربوي الروحي مع الله سبحانه وتعالى.

نقرأ جملة «وصلت إلى أبعد ما يمكن أن تصل» بمعنى أن إمكانية الإنسان مهما كان إيمانه قويا لا يستطيع أن يصل إلى ما وصل إليه الإمام السجاد عليه السلام في أدعيته، ونقرأ: «ما زلنا نستشعر الحاجة الملحة لأنفسنا عندما نقرأ الصحيفة السجادية».

استطاع الإمام عليه السلام أن يصوغ لنا الدعاء وفق الحاجات

الإنسانية النفسية وله القدرة على التواصل مع الإنسان في كل جيل، إذ قدم التقاربات العلمية والمعرفية والجاذب النفسية المتعلقة بالدعاء، لإعادة توظيف المعنى من قبل علماء كل جيل بما يخدم المقدره المعرفية والمعنوية والمقومات الروحية التي تكون بدورها ألفة وجدانية مع المعارف الإلهية، وهذا جوهر العشق الإلهي والإمام السجاد (عليه السلام) أدرك القيم التواصلية، فعبد لنا السبيل إلى الله تبارك وتعالى بتلك الأدعية.

سعى خطاب سماحه السيد أحمد الصافي للبحث في العمق المعرفي، وتجلي عوالم المفردة وطبيعة تأثيرها، في أواصر الدعاء.

يقول الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿وَقَفَّوْهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾
«الصفات / ٢٤».

الطيف الأول:

لماذا السؤال وهل الله تعالى يحتاج إلى أن يستفهم، وهو الذي لا تخفى عليه خافية ولا يوارى عنه شيء حتى يحتاج الى السؤال؟

الطيف الثاني:

السؤال له عدة مهام في ثنايا الخطاب فهو أداء لوظيفة تواصلية ومسعى جمالي، سؤال عن الولاية وعن العمل وأسئلة عظيمة ترتبط



بأصول الدين، كيف خلفتم رسول الله ﷺ؟
 كيف تركتم الأئمة (عليهم السلام)، كيف تعاملتم في زمن الغيبة مع الحجّة
 «عجل الله فرجه الشريف»؟

كيف أدبتم الطاعات، وهل تجنبتم المحرمات؟ وأسئلة حياتية
 ترصدت كل شاردة وواردة في الحياة.

الطيف الثالث: هذه المواضيع شديدة الخصوبة كونها تعبر عن
 الحياة الفكرية والوجدانية، وتعبر عن أهمية سؤال العبد لربه من
 باب الدعاء، الوعي من باب الدعاء.

الوعي الأول: إدراك معنى فرصة أن يسأل العبد خالقه وهو
 واقف بين يديه القادرة على كل شيء.

الوعي الثاني: أن يكون السؤال منسجماً مع عظمه الخالق
 سبحانه وتعالى.

الوعي الثالث: وعي السؤال، طلب التوفيق من الله «وَأَسْتَفْرِغُ
 أَيَّامِي فِيمَا خَلَقْتَنِي لَهُ»، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَمَا خَلَقْتُ
 الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ «الذاريات/ ٥٦».

الوعي الرابع: معايير السؤال توافق بين معاني الطلب وعبودية
 العبد لربه، لنلاحظ دقة مفردة «أَسْتَفْرِغُ» تعني، لا تجعل أيامي فيها



شيء خارج العبادة، أعني ليكون كل شيء في حياتي مخلصا لطاعتك.
 الوعي الخامس: توجه الاهتمام بالتفاعل المباشر عبر مفهوم النصيحة، لا تكن كريما في وقتك فهذا من الرذائل، الكرم من هذا النوع غفلة والإمام يدعو الله سبحانه وتعالى ألا يجعله كريما بوقته، والإسراف في الوقت رذيلة، ولا بد من الانتباه إلى المورد القرآني وتحليل مفرداته.

يقول الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾، وأشار البحث إلى كتاب علل الشرائع، عن الصادق (عليه السلام) خاطب الحسين بن علي (عليه السلام) أصحابه فقال: «أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّ اللَّهَ جَلَّ ذِكْرُهُ مَا خَلَقَ الْعِبَادَ إِلَّا لِيَعْرِفُوهُ، فَإِذَا عَرَفُوهُ عَبَدُوهُ، فَإِذَا عَبَدُوهُ اسْتَغْنَوْا بِعِبَادَتِهِ عَنْ عِبَادَةِ مَا سِوَاهُ»، فقال له رَجُلٌ: يَا بَنَ رَسُولِ اللَّهِ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي فَمَا مَعْرِفَةُ اللَّهِ؟ قَالَ: مَعْرِفَةُ أَهْلِ كُلِّ زَمَانٍ إِمَامُهُمُ الَّذِي يَجِبُ عَلَيْهِمْ طَاعَتُهُ»

والعبادة في اللغة هي الذلة لله سبحانه وتعالى، وفي الاصطلاح يعبدون يعني يفكرون والعبادة تعني الأُنس بذكر الله تبارك وتعالى، غالبا ما يصف الأئمة (عليهم السلام) الليل بأنه راحة للنفس يناجي العبد ربه ولا يشغله شاغل، الليل عندنا فيه وحشة وعند الإمام (عليه السلام) منتهى اللذة لا



بد من استثمار الوقت للعبادة.

هناك مسعى جمالي في عملية الحث على الدعاء ليخلق جاذبا من الجواذب النفسية التي تقرب المتلقي للدعاء.

العامل المحرك في كتاب المصاييح هو البعد الفكري لأهميته في حياة الإنسان، خطاب فكري يعتمد على طرح الرؤى الروحية عبر ترسيخ المواقف الوجدانية، ولا تتم تلك المواقف إلا بالوعي، ووعي الإنسان لعبوديته وفهم معنى الطاعة لله، وليقدم لنا النموذج الإنساني الأمثل هو الإمام علي (عليه السلام).

ركز سماحة السيد أحمد الصافي على أبعاد العبادة «العلم والوعي» يصور لنا أن العلم والطاعة، إن فقدهما الإنسان ضاع.

نحن بحاجة إلى هذين المرتكزين، لتكون الطاعة مرتكزا للعبادة. نتيجة هذا البحث هو مسعى وجداني عندما يسألنا الله سبحانه وتعالى يوم القيامة سيحتاج الجواب منا إلى أن نتعاون كمجتمع ليكون جوابنا فيه رضا الله.

عندما يدرك المجتمع عظمة المسؤولية يتواصى ويتعاخذ ليصوغ من حياته الجواب ولدينا نحن أنموذج الوعي والموعظة، هو الحسين (عليه السلام) لنتفعل من بركات وجوده، ما دمنا على قيد الحياة، وهذا هو التوفيق.





الإضاءة الثامنة والأربعون
«فلسفة الابتلاء»

لكل إمام من أئمة أهل البيت (عليه السلام) منهج إصلاحى قائم على المنهج الرسالي المحمدي، يضع اللبنة الأساسية في عملية الإصلاح والمعرفة، و«الصحيفة السجادية» تعمل على تحويل الفكر إلى نتاج سلوكي، ومن الطبيعي أن يتأثر توظيف هذا الفكر بنوعية الحياة، فسماحة السيد أحمد الصافي «دام عزه» في كتابه «المصابيح»، يؤكد على وجود موازنة صعبة جدا في بناء الإنسان لكونه لبنة في بناء المجتمع، ولهذا الفكر أسس منهجية لرؤية العلاقة بين الفكر والمجتمع، ودلالات تؤكد رؤية العالم عبر الانتماء الحقيقي إلى الدين وأساليب التفاعل الفكري مع المجتمع.

المطلب الفكري الأول «تزكية النفس»:

ألا يكون محتوى التفاعل نظريا على مستوى النصيحة الإنشائية، بل عودنا الأئمة (عليهم السلام) أن يبدأوا بأنفسهم أولا، عندما يدعو الإمام لمنقبة، أو الابتعاد عن مثلبة، فهو يتقبل المنقبة على نفسه أولا، يتحملها ويبتها ويعرف بها بين الناس وتكون هذه المنقبة هوية الإمام (عليه السلام) في واقع مجتمعه، وهذه أولى مهام الإصلاح أن يكون الداعية مصلحا حقيقيا في كل المواقف، له معرفة بالمتغيرات الروحية والفكرية ويجيد قراءة مواطن الخلل، وينتهي الإمام (عليه السلام) عن المثلبة التي ينهى الناس عنها.

وإذا تأملنا في دعاء الإمام زين العابدين «وأعزني ولا تبتلني بالكبر» قراءة العلاقة بين الإمام عليه السلام والواقع، والفكر المعصوم هو منظومة متكاملة استمدت فاعليتها من كتاب الله سبحانه وتعالى والسنة النبوية المطهرة، وعملت على بناء المجتمع، تعرض الواقع السياسي إلى نماذج فكرية لها انحرافات، وعملت الفئة الحاكمة على تغيير تلك المنظومة، وإعادة قراءة الفكر الديني بطريقة استغلال الفقر المعرفي وعزل الكفاءات الفكرية، وسط هذه الرواسب الفكرية نهضت قيادات المنظومة الفكرية بكل أبعادها لمواجهة الانحراف، أول تلك الانحرافات هي إذلال الإنسان وغرور السلطة، يبدأ الإمام عليه السلام مشروعه الإصلاحية من منطلق حياته ثم الناس.

المطلب الفكري الثاني «رفض الرذيلة»:

كل شيء يتعلق بالمجتمع الإسلامي هو جزء من الهم العام الذي يحتاج إلى الفكر الإصلاحية بمعنى تفاعل الإمام عليه السلام مع هموم المجتمع وصياغتها إلى دعاء ليكون المحور التفاعلي هو إرادة الله سبحانه وتعالى وينتج أثر الدعاء تحصين الوعي، والإيمان، عندما يصل الإنسان إلى مرحلة الشعور بالعزة الحقيقية فالخشية أن تقترن مشاعر العزة بالكبر والغرور وأن

يتحول الاعتداد بالنفس إلى أن يرى نفسه أفضل من الآخرين. علماء النفس ينظرون إلى التفكير الديني كعلم من أهم علوم الاجتماع لارتباطه بعملية إنتاج السلوك الاجتماعي، بمعنى أن الإمام (عليه السلام) يعلمنا أن العزة مطلوبة لكن لا بد أن يحصن الإنسان نفسه من الرذائل.

المطلب الفكري الثالث «فهم فلسفه الابتلاء»:

فهم كل متطلبات الرؤية في فكر أهل البيت (عليهم السلام)، قضية صعبة كونها تمتلك وثاقات مهمة بين الفكر والإيمان، إذا ترسخ الإيمان في مجتمع سهل عليه عملية التطوير الفكري والمعرفي، ورسخ القيم الأخلاقية والتربوية ليكون محصنا روحيا ضد تعاليم أي دين سلطوي يخدم الأغراض السياسية للطامحين للسيطرة على إرادة الحياة الاجتماعية. الابتلاء يقول علماء الاخلاق تارة يكون بشيء حسن الانتظار «الشكر»، وتارة يتلى الإنسان بشيء غير حسن بالانتظار «الصبر»، صفات المؤمن بين حالتين من غير المعلوم أن الإنسان في حالة الابتلاء يستطيع أن يصبر كما أنه من غير المتيقن أنه إذا ابتلى بنعم قد يشكر. ومن الرسائل المهمة التي أكد عليها الإمام زين العابدين (عليه السلام) أن كل نعمة ينعمها الله تبارك وتعالى علينا تحتاج إلى شكر وكل بلية من

الله سبحانه وتعالى تحتاج إلى صبر، ويمكن رصد دلالات التغيير في نهج أهل البيت عليهم السلام، الكبر رذيلة لا بد أن يمنع الإنسان نفسه منها. ويرى سماحة السيد أحمد الصافي أن الكبر ليس من موارد الابتلاء بمصيبة، وإنما هو مرض روحي من الأمراض الروحية، على الإنسان أن يعالجها وهي تحت السيطرة، ولو تأملنا في خطر الكبر على المجتمع لوجدنا أن التكبر هو الحرمان من التبصر فهو يجب التعالي والتفاخر على الناس، يغرق في العيوب والنواقص وانتقاص الناس من حوله.

المطلب الفكري الرابع «الموازن الإلهية»:

عمليات للتذكير تنطوي على الرضا - والاطمئنان، والفكر مجموعة من المفاهيم مثلا الله سبحانه وتعالى يوصف بالعزة، ولا يمكن أن يُوصف بغير العزة، والرسول صلى الله عليه وآله يوصف بالعزة وبغير العزة لا يوصف، المؤمن يوصف بالعزة وبغير العزة لا يوصف، لا بد أن نتأمل في العلاقات المتداخلة بين عزة المؤمن وما يظهر من مظاهر الذلة، النتيجة هي ليست ذلة حقيقية كون احتمال الذلة عارا، بينما احتمال مواطن الذلة غير الحقيقية يحتملها المؤمن في عين الله سبحانه وتعالى فيثاب عليها، حين آذت قريش النبي صلى الله عليه وآله لم يذل وأن آذوه بشتى أنواع الأذى، هذه المفاهيم الإنسانية لتنامي الذات وتطويرها،

وكل ما كتب من نظريات تنموية لا تصل إلى الطموح الذي يعمل عليه الإمام السجاد عليه السلام لتكوين الأنموذج الإنساني الأكمل عبر الموازين الإلهية التي لا تتعلق بالمظهر أو الهوية، وإنما تتعلق بالقلب والعمل الصالح والنية بالتقرب إلى الله تعالى.

المطلب الفكري الخامس «أركان العبادة»:

سماحة السيد الصافي شد انتباهنا إلى «جملة وعبدني لك» نتأمل في تشخيصه لنا، العبادة تحتاج إلى عابد أو معبود، العابد هو الإنسان لكن السؤال من هو المعبود؟

هنا مرتكز المطلب الفكري فهو من موارد صور العبادة عبادة الله سبحانه وتعالى، علينا أن نتأكد في أن تكون عبادتنا لله تعالى، لهذا يكون الدعاء الطلبي وعبدني ولم تكتف الجملة بطلب العبودية بل ركز أن تكون «لك» وهذه هي مرحلة السلامة.

المطلب الفكري السادس «آفة العجب»:

يقول الامام السجاد عليه السلام ولا تفسد عبادتي بالعجب فلا بد أن يراقب الإنسان نفسه فقد يعبد الإنسان لكنه يرى نفسه أفضل من الآخرين فيعجب.

ينبهننا البحث إلى قول الله سبحانه وتعالى لداوود عليه السلام: «يا داوود

بشر المذنبين وأنذر الصديقين»، السؤال كيف يبشر بالمدنّب وينذر الصديقين؟ قال داوود عليه السلام كيف أبشر المذنبين وأنذر الصديقين قال يا داوود «بشر المذنبين إني أقبل التوبة، وأعفو عن الذنب وأنذر الصديقين ألا يعجبوا بأعمالهم» العجب كأنه أفسد العبادة فيكون كل شيء لا قيمة له.





الإضاءة التاسعة والأربعون
«مفهوم الإيثار»

البحث الفكري في الموروث الدعائي يكشف لنا عمق المعاني الدلالية المتجسدة في الدعاء، ركز سماحة السيد أحمد الصافي «دام عزه» على متابعة كل فقرة من فقرات الدعاء بما يكتنز النص من سياقات بمعانٍ مختلفة ومنها أساليب التقابل ليعبر من خلالها عن مضمون الموازنة النفسية، التزام حالة الموازنة بين العزة وعدم الوقوع في التكبر، وحالتي الإيمان والعجب.

«ولا تبتلني بالكبر»

«ولا تفسد عبادتي بالعجب»

ليكشف لنا خصوصية العلاقة بين دواخل الإنسان وارتباطاتها بالله سبحانه.

ويرى أن بإمكانية الإنسان تقييم نفسه وتشخيص حالته، إثر قراءة سلوكه الشخصي وانفعالاته ونواياه.

بحث هذا الارتباط بعدة أوجه من الرؤى النفسية التي حركها السؤال:

سؤال: هل أنا من طرف الفضيلة أم من طرف الرذيلة؟

سؤال: هل العبادة مكنتني من التواضع أم ورطتني بالعجب والغرور وجعلتني أرى نفسي أعلى من الناس؟

ومثل هذه الأسئلة تأخذنا إلى نشاط إنساني فاعل يستطيع أن يحول موضوع إصلاح النفس إلى معنى إصلاح الأسرة والمجتمع.

التأمل الفكري في المبنى الدلالي للدعاء يمثل مقدرته على بناء الإنسان ثم تحصيله من التكبر أو الرياء والتعامل مع الناس تعاملًا وفقًا لموازين أخلاقية وقيم تربوية.

نظرة الدعاء إلى الواقع الإنساني تكمن في تكوين الإنسان بما يحمل من فضائل وأخلاق تقربه لمعناه، ومعنى الدين حب الخير للناس، المعنى الكلي للفضائل والأخلاق الكريمة التي تقودنا لفهم الرسالة النبوية، ومنهج أهل البيت عليهم السلام ليكون من ضمن السجايا النفسية، أن لا يتعامل مع الخيرات على نحو الاستئثار الشخصي، ومن يتبع تاريخ الأئمة عليهم السلام يرى أنهم سعوا وبقوة لإخراج الإنسان من بؤر الأنانية إلى حب الخير للناس، وهذه في الحقيقة هي فلسفة الدين، وتشيد حالة النقاء الروحي وتهيئة الدوافع النفسية لتحسين الذات، والحرص على إخراج النفس من دائرة الاهتمام الفردي، والانتقال إلى الناس، إلى المجتمع.

ويكون ضمن طموح الإنسان الحقيقي خدمة المجتمع ودعم الخير ومشاركة الناس وإشراكهم في محبة المعروف، الإمام زين العابدين عليه السلام يدعو الله سبحانه «واجر للناس على يدي الخير» وفي دعاء آخر «وأثري من الخيرات متبوعاً» لو تأملنا المؤثرات النفسية، والنفاذ إلى القيم الروحية ومعرفة بناء النفس ودرجات نضوجها لأدركنا حالات التدرج التي يتبعها الإمام عليه السلام في بناء النفس.

الحالة الأولى:

ترك حالة الأنانية ومحاولة إدخال الآخرين في حساباته، ومشاركتهم بما يمتلك.

الحالة الثانية:

يعطي الآخر ويمنع نفسه.

الحالة الثالثة:

يمنع نفسه مواساة للآخر كونه لا يمتلك شيئاً ليعطيه فيحرم نفسه المواساة له.

هذه مراتب من الفضائل والأخلاق.

الإيثار من خلق المؤمن، إحدى فقرات قراءة سماحة السيد

أحمد الصافي لموضوع الإيثار، تستجلي كيفية ولادة الإيثار عند المؤمن، الإيثار أعلى درجات السخاء وأكمل أنواع الجود ولا يكون إلا بقوة الإيمان، والوعي المعرفي من قوانين المنزلة التي منحها الله لأهل الإيثار.

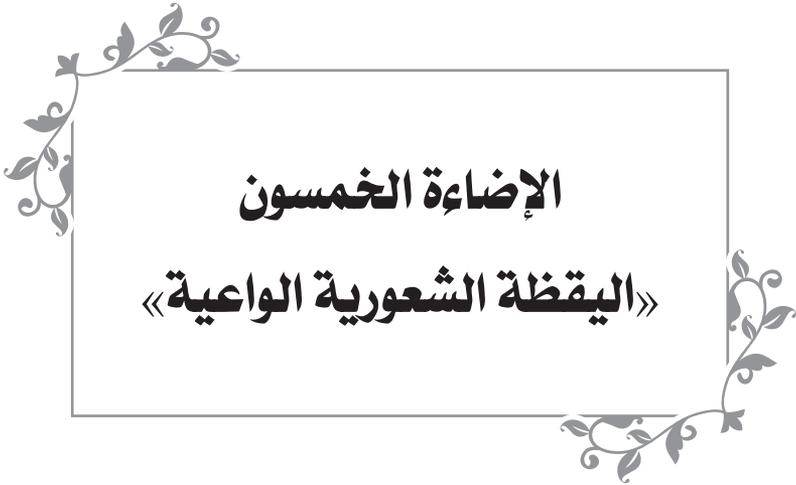
ويستشهد سماحة السيد أحمد الصافي بحالة أبي الفضل العباس عليه السلام في قضية الماء عندما منع نفسه الشريفة عن الماء مواساة للإمام الحسين عليه السلام، وتجد كثيراً من الخصائص الإنسانية التي يركز عليها الدعاء ليجعل العالم أكثر جمالا والإنسان أكثر نضجا لما يمتلك من الخلق الرفيع، وحرص الإمام عليه السلام على بث مبدأ «الوقاية» ليثمر الحرص كي لا يضيع من الإنسان الخير.

إن يقع باطل يذهب الخير كله، قال الإمام عليه السلام «ولا تمحقه بالمن» والمن هو دلالة من دلالات التكبر والعجب بالنفس ومرض من الأمراض النفسية، وماحق بالخير.

الدرس الثقافي الذي ركز عليه الإمام عليه السلام هو السعي لعصمة الإنسان من الغرور والتكبر والفخر المتعالي على الناس، هذه العصمة هي «معالي الأخلاق» عنواننا من

عنوانات القراءة، تحت ظل معاني الأخلاق، يومض لنا سماحة السيد أحمد الصافي بمعلومة لها نداوتها، جاء فيها أن كربلاء كانت تسمى في المدونات «كربلاء المعلى» أي ذات الشرف والرفعة ومن رفعة الأفق السلوكي عند الأئمة عليهم السلام، إذا صافحهم أحد لا يسحب الإمام يده قبل المصافح، ويبدأ بالسلام.

اعتمدت ثقافة الدعاء عند الإمام السجاد عليه السلام على سمات وأبعاد معرفية ومناجاة الله سبحانه وتعالى، لها حضور زمكاني مؤثر، وتضمن دعاء الإمام الحسين عليه السلام في عرفة أكثر المعارف العالية والمضامين التي تجعلنا أمام مسؤولية الاعتناء بدعاء الأئمة عليهم السلام.



الإضاءة الخمسون
«اليقظة الشعورية الواعية»

يتضمن أدب الدعاء فن الأخلاق وفن الفكر والمعرفة
الربانية التي تتجلى في الصحيفة السجادية.

كتاب المصايح لسماحة السيد أحمد الصافي «دام عزه» ذهب
إلى إحياء هذا التراث والتركيز على القيم الإسلامية وطرق
التواصل مع إبراز جمالية هذه الأدعية بأمثلتها الروحية
والنفسية ويقظة التقاء ما هو معنوي يعتمد الوسيلة ويعكس
مفهوم الموازنة، ووجود أكثر من اتجاه تأثيري بين «الغنى -
البطر» - «العزة - الكبر».

الموازنة أن يطلب من الله سعة الرزق ويطلب منه ألا
يختمه بالبطر، يطلب من الله أن يعزه ويطلب منه ألا يبتليه
بالكبر، هذا الأمر يعتبر البطر والكبر ابتلاءات يطلب من
الله الاستعانة للتخلص منها.

البحث في المساحة الفكرية وعلاقة التجربة الإنسانية
بمفهوم الطلب والخوف، الإمام السجاد عليه السلام في احتواء
نفسى للإنسان يعلمه أن يطلب الفضيلة ويخشى المثلبة، ومثل
هذه الموازنة النفسية بين الرغبة والرغبة، وبهذا الفهم يمكن
معالجة أي خلل نفسى بوعى المعصوم عليه السلام.

«اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَلَا تَرْفَعْنِي فِي النَّاسِ دَرَجَةً إِلَّا حَطَّطْتَنِي عِنْدَ نَفْسِي مِثْلَهَا»..

إن معرفة الإمام عليه السلام بعلم النفس قبل المدارس النفسية بمئات السنوات، جعلنا نحسب حساب التضاد ليعبر عن صحو الإنسان وعلمه ومعرفته، والحضور الضمير داخل النفس، ومن مثل هذه التضادات «الرفعة - الحط - العزة - الذلة». على أن الوعي بهذه التضادات سبب الصحوة المصيرية للإنسان، يطلب حط القيمة كي تصفو الرفعة لله، ويطلب ذلة الذات كي تسمو عزة الله فيه.

بعبارات مكثفة يمنحنا الإمام السجاد عليه السلام رؤية واسعة تحتزن كثيراً من الدلالات بقوة صياغتها البلاغية، لخصت لنا المعرفة المدركة لقيمة الصلاة على محمد وآل محمد، سعة الرؤية واضحة في هذا المفهوم كونها مضمونة الإجابة، فصل بين الطلب والصلاة.

نحن نبحث عن جوهر الفكرة، نقف عند جمالياتها، عندما يحمل أحد طرفي الحاجة هي الصلاة على النبي محمد وأهل بيته الطاهرين، فقد ورد إن الله سبحانه وتعالى يستحي أن يقبل

الصلاة ويرد الباقي وهذه من مميزات سعة الرؤية.
هذه المفاهيم التي يركز عليها الدعاء، وفيها تركيز على شخصية الإنسان وهذا المحتوى التربوي «الموازنة»، مفهوم فكري دقيق جعل السيد أحمد الصافي يمثل الجانب التربوي، رفعة الإنسان تجعل له منزلة في قلوب الناس ولهذا يصبح التضاد طوع المفهوم الفكري في منظور الإمام عليه السلام.

«حاله ظاهرية - أمام الناس» و«حالة باطنية - أمام النفس».

يقدم لنا الدعاء حالة من حالات اليقظة الشعورية الواعية، الله سبحانه وتعالى يعلم ما في النفس، علينا أن نناقش فكرة الصورة الظاهرية كرامة الإنسان تجعله يطلب أن تكون له منزلة عند الناس، طلب مشروع له آليات ومقدمات، والمنزلة تصور ذهني وعملية فكرية لكيفية الحصول على المنزلة، قيمة جوهرية في عدم ظلم الناس، والأمانة وصيانة العرض، والنفس التي جُبلت على محبة من أحسن إليها. القضية تحتاج للتأمل، الإمام عليه السلام يعبر عن المنزلة بأنها طموح واحترام الناس بلطف من الله، هناك معنى آخر يركز عليه سماحة السيد الصافي قد تتحول هذه المنزلة إلى خطر،

تصبح بابا من أبواب الفخر والعجب بالنفس والتكبر، شيء مهم أن يستخرج لنا المضمون الجوهرى بأصله المعرفى وبقراءته القادرة على إدراك المعنى ويطلب الإمام عليه السلام المنزلة العظيمة بين الناس، أن يمنح النفس انحطاطا داخليا، هنا مفهوم الانحطاط يختلف عن المعنى السائد، هذا الانحطاط ليس فيه ذلة، تدليل النفس فى معنى أقرب، إن تلك الرفعة والمنزلة هي لله سبحانه وتعالى، هو من رفع ليس هناك رفعة بجهد شخصى، إنما الرفعة من الله سبحانه تعالى.

البحث عن المعنى من أجل أن تتم عملية التلقى بفهم ينفع بتهديب السلوك الإنسانى، كون النص هو نص معصوم مرتبط بالتكوين الإنسانى نفسه ويخضع أيضا لأسلوب صياغة المعنى الدعائى بما يوافق ومخاطبة الإرادة المطلقة، كي لا يصل الإنسان إلى مرحلة ألا يرى شيئا أفضل منه.

نجد أن التضاد الموجود بين دلالة الرفعة ودلالة المثلية يصل إلى قضية توافقية، تضاد ينتج التوافق النفسى الرحمة، ومثل هذا المضمون لا يتحقق إلا عبر معونة النفس ولذلك الإمام عليه السلام يطلب الإعانة على النفس: «وَأَعِنِّي عَلَى نَفْسِي بِمَا



حَسْبُكَ إِضَاءَةُ كِتَابِ الصَّالِحِينَ

تُعِينُ بِهِ الصَّالِحِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ»، كي لا تتحول تلك الرفعة إلى مرض.

الجذر الانساني الذي قدمه الإمام عليه السلام هو مشهد فكري وثقافي في ذم الدنيا مخافة الانزلاق في مهاوئها، مخافة أن يتحول العز الظاهري إلى ذنب.

قراءة الذم على أنه يقظة تحصن الإنسان من الزلل، يعرفنا سماحة السيد أحمد الصافي على بعض الإشكالات الواردة في المجتمع اليوم، إن بعضهم يمن على الله سبحانه وتعالى بالصلاة وبالعبادة كأنه متفضل على الله تبارك وتعالى، ويعتبر هذه الحالة حالة قصور في الفهم الانساني العام ويحذر منها لكي يدرك الإنسان أن لا قيمة له دون معزة الله سبحانه وتعالى.





المحتويات

المحتويات

- المقدمة ٥
- الإضاءة الأولى «دعاء مكارم الأخلاق» ٩
- الإضاءة الثانية «العصمة» ١٧
- الإضاءة الثالثة «الاستغاثة برحمة الله» ٢٣
- الإضاءة الرابعة «السعي بين الخوف والرجاء» ٣١
- الإضاءة الخامسة «النهضة وتصحيح المسار» ٣٩
- الإضاءة السادسة «الاطمئنان هوية المؤمن» ٤٧
- الإضاءة السابعة «الرغبة الى الله تعالى» ٥٣
- الإضاءة الثامنة «نعمة التقوى» ٥٩
- الإضاءة التاسعة «مفاهيم الدعاء» ٦٣
- الإضاءة العاشرة «الحرمان» ٦٩
- الإضاءة الحادية عشرة «الطلب على قدر العبودية» ٧٥
- الإضاءة الثانية عشرة «الاستحياء من الله تعالى» ٨١
- الإضاءة الثالثة عشرة «الرقابة الإلهية» ٨٩
- الإضاءة الرابعة عشرة «حق الجار» ٩٥

المحتويات

- الإضاءة الخامسة عشرة «الرجوع الى الله» ١٠١
- الإضاءة السادسة عشرة «المفاهيم التربوية» ١٠٧
- الإضاءة السابعة عشرة «تجديد العهد» ١١١
- الإضاءة الثامنة عشرة «عقيدة الامل» ١١٧
- الإضاءة التاسعة عشرة «الغفران بين العدل والرحمة» ١٢٣
- الإضاءة العشرون «التهيئة الروحية» ١٣١
- الإضاءة الحادية والعشرون «الحلم الإلهي» ١٣٧
- الإضاءة الثانية والعشرون «فاعلية التقابل» ١٤٣
- الإضاءة الثالثة والعشرون «الوقاية من المعاصي» ١٤٩
- الإضاءة الرابعة والعشرون «أدب الدعاء» ١٥٧
- الإضاءة الخامسة والعشرون «التوفيق لمناجاة الله» ١٦٥
- الإضاءة السادسة والعشرون «روحية الأقتداء بعاشوراء» ١٧٣
- الإضاءة السابعة والعشرون «الاستعاذة وإخلاص النية» ١٨١
- الإضاءة الثامنة والعشرون «الثقة بأمانى الشيطان» ١٨٧
- الإضاءة التاسعة والعشرون «التدرج في الغواية» ١٩٣

المحتويات

- الإضاءة الثلاثون «الغزو الشيطاني»..... ١٩٩
- الإضاءة الحادية والثلاثون «التفكير والتدبر»..... ٢٠٧
- الإضاءة الثانية والثلاثون «الدعاء سلاح المؤمن»..... ٢١٣
- الإضاءة الثالثة والثلاثون «القدرة على مواجهة الشيطان».. ٢١٩
- الإضاءة الرابعة والثلاثون «السجود وقاية من الشيطان».. ٢٢٧
- الإضاءة الخامسة والثلاثون «اللطف الإلهي»..... ٢٣٥
- الإضاءة السادسة والثلاثون «ميزان الآخرة»..... ٢٤١
- الإضاءة السابعة والثلاثون «الإخلاص بالوحدانية».. ٢٤٧
- الإضاءة الثامنة والثلاثون «الخطاب الأخلاقي»..... ٢٥٥
- الإضاءة التاسعة والثلاثون «الصراع مع الشيطان»... ٢٦١
- الإضاءة الأربعون «المفاهيم المعرفية»..... ٢٦٧
- الإضاءة الحادية والأربعون «جوهر العلاقة مع الله»... ٢٧٣
- الإضاءة الثانية والأربعون «المنهج الشيطاني»..... ٢٧٩
- الإضاءة الثالثة والأربعون «القيم الاجتماعية والأخلاقية».. ٢٨٧
- الإضاءة الرابعة والأربعون «توفير النية»..... ٢٩٣

المحتويات

- الإضاءة الخامسة والأربعون «مفهوم النصيحة» ٢٩٩
- الإضاءة السادسة والأربعون «استثمار الوقت بالدعاء». ٣٠٧
- الإضاءة السابعة والأربعون «استحضار الوعي في الدعاء». ٣١٣
- الإضاءة الثامنة والأربعون «فلسفة الابتلاء» ٣١٩
- الإضاءة التاسعة والأربعون «مفهوم الإيثار» ٣٢٧
- الإضاءة الخمسون «اليقظة الشعورية الواعية» ٣٣٣

